جامعة نايف العربية
للعلوم الامنية

شخصية المجرم ودوافع الجريمة

د. عبدالرحمن العيسوي

الرياض
الطبعة الأولى
1410 هـ

شخصية المجرم ودوافع الجريمة

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

شخصية المجرم ودوافع الجريمة

الدكتور عبدالرحمن العيسوي

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

١٤١٠هـ

حقوق النشر محفوظة للناشر

دار النشر
بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب
بالرياض

الرياض

١٤١٠هـ [الموافق ١٩٩٠م]

المحتويـــــــات

المقدمـــــة ١١

الفصل الأول: سمات الشخصية المضادة للمجتمع ١٥

الفصل الثاني: الدراسة العلمية للجريمة ٢٩

الفصل الثالث: التفسير الحديث لجرائم الصغار ٦٧

الفصل الرابع: العوامل المؤثرة في نشأة الجريمة ٧٩

الفصل الخامس: الجرائم الجنسية ١٠١

الفصل السادس: طرق اكتشاف الجرائم والتعرف
على المجرمين ١٠٧

الفصل السابع: أساليب علاج المجرمين ووسائل
مكافحة الجريمة ١٣٣

الفصل الثامن: استخدام المبادىء السيكولوجية
في الاصلاح ١٤٥

الفصل التاسع: أساليب الوقاية والعلاج في جرائم الصغار ١٥٥

الفصل العاشر: وسائل الوقاية والعلاج
في التصور الاسلامي ١٦١

الفصل الحادي عشر: الأمان النفسي والاجتماعي
والاقتصادي في التشريع الاسلامي ... ١٩٩

الفصل الثاني عشر: دور الاسلام في تحقيق
التماسك الأسري ٢١٧
الخاتمـــــة ٢٢٧
المراجـــــع ٢٣١

المقدمـــة

يسرني أن أقدم للقارىء العربي الكريم كتاب «شخصية المجرم ودوافع الجريمة». . ولقد جاء في عبارة سهلة وأسلوب يسير. . ليكون في متناول القارىء المتخصص في الجريمة والانحراف، وغير المتخصص على حد سواء. وعنى أكثر ما عنى، بإبراز الجوانب والمبادىء القابلة للتطبيق والتنفيذ في مجال مكافحة الجريمة والانحراف والوقاية والعلاج حتى يكون له فائدة عملية بإذن الله تعالى. . وليكون اسهاماً متواضعاً في حركة أمتنا العربية المباركة نحو تحقيق السلام والأمن الاجتماعيين. . وتوفير الرفاهية والاستقرار لأبنائها. ذلك لأن جو الأمن والاستقرار هو الركيزة القوية التي تستند اليها جهود الأمة في التقدم والتطور والنماء والازدهار والقوة والمنعة.

ولاشك أن سلامة الجبهة الداخلية تمثل قاعدة صلبة للصمود العسكري، والتقدم الاقتصادي والعلمي والسياسي. . وغير ذلك. . والحقيقة أن أمتنا تواجه كثيراً من التحديات والضغوط التي تستوجب توفير جو من الصفاء والنقاء والتضامن والتوحد، يسمح لكل أبناء هذا الجيل بالانطلاق نحو الابداع والابتكار والعطاء والتضحية من أجل رفعة المجتمع واعلاء شأنه

البحث الذي أتشرف بأن أضعه بين يدي القارىء الكريم، في جوهره عبارة عن استعراض لتصور شامل وسريع للعوامل المؤثرة في نشأة الجريمة والانحراف أو الدوافع النفسية والعقلية والاجتماعية والاقتصادية. التي تكمن وراء الجريمة، والتي ترجع بجذورها

الأولى الى عهد طفولة الفرد الباكرة بل والى ما يمتد منها الى أصوله الوراثية.. وللكشف عن سمات الشخصية المضادة للمجتمع أهمية كبيرة في الوقاية من الاصابة بتلك الصفات والخصال، وفي نفس الوقت في التعرف على شخصية صاحبها واكتشافه، وكذلك يفيد التعرف على التفسير العلمي لجرائم الصغار والكبار في الكشف عن جرائمهم، ورسم البرامج الكفيلة بالوقاية من التورط فيها بعد ذلك.

ونظراً لانتشار المخدرات ولاسيما بين الشباب في وقتنا الراهن.. فلقد أفردت فصلاً لمعالجة تأثير ادمان الخمور والمخدرات على السلوك الاجرامي.. فضلاً عن كون تعاطي المخدر واحرازه جريمة في حد ذاتها.. ويركز الكتاب على طرق اكتشاف الجرائم والتعرف على المجرمين وكذلك أساليب الوقاية والعلاج الحديثة.

ويجمع الكتاب بين التصورات الغربية الحديثة في مجال الجريمة والوقاية والعلاج والعقاب. وبين التصورات النابعة من ديننا الاسلامي الحنيف.. ويتضح من هذا الاستعراض ما لإسلامنا الحنيف من فضل السبق في التعرف على الأساليب الفعالة والعادلة في الوقاية والعلاج والردع والزجر.. مما يؤكد الدعوة للعودة لحظيرة الدين الاسلامي والاستمساك بمبادئه.

ولاشك أن الاسلام يحتضن في رفق ورحمة المواطن منذ نعومة أظفاره بالرعاية والعناية الروحية والخلقية والعقلية أو الفكرية والجسمية والأسرية والاجتماعية والاقتصادية والعلمية، بحيث يشب

مواطناً مؤمناً صالحاً سوياً، متكيفاً، ملتزماً بكل القيم المانعة للجريمة والانحراف، بل الحاثة والحاضة على العطاء والاحسان والمعروف والبرّ والتواضع والصفح والعفو والتعاون والتآخي والمؤازرة والتقوى والخشية والورع والعطف والرحمة وحب السلم والسلام والخير والطهر والطهارة والتعفف والصدق والأمانة والوفاء والولاء ونبذ العداوة والخصام والانقسام.

والاسلام بحمد الله تعالى. مدرسة جامعة لحياة الفرد والجماعة تحث الفرد على الفضائل وتغرسها في حسه ووجدانه، وتعالج بحكمة واعتدال . . السلوك المنحرف وتقضي عليه، تحت جو من العدالة وصيانة حقوق الانسان وعدم هدر حقوق غيره من الناس. وغيرها.

الدكتور عبدالرحمن محمد العيسوي

الفصـــل الأول

سمات الشخصية المضادة للمجتمع

نبذة تاريخية:

للشخصية المضادة للمجتمع Antisocial PersonalitY سمات خاصة ينبغي التعرف عليها، وذلك للاستفادة من ذلك التعرف على هذه الشخصية، ومعالجتها، ورسم البرامج التربوية والاجتماعية اللازمة للوقاية من التورط في النشاط المضاد للمجتمع.

في المراحل الأولى من نمو الطب العقلي psychiatry لم يكن السلوك المضاد للمجتمع ضمن الاضطرابات العقلية، أي لم يكن يعد صورة من صور الاضطرابات Mental disorder، وكان المجرمون والأحداث الجانحون Delinquents and Criminals يعالجون بطرق مختلفة عن تلك الطرق التي يعالج بها المرضى العقليون. حيث كان هؤلاء يودعون في السجون والاصلاحيات-Prisons and Reforma tories وكان يقال في هذا الوقت ان كثيراً من الأشخاص المضادين للمجتمع لا يظهرون الأعراض التقليدية Conventional Symptoms في سوء ادراك[1] الزمان والمكان وغيرهما من مظاهر سوء الادراك

---

١ ـ من أعراض الادراك الزماني والمكاني أن المريض لا يعرف اليوم او السنة او الشهر او الأسبوع عندما يسأل عن ذلك.. كما أنه لا يعرف ان كان يوجد بالمستشفى او في منزله.

الحسي Perceptual distortions وغير ذلك من مظاهر السلوك المرضي Pathological behaviours . ولقد وجد كثير من المفكرين المبكرين من أمثال بينال Pinel كثيراً من مظاهر الهوس[1] Mania ولكنها لم تعق أو تعرقل أو تفسد عملية التفكير عند المجرم.

ولقد استخدم اصطلاح «الجنون الخلقي» أو الأخلاقي Moral Insanity أو «العته الخلقي» أو الأخلاقي للاشارة الى الشخصية المضادة للمجتمع.

وفي أواخر القرن التاسع عشر ظهر اصطلاح الشخصية السيكوباتية Psychopathic Personality على يد كوك Koch ١٨٩١م لكي يشير الى هؤلاء المرضى الذين لا يمكن تصنيفهم ضمن أية فئة من فئات المرض العقلي Mental disease ويقصد بالشخصية السيكوباتية تلك الشخصية التي تتصف بالميول الاجرامية والعدوانية، وبنزعات الانتقام، وبضعف الضمير الخلقي، وعدم الشعور بالذنب، ولقد قبل كربلن Kraepelin ١٩١٥م اصطلاح الشخصية السيكوباتية، ووصف سبعة أنواع فرعية من هذه الشخصية، واعتبر كربلن أن السيكوباتية Psychopathy تقع بين السواء والاضطراب العقلي.

وفي عام ١٩٣٠م استبدل الاسكندر Alexander اصطلاح الشخصية السيكوباتية باصطلاح آخر هو الشخصية العصابية

---

١ - الهوس هو الولع الشديد بشيء ما وكثرة الحركة والنشاط الزائد عن الحد.

Neuratic character ويقصد بها الشخصية المريضة نفسياً، بمرض يتناول الجانب الخلقي في الانسان.. وكان الاسكندر يقصد بذلك تأكيد النشأة السيكولوجية أي النفسية Psychogenic في هذا الاضطراب، وفي خلال هذا الوقت اقترح باتردج Patridge اصطلاح الشخصية المضادة للمجتمع Sociopathic Personality لكي يؤكد أن هذا الاضطراب عبارة عن سوء تكيف اجتماعي Social maladjustment أكثر من كونه سوء تكيف نفسي Psychological maladjustment ومنذ ذلك الحين والاصطلاحان يستخدمان بالتبادل ليشير كل منهما الى الشخصية المضادة للمجتمع، ونعني بذلك اصطلاحي السيكوباتية والسيوباتية Sociopathy ولكن في الاستخدام الحديث والمعاصر يفضل اصطلاح السيسوباتية.

هذا بالنسبة للمصطلحات وتطور نشأتها.. أما سمات الشخصية المضادة للمجتمع أو المريضة اجتماعياً فيمكن تحديدها على النحو التالي:

سمات الشخصية المريضة اجتماعياً أو المضادة للمجتمع:

يمتاز الشخص السيسوباتي Sociopath بالعجز عن فهم القوانين الأخلاقية السائدة في المجتمع Ethical Codes وعلى ذلك فإن الادعاء بأنه يسير وفقاً للمعايير والمثل الأخلاقية العليا ادعاء باطل. فمثل هذا الشخص يقوم بدور الممثل الذي ينفذ الأدوار، ولكنه ينفذها دون عاطفة أو انفعال Emotion وهو يفتقر الى الشعور بالقلق

والشعور بالذنب Anxiety and giult feelings ولا يمتلك السيسيوباتي أي شعور بالاحترام أو التقدير لمشاعر الآخرين. . أو لسعادتهم وراحتهم. فهو قد لا يقدر مشاعر الغير ولا يحترمها، حيث يغامر ويخرق القوانين ويهدرها دون أي اعتبار أو تفكير في النتائج التي تنتج عن سلوكه، وتنحصر اهتماماته في اللذة الآنية أو المباشرة. . وليست لديه أهداف طويلة المدى. ولا يستطيع تحمل المسئولية Shoulder responsibility ويفتقر الى الصبر اللازم لأداء العمل الروتيني، ومن أجل ذلك فهو يكثر من تغيير الوظائف والأعمال التي يشغلها، ويقال أن السيسيوباتي لديه عادات سارة ويتمتع بروح الفكاهة، كما يقال انه متفائل Optimistic ويثق كثيراً في الآخرين[1] ولديه قدرة على فهم حاجات الناس الآخرين، وقوتهم، وضعفهم، تلك الحاجات والسمات التي يشتغلها الى اقصى حد ممكن لصالحه.

ومن مظاهر انحرافه أن رجل الأعمال السيسيوباتي مثلاً يستخدم أساليب غير أخلاقية في البيع والشراء، لتحقيق الربح السهل. وفي الغالب يستطيع أن يقنع الآخرين بوجهة نظره أو يستطيع أن يخدعهم.

ويؤدي التأمل في نشأة الأشخاص السيسيوباتيين الى أنهم يصطدمون بالقانون وبالسلطة منذ طفولتهم. . ولا يحققون نجاحاً

---

١ ـ لاحظ المؤلف أن هذا النوع من الأشخاص على العكس من ذلك لا يثقون بأحد.

ملحوظاً في المدرسة أو في أعمالهم . . ولا يشعرون بالخوف من تنفيذ خططهم بما في ذلك الجرائم التي يرتكبونها . . . وعلى الرغم من أنهم يقيمون صداقات الاّ أنهم عاجزون عن اقامة ارتباطات عاطفية مع أصدقائهم . وعلى ذلك فهم يستغلون أصدقاءهم ويعاملونهم معاملة قاسية ، ودون تعاطف أو مشاركة وجدانية ، ذلك لأنهم قوم مجردون من العاطفة Unsympathetic ويعانون من الفشل في علاقاتهم الجنسية .

ولقد وضع كلاركلي Clerkly ١٩٥٩م مجموعة من المعايير أو المحكات Criteria لتحديد الشخصية السيسيوباتية ، واضطرابها ، ولقد أسس محاكاته هذه على أساس من الحالات العديدة التي درسها ، ومن هذه المعايير مايلي :

١ يتمتعون بجاذبية سطحية أو ظاهرية

٢ ـ يتمتعون بذكاء متوسط أو أعلى من المتوسط أي بذكاء مرتفع .

٣ لا يوجد لديهم أي من أعراض الذهان[1] العقلي أو المرضي Psychosis أو عدم المعقولية أو اللاعقلانية Irrationality .

٤ ـ لا يعانون من القلق العصابي أي من مرض القلق النفسي حيث أنهم يشعرون بالراحة والهدوء في المواقف التي تثير الشخص العادي .

٥ لا يشعرون بالمسئولية سواء في الأمور الهامة أو قليلة الأهمية

٦ لا يشعرون بالعار أو الخجل .

---

١ ـ من أمثلة الذهانات العقلية الاكتئاب ، الفصام ، جنون العظمة ، جنون الاضطهاد ، الجنون الدوري وما الى ذلك .

٧ لا يميلون الى قول الصدق مهما كانت الأحوال.

٨ لا يخشون أي شيء من اكتشاف جرائمهم.

٩ ـ يمارسون السلوك المضاد للمجتمع دون أي شعور بالأسف أو الذنب.[١]

١٠ يعانون من سوء التكيف.

١١ ـ يعجزون عن الاستفادة من الخبرات الماضية، بما في ذلك العقوبات التي تفرض عليهم.

١٢ ـ يفتقرون الى الاستبصار الأصيل Insight أي أن الفهم الأصيل للأحداث والأشياء والأمور.

١٣ يتازون بعدم الاخلاص أو الولاء أو الوفاء.

١٤ يعجزون عن اعطاء الحب أو استقباله.

١٥ لا يستجيبون الاّ استجابة ضئيلة لمظاهر العطف والحنان والاهتمام بهم، واعتبار مشاعرهم.

١٦ لا يوجد في تاريخهم أية محاولة صادقة للانتحار.

١٧ ـ يعيشون حياة جنسية غير تقليدية وغير منضبطة أو غير مقيدة.

١٨ ـ يفشلون في الحياة المنظمة فيماعدا اتباع نظام[٢] للدفاع عن الذات.

١٩ ـ تبدأ عندهم السمات المضادة للمجتمع في أوائل العشرينيات من العمر.

---

١ ـ لذلك لا يصلح كشاف الكذب للاستعمال معهم.

٢ ـ تتولى الذات الوسطى Ego القيام بعمليات لا شعورية للدفاع عن نفسها ضد القلق.

اذا كانت هذه بعض السمات التي تميز الشخصية السيسيوباتية فمن الجدير بالأهمية أن نبحث في الأسباب والعوامل التي تؤدي الى تكون هذه السمات السلبية[1]

أسباب نشأة السيسيوباتية:

١ - الأسرة من العوامل الرئيسية التي تلعب دوراً هاماً في حدوث السيسيوباتية حيث وجد أن فقدان أي من الوالدين أو كلاهما، قد يؤدي الى حرمان الطفل من الرعاية الوالدية ومن ثم يقوده الى الانحراف، ففي الدراسة التي أجراها جرير Greer ١٩٦٤م وجد أن هناك ٦٠٪ من مجموع عينة من السيسيوباتيين قد فقدوا أحد الوالدين في الطفولة الباكرة من حياتهم، بينما لم يكن هناك سوى ٢٧٪ من العصابيين Neurotics أي المصابين بالأمراض النفسية، قد فقدوا أحد الوالدين، وليس فقدان أحد الوالدين في حد ذاته هو العامل المسئول عن السيسيوباتية وانما الاضطراب الانفعالي Emotional disturbance الذي يصاحب تجربة الفقدان هوالذي يسهم في تكوين السيسيوباتية.

والمعروف أن لمرحلة الطفولة الباكرة تأثيراً قوياً وباقياً في حياة الفرد، فخبرات الطفولة تترك بصماتها طوال حياة الفرد اللاحقة، ذلك لأن الانسان يكون غضاً ليناً قابلاً للتشكيل والتكوين، قليل

---

1 - T.E. Shammugam, Abnormal Psychology,McGraw Hill, New Delhi 1981.

الخبرة والممارسة، غير ناضج، ولذلك ترسم عليه أحداث الطفولة ما تشاء من الصور والأشكال.. وان كان هذا لا يمنع من أن الانسان يتأثر بما يسقط عليه من المؤثرات، وما يمر به من الأحداث والتجارب والخبرات في كل مراحل عمره.. ولكن قدرته على المقاومة تكون أشد، وقدرته على الاحتمال أقوى، ومن ثم يكون تأثره أقل من تأثر الطفل بتلك الخبرات والأحداث غير المواتية.

ومن العوامل الأسرية الهامة أيضاً فقدان العطف والحب والدفء والحنان Affection ولقد وجد أن الطفل في حاجة الى مثل هذه العواطف الايجابية أكثر من حاجته الى اشباع دوافعه المادية أو الجسمية، ومما يؤثر في الطفل شعوره بأنه منبوذ أو مطرود أو غير مرغوب فيه Rejected من قبل الوالدين أو الكبار عامة.. فقد ترزق الأسرة بطفل وتعتبره «زائداً» عن حاجتها أو عما كانت تخطط له، وقد تشعر الأسرة طفلها بأنه غير مرغوب فيه بسبب تعثره الدراسي أو بسبب طلاق أمه أو ما شابه ذلك من الظروف، كتفوق أخوته واخواته عليه علمياً.

ومن العوامل الرئيسية أيضاً في حدوث السيسيوباتية التذبذب في أسلوب تأديب الطفل Inconsistent discipline ويؤدي هذا التذبذب الى فقدان الطفل النموذج المطلوب الذي يستطيع أن يسير وفقاً له، أو الذي يقوم بتقليده والى جانب عامل التذبذب هذا، فلقد وجد بينت Bennet ١٩٦٠م أن آباء الأطفال السيسيوباتيين كانوا هم أنفسهم سيسيوباتيين، وعلى ذلك تأثر أبناؤهم بسلوكهم السيسيوباتي.

كذلك تلعب العلاقات القائمة بين أفراد الأسرة، والأسرة غير المنظمة أو المفككة تلعب دوراً هاماً في حدوث السيسيوباتية، فقد تتبّع روبنس Robins ١٩٦٦م مجموعة تبلغ ٩٠٪ من مجموع الأطفال المحالين الى عيادات التوجيه النفسي، وذلك على مدى ٣٠ عاماً، وجمع معلومات عن الآباء والأمهات والأسرة. ووجد أن هناك نحو نصف العينة من السيسيوباتيين.

العوامل الوراثية Hereditary factors في نشأة السيسيوباتية:

هل تلعب العوامل الوراثية دوراً في حصول السيسيوباتية؟ بعبارة أخرى هل يرث الفرد نزعاته المضادة للمجتمع، أو نزعاته وميوله الاجرامية وسلوكه الاجرامي، هل يرثه عن الآباء والأجداد؟ هل ينتقل الاجرام للفرد عبر الجينات أو ناقلات الوراثة Genes من الآباء والأمهات والأجداد الى الذرية؟

في الواقع لا توجد دراسات خاصة بأثر الوراثة البيولوجية هذه في السيسيوباتية ولكن هناك كثيراً من الدراسات في مجال الجريمة والاجرام بصفة عامة.

ومن ذلك دراسة هاتشنجز Hutchings ودراسة ميدنك Mednick ودراسة سكولسنجر Schulsinger ١٩٧٢م قد درسوا أطفال التبني Adoptees الذين أصبحوا مجرمين، كما درسوا التقارير الجنائية لآبائهم في التبني وآبائهم البيولوجيين الحقيقيين، ولقد أسفرت هذه الدراسات عن وجود معدلات عالية للاجرام

Criminality بين الأقارب البيولوجيين Biological relations وحتى الدراسات المبكرة التي تناولت التوائم Twins أيدت وجود عامل وراثي في الاجرام من ذلك دراسة لانج Lange ١٩٢٩م ودراسة كرانز Kranrz ١٩٣٦ وكلها تؤيد وجود عامل وراثي Genetic facton في الجريمة، وتأسيساً على هذه الدراسات يمكن افتراض وجود عامل وراثي في السيسيوباتية.

والدراسات الحديثة أيضاً تؤكد هذه النزعة، فلقد وجد أن زيادة من الكروموزوم الذكري Extra Y male chromosome Y في الرجال الذين يرتكبون جرائم العنف Violent Crimes

ومن الدراسات الشيقة في هذا المضمار تلك الدراسة التي أجراها وتكين Witken وزملاؤه الذين درسوا جميع الرجال الذين ولدوا في كوبنهاجن Copenhagen فيما بين هؤلاء و ١٩٤٧م والذين بلغ عددهم ٣١٣٤٦ رجلاً، ولقد اختاروا من بين هؤلاء كل الذين يبلغ طولهم ستة أقدام، ذلك لأنه يعتقد أن الرجال طوال القامة جداً يمتلكون كروموزوم «XYY» ولقد أدى هذا المنهج الى اختيار ٤٥٩١ رجلاً.

ولقد طبقوا اختبارات وفحوصاً للدم، كشفت عن أولئك الذين يوجد لديهم كروموزوم Y بشكل اضافي، ثم جمعوا السجل الجنائي لكل حالة، وتقاريرها الدراسية والمدرسية، كما قاسوا ذكاء هؤلاء الرجال، وفي النهاية استطاعوا تحديد ١٢ رجلاً من حملة الكروموزوم «XYY» ، ومن بين هؤلاء وجدوا خمسة رجال ارتكبوا

جنحة أو أكثر. أما بقية الرجال الذين يمتلكون كروموزوم «XY» فكان منهم ٩,٣٪ مقارنة بـ٤١,٧٪ لأولئك الذين يمتلكون «XYY» كانت لهم سجلات جنائية.

ولكن. لا ينبغي أن نستنتج من هذه الدراسة، وحدها وجود علاقة أكيدة بين وجود كروموزوم «Y» الاضافي والسيسيوباتية، ذلك لأن قياس ذكاء هؤلاء الأشخاص كشف عن انخفاض ذكائهم، وعلى ذلك فمن المحتمل أن يكون انخفاض الذكاء هو العامل المسئول عن السيسيوباتية.

العلاقة بين نشاط المخ والسيسيوباتية:

هل هناك علاقة بين موجات المخ Brain Waves وبين السيسيوباتية؟ لقد كشف مقياس موجات المخ E.E.G. عن وجود علاقة بين المخرجات الكهربائية الشاذة الصادرة عن الدماغ أو المخ وبين السيسيوباتية، حيث كشف هذا المقياس عن وجود موجات مخ منخفضة لدى السيسيوباتيين فالموجات المخية وجدت شاذة لدى مرتكبي جرائم العنف والعدوان والاندفاع.. وهذا هو الذي يجعل من الصعب على السيسيوباتي، على حد قول هير Hare ١٩٧٨م، أن يتعلم كيف يقمع أو يمنع أو يضبط سلوكه الذي يحتمل أن يقوده الى العقاب.

ولكن الانصاف يجعلنا نقرر أن هناك دراسات أخرى كثيرة لم تجد أي شذوذ في الموجات الدماغية للسيسيوباتيين، فالنتائج متعارضة

فيما بينها، ومازلنا في حاجة الى مزيد من الدراسة للوقوف على حقيقة العوامل الوراثية في الجريمة والانحراف، وإن كنا نميل الى تأكيد أثر العوامل البيئية تلك العوامل التي نستطيع أن نتحكم فيها، وأن نغيرها ونعدلها، ونحسن من مستواها، كذلك عامل انخفاض مستوى الآثار الانفعالية

انخفاض مستوى الاثارة الانفعالية:

فمن المعروف أو واحدة من السمات الرئيسية للسيسيوباتي هي عدم استفادته من الخبرات السابقة بما في ذلك ما يقع عليه من عقاب.

وقد يرجع ذلك الى عجزه عن الاستثارة الانفعالية ولذلك فهو لا يخاف ولا يقلق في مواقف الضغط، ففي دراسة لإيزنك Eysenck ١٩٦٠م وجد أن السيسيوباتي يتعلم تعلماً شرطياً ببطء Learning by Conditioning ، كما أن عملية التطبيع الاجتماعي أو التنشئة الاجتماعية Socialization كانت ضعيفة، يضاف الى ذلك أن هؤلاء المرضى لا يشعرون بالأسى أو الندم أو اللوم على أعمالهم الخاطئة، ولا يستفيدون من العقوبة.

ولقد قارن ليكن Lykken ١٩٥٧م ثلاث مجموعات من الناس، طلاب ومجرمون وسيسيوباتيون.. واستخدم معهم مجموعة من الاختبارات، منها اختبارات لقياس السمات، ووجد أن السيسيوباتيين يعانون من نقص في القلق والشعور بالخوف، فلقد

عرضهم لبعض الصدمات، ووجد أنهم لا يتأثرون في التعلم بالصدمات. كذلك وجد أنهم يفتقرون الى الحساسية أو الاحساس بالمعايير الاجتماعية Less Sensitive to Social norms وهذه هي أهم خاصية تميزهم.

وعلى الرغم من القول بأن السيسيوباتيين لا يتعلمون من العقاب الاّ أن هناك دراسة أوضحت أنهم يستفيدون منها وفقاً «لمعاييرهم» فقط.

فلقد أجرى سكموك Schmauk ١٩٧٠م دراسة قدم من خلالها مجموعة متنوعة من العقاب، من بينها أن يفقد العميل مبلغاً من المال على كل خطأ يرتكبه، ولقد أطلق على هذا اللون من العقاب اصطلاح «العقاب الاجتماعي» ولقد وجد أن السيسيوباتي يتحسن تعلمه لتجنب الأخطاء بالمقارنة لألوان أخرى من العقاب كالصدمات.

وعلى ذلك استنتج أن السيسيوباتي يتعلم تجنب العقاب اذا كان العقاب اجتماعياً على هذا النحو، بمعنى أنه اذا وافق معاييره هو وقيمه هو.

ومن سمات السيسيوباتي كما يقرر ايزيك الحاجة الى الاثارة الزائدة أو الجوع في الاثارة Stimulus hunger فلقد صنف هؤلاء المرضى ايزنك بين طائفة «الانبساطيين»[١] وهم في نظره قليلو الاثارة

---

١ ـ الانبساط أحد أنماط الشخصية الثنائية حيث يصنف الفرد اما منطوياً أو منبسطاً.

وفقاً لتركيب جهازهم العصبي، وقليلو القدرة على القمع، ولذلك يبحث السيسيوباتيون عن الاثارة Stimulation والى جانب هذه العوامل الشخصية في نشأة السيسيوباتية فهناك العوامل الثقافية والاجتماعية.

العوامل الثقافية والاجتماعية في نشأة الانحراف:

فإلى جانب العوامل الأسرية والوراثية تلعب العوامل الاجتماعية والثقافية Sociocultural factors دورها في السيسيوباتية، فالأشخاص الذين يعيشون في المناطق المتدنية المستوى Slums يتعرضون لمعايير اجتماعية مختلفة، ويعاشرون نماذج سيئة من الزملاء والأقران، هذه العوامل قد تؤثر في الأشخاص الذين هم مستعدون أصلاً للانحراف. ولاشك أن العوامل المختلفة مسئولة عن حدوث السيسيوباتية بصورة متضافرة متفاعلة.
أما وسائل الوقاية والعلاج فكثيرة ومتعددة.

الفصـــل الثاني

الدراسة العلمية للجريمة

من الموضوعات الهامة التي يساهم فيها علم النفس الحديث دراسة الجريمة، ومعرفة أسبابها والعوامل المتصلة بها من حيث السن والجنس والذكاء والسلالة، وكذلك العوامل البيئية المحيطة بالجريمة، كالظروف الاقتصادية والأسرية، ومعرفة أثر أجهزة الاعلام المختلفة كالاذاعة والتليفزيون والصحافة في الجريمة . . كما يساهم علم النفس في دراسة دوافع الجريمة، والتعرف على المجرمين، واستخدام الأجهزة التي تكشف عن الكذب Lie detectors والى جانب معرفة دوافع الجريمة وطرق التعرف على المجرمين، فإن علم النفس يسهم اسهاماً فعالاً في علاج المجرمين Treating Offenders وتأهيلهم Rehabilitation وخاصة علاج مدمني الخمور والمخدرات والشواذ جنسياً وعلاج الأحداث الجانحين وغيرهم من طوائف المجرمين.

تعريف السلوك الاجرامي:

ولنبدأ مناقشة دراسة سيكولوجية الجريمة بتحديد معنى السلوك الاجرامي Criminal behaviour وأبسط تعريف للسلوك الاجرامي أنه سلوك يعاقب عليه المجتمع ويخرق فيه الفرد القانون أو الشرع.

والمعروف أن القانون الوضعي رغم تغيره بتغير الزمان والمكان، الاّ أنه يعكس المعايير الخلقية التي يقبلها المجتمع ككل Acceptable morality of Society as a group وكلما تغيرت المبادىء الخلقية في المجتمع، كلما تبع ذلك تغير في القوانين التي يسير عليها أفراد المجتمع، وليس من الضروري أن يمتثل جميع أفراد المجتمع "Conform" لجميع القوانين والقواعد والتعليمات، فهناك بعض الأشخاص مثلاً الذين يقبلون خرق القانون فيما يتعلق ببعض الأمور البسيطة كتجاوز السرعة في قيادة سياراتهم، أو يخرقون القانون في تقدير نفقاتهم عند تقديم مستندات الضرائب، ولكنهم لا يقبلون خرق القانون فيما يتعلق بجرائم القتل أو السرقة أو الزنا أو الرشوة، كذلك المعروف أيضاً أن القانون قد يكون جائراً وقد تكون الجماعة كلها على خطأ بينما الفرد أو مجموعة الأقلية هي الصواب. وعلى ذلك فليست هناك حدود فاصلة حاسمة بين السلوك الاجرامي والسلوك غير الاجرامي. ولسهولة الدراسة فإننا نعتبر السلوك الاجرامي هو الذي تدلنا عليه الاحصاءات الرسمية أي ذلك السلوك الذي تعلم به أجهزة الأمن وتسجله

حجم الجريمة في المجتمع الأمريكي:

وليس هناك من شك في أهمية دراسة الجريمة والعمل على مكافحتها وتقليل نسبة حصولها، وللجريمة آثار سيئة على الاقتصاد

١ ـ لمعرفة نظرية الامتثال راجع كتاب الباحث (أمراض العصر) دار المعرفة الجامعية. مصر. الاسكندرية.

القومي، واليك بيانات احصائية عن الجرائم في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٣م لتوضيح حجم مشكلة الجريمة:

نوع الجريمة	العـــدد	٪
القتـــل	٨٥٠٤	٠,٤
اغتصاب النساء بالاكراه Rape	١٦٤٠٤	٠,٧
السرقـــة	١٠٠١٥٦	٤,٤
الضرب الشديد Aggravated assault	١٤٧٧٥٧	٦,٥
السطو على الأماكن Burglary	٩٧٥٨٧٩	٤,٣
اختلاس أموال الغير Larceny	٦١١٣٩١٠	٢٧,١
سرقة السيارات Auto theft	٣٩٨٩٩٠	١٧,٧
المجموع الكلي[1]	٢٢٥٩٠٨١	

1 - Hoover J. E. Crime in the United States.

ويتضح من الجدول أن أكثر الجرائم انتشاراً هي جرائم اختلاس أموال الغير ٢٧,١٪ من مجموع الجرائم المسجلة، ويلي ذلك جرائم سرقة السيارات (١٧,٧٪) أما أقل الجرائم انتشاراً فهي جرائم القتل (٤,٠٪) وجرائم اغتصاب النساء بالإكراه (٧,٠٪) وان كان من المعروف أن الجرائم تختلف في شدتها فالقتل أكثر خطورة.

وواضح من هذا الجدول أن هناك حوالي ٢,٢٥ مليون جريمة خطيرة كالقتل والسرقة في عام ١٩٦٣م ومعنى هذا أنه كان هناك حادث خطير يقع كل دقيقة في غضون عام ١٩٦٣م في الولايات المتحدة الأمريكية، وعلى الرغم من هذه الاحصائية وغيرها جامدة صماء الاّ أننا نستطيع أن نتصور مدى الشعور الانساني بالبؤس والشقاء الذي ترتب على مثل هذا العدد الضخم من الجرائم، كذلك نستطيع أن نتصور الجهد والطاقة والمال الذي ضاع بسبب هذه الجرائم.. ومن المقرر أن نسبة الجرائم تزداد في الولايات المتحدة الأمريكية على نسبة المواليد، ففي الفترة من ١٩٥٨م حتى ١٩٦٣م زادت الجرائم بنسبة ٤٠٪ بينما لم يزد تعداد السكان الاّ بنسبة ٨٪ تقريباً.

والمعروف كذلك أن الاحصاءات لا تشتمل على جميع الجرائم والمخالفات التي وقعت فعلاً، فهناك بعض الحالات التي يعالجها رجال الشرطة أو رجال الأمن دون تقييدها، وهناك حالات لا يبلغ عنها أصحابها، وهناك جرائم بسيطة لا تدون في الاحصائيات الرسمية التي ترسل للحكومة المركزية في الولايات المتحدة الأمريكية

إن السلوك الاجرامي هو سلوك مضاد للمجتمع Antisocial Behaviour وهو ولا شك كأي نوع آخر من أنواع السلوك الشاذ أو غير السوي No Normal Behaviour، ولذلك فإن الشخص المجرم لا يختلف عن الشخص المريض الذي يأتي أيضاً بالسلوك الشاذ.

والسلوك الشاذ من الموضوعات الهامة والأساسية في علم النفس ولذلك فإن علماء النفس يدعون لامكان تعديل السلوك Modification of behaviour كما يدعون الى فهم السلوك في ضوء من الحتمية السيكولوجية[1] Psychological determinism، فالسلوك يتعدل عن طريق عمليات التعلم Learning Processes وكذلك عن طريق الدافعية Motivations كذلك فإننا نستفيد من مبادىء الصحة العقلية، ومن طرق العلاج والوقاية النفسية ومن وسائل العلاج والتأهيل ووسائل النهوض بالصحة العقلية للفرد، وسوف نرى أن الفرد لا يعيش في فراغ، كما أنه ليس حراً في أي موقف من المواقف حرية مطلقة، بل انه محاط بمجموعة من العوامل التي تحتم عليه الاتيان بالسلوك الاجرامي.[2]

---

١ ـ يشير مبدأ الحتمية السيكولوجية لأن سلوك الانسان محتوم عليه بسبب ما يوجد لديه من دوافع وما يخضع له من ظروف.

٢ ـ لمعرفة أساليب تغيير السلوك وتعديله راجع كتاب المؤلف «دراسات في علم النفس الاجتماعي». دار النهضة العربية. بيروت. لبنان

تفسير السلوك الاجرامي:

ولا يمكن القول بأن الفرد مجرم لأنه ولد مجرماً بالوراثة، ذلك لأن السلوك الاجرامي محصلة لمجموعة العوامل البيئية والوراثية التي تتفاعل وتتضافر في فرد معين.

Behaviour of a person is the product of environmental and herditary influence".

ولذلك فإن على المجتمع أن يساعد الفرد على اكتساب الخبرات السليمة التي تجعله مواطناً ملتزماً أو ممتثلاً بدلاً من النزوع للجريمة

وسوف نتناول دور علم النفس في التعرف على المجرمين أو اكتشافهم، ودور علم النفس في قاعات المحاكم ودور الشهود والمحلفين، وكذلك دور علم النفس في علاج المجرمين ودوره في الوقاية من الجريمة.

التعرف على السلوك الاجرامي وأساليب الادانة:

يتمتع الفرد في ظل المجتمعات المتحضرة بقسط كبير من الحرية، ومن الحماية، ويتحقق ذلك عن طريق القواعد والتعليمات والقوانين التي تحمي حقوق الفرد داخل الجماعة، وعلى كل فرد أن يتنازل عن قسط من حريته عن طريق طاعة القواعد والقوانين التي تحمي حقوق الآخرين. والتي تحقق لهم ذلك القدر من الحرية الذي يتمتع به هو.

والقواعد المكتوبة والمحددة والتي تعكس رغبات الجماعة يطلق عليها اسم «القانون»[1] وعلى ذلك فالسلوك الاجرامي يصبح عبارة عن خرق القاعدة أو التعليمات التي تسمى قانوناً، وحيث أن الحضارة تتغير بمرور الوقت، فإن القانون لابد أن يتغير بمرور الوقت[2] أيضاً، كذلك فإن المعايير أو توقعات السلوك في المجتمع تنعكس في شكل قوانين، ولذا فإن هذه القوانين نسبية ومتغيرة.

وهناك فرق بين السلوك المضاد للقوانين والسلوك المضاد لمبادىء الأخلاق العامة، فالرق Slavery أو الجنسية المثلية تعد من الناحية الخلقية خطأ، ولكنها ليست دائماً خطأ من الناحية القانونية Legally wrong في بعض المجتمعات الأوروبية كالمجتمع الانجليزي مثلاً. ويتطلب ذلك صياغة مستمرة لقوانين جديدة تعكس المعايير الخلقية في المجتمع، ولكن اصدار القوانين الجديدة يسير ببطء شديد، ولذلك فإن هناك فرصة كبيرة أمام رجال السلطة ورجال القضاء في تفسير القوانين واصدار الأحكام على ضوء فهمهم للقانون في ضوء الظروف الاجتماعية المتغيرة.

إن السلوك الاجرامي ليس مجرد خرق القانون أو القاعدة. إن خرق القانون ماهو الا المظهر التشريعي لوصف السلوك الاجرامي. ولكن قد يرتكب بعض أنماط السلوك الاجرامي دون أن

---

1 - Brown, J.M. and Others, Applied Psychology, Publishing Co., Put Ltd, New York, London, 1960.

٢ ـ يختلف هذا الوضع في ظل الوضعية عن أحكام الشريعة الاسلامية التي تمتاز بالثبات والاستمرار والدوام.

يتعرض لطائلة القانون، كذلك فإن الفرد قد يستمر في أداء بعض العادات المتأصلة حتى بعد صدور بعض التشاريع التي تحرم القيام بمثل هذا السلوك.

إن العادات والتقاليد لا تتغير بنفس السرعة التي تتغير فيها القوانين، ومثل هذا السلوك الاعتيادي، رغم مخالفته للقانون الجديد، الآ أنه ليس سلوكاً اجرامياً حقيقة، ويعجز الفرد عن تغيير عاداته السلوكية بحيث تتمشى والقوانين الجديدة.

ومن الناحية السيكولوجية البحتة، فإن المجرمين أناس يتورطون في أنواع من السلوك الخارجي غير القانوني نظراً لوجود بعض الضغوط الداخلية وبعض الاضطرابات المرضية ولوجودهم في وسط ظروف معينة وذلك لاشباع حاجاتهم ودوافعهم.

Real Criminals are people involved in acting out of unlawful behaviour due to internal stress and pathological distortion, so that they can satisfy their moods, or motivations[1].

ومن واجبات المشتغلين بالمهن القانونية فهم القوانين المتصلة بأعمالهم، وتعتبر وظائفهم بل ووظائف القانون ضبط السلوك، أي ضبط سلوك الأفراد، كذلك نحن نذكر أن موضوع السلوك يعتبر من الاهتمامات الرئيسية لعلماء النفس حيث يضعون النظريات التي تفسر دوافع السلوك عند الانسان والحيوان.

---

1 - Ibid

والواقع أن الفهم الكامل للسلوك الانساني والتنبؤ به والتحكم فيه يشمل كل فروع علم النفس، وكل فروع القانون. ولاشك أن هناك كثيراً من مظاهر الارتباط والاتصال والتعاون والاهتمام بين المهن السيكولوجية والمهن القانونية.. ويهتم علم النفس بالتعرف على السلوك الاجرامي، كما يهتم بدراسة العوامل الشخصية والعوامل البيئية المتصلة بالسلوك الاجرامي.

وفي معظم بلاد العالم لا يعتبر الفرد مجرماً الّا اذا ثبتت ادانته، وعلى مدعي الاتهام تقديم الأدلة الكافية أمام القضاء للبرهنة على ادانة المتهم.[1]

هناك بعض الناس الذين لا يزالون يصرون على أن المجرم يمتاز بتكوين فسيولوجي وسلالي معين، ومعنى هذا ارجاع النزعات الاجرامية في الفرد الى عوامل جسمية أو سلالية.

نظرية لامبروزو في تفسير السلوك الاجرامي:

في أواخر القرن التاسع عشر قام أحد علماء الفيزياء العسكرية الايطاليين وهو لامبروزو Lombroso سنة ١٩١١م بدراسة المجرمين. كانت الأساس في الاعتقاد أن المجرمين لهم نمط معين..

---

١ ـ وفي ظل شريعتنا الاسلامية الغراء توجد القاعدة: «البينة على من ادعى واليمين على من أنكر» وللاسلام فضل السبق في التشاريع القضائية.

لقد درس لامبروزو فراسة الوجه أي ملامح الوجه الظاهرية Physiognomy عند ٧ ـ ٥٩ مجرماً، واستنتج أن المجرم يمتاز ببعض الصفات منها طول الفك السفلي، وفرطحة الأنف، وله جمجمة متناسقة الأجزاء Symmetrical Cranium وغير ذلك من الصفات الفسيولوجية[1] مثل هذه النظرية للأسف الشديد مازال يقبلها الكثيرون.. ولكن أعمال الباحثين بعد لامبروزو قد أوضحت أنه لا يوجد الاّ قليل من الصفات الفسيولوجية للمجرمين، تلك التي يمكن عزلها وبيان اختلافها عند المجرمين منها عند بقية سكان المجتمع العام.

هناك بعض الأدلة التي يبدو أنها تشير إلى أن بعض الأنماط الفسيولوجية ترتبط ببعض أنماط الجرائم، ولكن هذه الأدلة ضعيفة، وعلى وجه العموم، المجرمون ليسوا بمجرمين بسبب بعض الصفات الفسيولوجية، ولكنهم كذلك بسبب بعض العوامل البيئية والسيكولوجية

إن الفرد يبدي بعض مظاهر السلوك الاجرامي عندما يتعرض لبعض المؤثرات الاجرامية، أو عندما يمتلك دوافع قوية نحو العدوان، أو عندما تعتريه الرغبة القوية في الانتقام بسبب ما يعانيه من الشعور بالذنب، أما الأسباب النوعية للجريمة فلا يمكن عزلها، وأغلب الظن أنها لن تعرف طالما ظل الباحثون يقصرون بحوثهم على

---

١ تشير الفسيولوجيا الى علم وظائف الأعضاء.

الجرائم التي يدان فيها الأشخاص أو يقصرون دراساتهم على الأشخاص الذين يتم القبض عليهم لأن هناك كثيراً من مظاهر الاجرام لا ينتج عنها ادانة أحد ولا يقبض فيها على أحد.

ويبدو جلياً أن المجرم ينمو نتيجة تفاعل سمات شخصية أو بعض السمات السيكولوجية مع بيئته

وكان المجرم بالميلاد Born Criminal عند لامبروزو هو ذلك الانسان الذي فيه ارتداد الى الانسان الأول، وأنه بمثابة التجسيد الحاضر للمخلوق القديم، والذي تتوفر لديه وجهات الانحلال Degenerative stigmata والتي منها (عدم انتظام شكل الجمجمة، وضخامة الفكين، وبروز عظام الخد، ورقة الشفة العليا عن السفلى، وضيق الجبهة، وانحدار وكثافة الحاجبين، وشعر الجسم، مع ضعف نمو اللحية، وكبر الأذنين، وبروزها الى الخارج، وشذوذ تركيب سقف الحلق والأسنان.. ثم أضاف لتلك الصفات الجسمانية بعض الصفات النفسية المتمثلة في ضعف الاحساس بالألم، ورغم تأكيد لامبروزو على المجرم بالميلاد والمجرم المجنون والمجرم المصروع العاطفي في أعماله الأخيرة وكذا على العوامل الاجتماعية[1] الآ أن هذه النظرية لا يقبلها علماء الاجرام في الوقت الحاضر

١ ـ الدكتور السيد علي شتا. علم الاجتماع الجنائي. دار الاصلاح. السعودية. الدمام: ١٤٠٤هـ.

دلالة الاحصاءات:

وهناك بعض التحفظات التي لابد أن تؤخذ في الاعتبار عند تفسير احصاءات السلوك الاجرامي، منها وجود اختلاف بين الجهات المحلية التي تقوم بتسجيل الجرائم، واختلاف طرق التسجيل والحصر من جهة الى أخرى، كذلك لا تقع كل الجرائم تحت ملاحظة رجال الشرطة، وليس كل الجرائم ذات أهمية بحيث تظهر في الاحصاء، وهناك بعض الجرائم الهامة، ولكنها لا تحدث كثيراً، ولذلك ليس لها وجود في الاحصاءات على الرغم من أهميتها، فهناك بعض الجرائم الهامة، ولكنها نادرة الحدوث أو لا تحدث بطريقة منتظمة.

إن احصاءات الجرائم لا تأخذ في الحسبان عدد الأفراد الذين يشتركون في جريمة معينة، فالجريمة التي يقوم بها فرد واحد تسجل جريمة واحدة، وكذلك الجريمة التي يشترك فيها خمسة أفراد تعتبر جريمة واحدة أيضاً، وبالمثل فإن السرقات التي تتم بين الأصدقاء أو بين العامل وصاحب العمل، فإنها لا تسجل ولا تظهر في الاحصاءات. . وعلى هذا النحو الجرائم البسيطة لا تسجلها احصاءات رجال الأمن، وعلى سبيل المثال تجاوز قائد السيارة لخطوط الوقوف أمام اشارات المرور، أو توقف السيارة في مكان ممنوع، أو وقوف السيارة في مدة تزيد على المدد المسموح بها، كلها أفعال غير قانونية ولكنها لا تدخل ضمن احصاءات الجرائم.

إن تفسير الجرائم لابد أن يكون بالرجوع الى بعض الأسس الثابتة، كنسبة عدد الجرائم الى عدد السكان ولتوضيح ذلك لا يعقل

أن نقارن مخالفات السيارات في عام ١٩٢٠م بهذه المخالفات عام ١٩٧٠م، لابد من الرجوع الى عدد السيارات في هذين التاريخين، أو نسبة هذه المخالفات الى مجموع المسافات التي قطعتها السيارات جميعاً.

ويحدث خلاف في الرأي بين السيكولوجي الذي يؤمن بالحتمية السيكولوجية، وبأن الفرد ليس حراً ولا يمتلك ارادة حرة وبين رأي المدعي العام أو ممثل الاتهام الذي يؤمن بأن للفرد ارادة حرة Free will ولكن من المهم أن نقرر مسئولية الفرد، عن السلوك الذي يقوم به مهما كان والاّ ضعف سلطان العدالة، ووجد كثير من المجرمين مخرجاً من طائلة العقاب، ويؤدي ذلك الى انتشار الجريمة، حقيقة ان الفرد ليست له ارادة حرة في كل موقف، ولكنه يتصرف كما لو كانت له ارادة حرة، وذلك نتيجة لخبراته السابقة، وللصفات الفطرية الموروثة، اننا لا نعرف كل العوامل المسئولة عن السلوك، ولا نستطيع أن نتحكم في السلوك تحكماً تاماً أو نتنبأ به تنبؤاً صادقاً وطويل المدى، ولكن هناك اتفاقاً بين غالبية الناس أن الشخص المريض عقلياً يحتاج الى مساعدة، ولا يستطيع أن يعالج نفسه، وبالمثل يجب أن يمتد هذا المفهوم الى الشخص المجرم، ان السلوك الاجرامي ماهو الاّ نوع من السلوك الشاذ المرضي يحتاج الى العلاج كما تحتاج الأمراض العقلية الى العلاج والرعاية[1]

---

١ ـ ولذلك كانت من حكمة اسلامنا الحنيف الاهتمام بوسائل الوقاية من الوقوع في الجريمة وتوعية الناس وارشادهم ونصحهم وحثهم على الفضائل.

ان الشخص الذي يتصرف في موقف معين تصرفاً يعتبر اجرامياً انما يفعل ذلك نتيجة لمجموعة من العوامل الشخصية والبيئية.

العوامل الشخصية في الجريمة: Personal factors

هناك كثير من العوامل الشخصية التي تتصل بالجريمة، مثل السن والجنس أو السلالة فيما يتعلق بالسن فقط لوحظ ان السجناء في الولايات المتحدة الأمريكية يغلب عليهم أن يكونوا في سن الشباب.

عامل السن:

وتدل الاحصاءات على صغر سن مجتمع السجناء عن بقية سكان المجتمع الأصلي، ولقد وجد أن أعلى نسبة من المقبوض عليهم كانت بين أرباب سن ٢١ سنة، وذلك بالقياس الى مجاميع العمر المختلفة التي تبدأ من أقل من ١٥ سنة الى أكثر من ٥٠ سنة والجدول الآتي يوضح علاقة السن بعدد المقبوض عليهم.

السن	النسبة المئوية
٤٠ ـ ٥٠	١٧,٧
٣٠ ـ ٤٠	٢٠,١
٢١ ـ ٢٩	٢٠,-
أقل من ٢١	٢٦,٧

ولكن هذا الاحصاء ليس معناه بالضرورة ارتكاب صغار السن الجرائم بنسبة أكبر من المتقدمين في السن، وذلك لاحتمال تمكن الكبار من الفرار واخفاء الشبهات، وبذلك لا يقبض عليهم، بحكم نضجهم وخبراتهم ومن المحتمل أيضاً أن يؤدي التقدم في السن حقيقة الى استقامة الفرد وعدوله عن الجريمة.

المجرم العائد:

وهناك حقيقة أخرى متعلقة بالسن وبالأحداث الجانحين Juvenile delinquents وهي وجود نسبة عالية لعودتهم للسجن بعد أن يفرج عنهم فنسبة العودة للجريمة بالنسبة لمجموع المجرمين تبلغ ٦٠ ـ ٧٠٪ أما عندما يبدأ الفرد حياته الاجرامية في سن مبكرة فإن هناك فرصة أكبر أمامه لتكرار الجريمة والعودة اليها، وخاصية العودة هذه Recidivism من خواص الأحداث الجانحين، وهناك زيادة ملحوظة في نسبة جرائم الأحداث الصغار في الولايات المتحدة الأمريكية، فقد زاد المعدل في المدة من ١٩٤٨ ـ ١٩٦٠م بنسبة ١٠٠٪ حدثت هذه الزيادة في عدد من الحالات التي تحال الى محاكم الأحداث هناك، ويبدو أن برامج الوقاية والعلاج لم تسفر عن أية فائدة. ولقد قامت دراسات تستهدف التعرف على الأطفال الذين يحتمل أن يصبحوا أحداثاً في مستقبل حياتهم، وأوضحت مثل هذه الدراسات أنه يمكن تمييز الظروف الأسرية وعوامل الشخصية عند الجانحين عن مثيلاتها عند الأسوياء، فقد أجرى كافاراسيوس Kvaraceus W.C. دراسة عن التنبؤ بالجنوح ١٩٦٢م Forecating delinquency على أطفال المدارس

ووجد أن هناك ارتباطاً بين تقدير المدرسين لسلوك التلاميذ والسلوك الانحرافي فيما بعد، وكانت دراسة تتبعية[1] استغرقت ثلاث سنوات.

وتوضح الدراسات الخاصة بالأحداث الجانحين أن هذه النسبة عالية في المناطق المتدهورة من المدن الكبرى Deteriorated or blighted sections of large cities أكثر منها من الضواحي أو المناطق الأقل تحضراً. ترتبط الجرائم بنوع الحياة التي يحياها الناس في المجتمع.

ان نمط الحياة داخل الجماعات المعنية يؤثر في قبول الجماعة أو رفضها للسلوك الاجرامي. ولكن يجب أن نذكر أن الغالبية الساحقة من أبناء البيئات الفقيرة لا يصبحون مجرمين بالضرورة، ولذلك فلابد من افتراض وجود عوامل أخرى بجانب البيئة الفيزيقية والاجتماعية للفرد وكذلك بجانب عامل السن.

أثر عامل الجنس في الجريمة:

فيما يتعلق بعنصر الجنس Sex فأيهما يتوقع أن يرتكب كثيراً من الجرائم البنون أم البنات؟ ان الاحصاءات تدل على وجود فروق شاسعة في نسبة ارتكاب البنين والبنات للجرائم، فلقد وجد هوفر Hoover أن نسبة جرائم البنين الى البنات تبلغ ٨ : ١ أو يسبق البنون

---

١ - يشير المنهج التتبعي من الدراسة الى تناول الباحث عينة واحدة من الأفراد وتتبعهم عبر مراحل عمرهم المختلفة لمعرفة التغيرات التي تطرأ على سلوكهم وعلى شخصياتهم.

البنات في معظم الجرائم ماعدا بعض مظاهر السلوك الاجرامي حيث تفوق نسبة البنات في جرائم مثل الزنا أو البغاء التجاري وهنا نتساءل عن سبب زيادة جرائم البنين عن البنات.

ترجع هذه الزيادة الى عدة عوامل، منها اختلاف القدرات الفيزيقية عند البنين والبنات كذلك فإن البنات يخضعن لحياة حاسمة[1] مقيدة restricted life حتى في المجتمعات المحلية التي تسمح بنمو الجريمة، فإن الآباء يرغبون في بقاء الإناث من أعضاء الأسرة قريباً من البيت لا يسمحون لهن بالتحرر، وهناك تساهل في القبض على البنات وفي محاكمتهن حيث لا تستخدم سلطات الأمن معهن نفس الشدة التي تستخدمها مع الذكور.

عامل السلالة: Race Factor

وهناك بعض الادعاءات أن بعض السلالات أو الجماعات البشرية ترتكب جرائم أكثر من غيرها، وذلك بالقياس الى نسبة عددهم في المجتمع الأصلي، وعلى سبيل المثال يقال ان الزنوج Negroes في الولايات المتحدة الأمريكية يرتكبون نسبة عالية من الجرائم، ولكن الأدلة على مثل هذا الادعاء تختفي عندما تؤخذ جميع العوامل في الاعتبار مثل عامل البيئة والمستوى الإقتصادي

١ ـ تمتاز المجتمعات الاسلامية بوضع قيود على سلوك الاناث بحيث لا يسمح لهن مثلاً بالسهر خارج المنزل بمفردهن أو الاختلاط.

والاجتماعي والدخل، والسن والذكاء وما الى ذلك.. يجب أن نفسر الاحصاءات بكثير من الحذر، وان تفحصها فحصاً جيداً قبل الوصول الى استنتاج معين وخاصة اذا كنا بصدد الوصول الى علاقة سببية أو علاقة علة ومعلول Cause- and effect relations

كما ينبغي أن نستفيد من الاحصاءات في اجراء مزيد من البحوث المتقدمة، ففي احصاء الجرائم في الولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٦٣م وجد أن هناك حوالي ٧٠٪ من المقبوض عليهم بواسطة الشرطة كانوا من البيض، بينما كانت نسبة غير البيض ٣٠٪ فقط، والمعروف أن نسبة غير البيض في الولايات المتحدة الأمريكية تبلغ ١٤٪ من مجموع السكان، ومعنى هذا أن نسبة غير البيض في ارتكاب الجرائم نسبة كبيرة، ولكن ينبغي أن نشير الى أن هذه البيانات قد تتضمن بعض التحيز ضد غير البيض. فهناك حالات من المخالفات تتجاهلها الشرطة اذا ارتكبها شخص أبيض. على حين يقبض على فاعلها اذا كان غير أبيض.

وبطبيعة الحال لا ينطبق هذا التساهل على الجرائم الخطيرة كالقتل والسرقة، والى جانب ذلك فإن الأشخاص الملونين Non-Whites يعيشون في الغالب في بيئات تشجع السلوك المضاد ومن ثم يقبض عليهم.

ويذهب كثير من علماء الاجرام الى تأكيد حقيقة شعور الملونين بالنقص، وشعورهم بعدم الأمان، وفقدان الشعور باحترام الذات، كذلك فإن الظروف الأسرية غير المستقرة، والوقوع

تحت المؤثرات الاجرامية تزيد من حدوث السلوك الاجرامي، ويحتمل أن تؤثر هذه العوامل وهناك بعض الجرائم التي تزيد نسبتها عند البيض منها عن الملونين، من ذلك سرقة المنازل، وسرقة السيارات، والجدول الآتي يوضح عدد الجرائم في شكل نسب مئوية بالنسبة للسلالة فيما يتعلق بالجرائم الخطيرة في الولايات المتحدة الأمريكية خلال عام ١٩٦٣م.

نوع الجريمة	نسبة البيض	الملونون	الفرق
القتل	٤٢,٩	٥٧,١	٤,٢
الاغتصاب(هتك العرض)	٥٢,١	٤٧,٩	٤,٢
السرقة	٤٥,٧	٥٤,٣	٨,٦
الضرب الشديد	٤٣,٨	٥٦,٢	١٢,٤
سرقة المنازل	٦٨,٨	٣١,٢	٣٧,٦
الاختلاس	٦٩	٣١	٣٨
سرقة السيارات	٧٣,٣	٢٦,٧	٤٦,٦

ويوضح هذا الجدول أن نسبة الجرائم التي ترتكب ضد الأشخاص تزيد نسبتها عند غير البيض، ومن أمثلة ذلك القتل والاصابة وهتك العرض والسرقة.

أثر الذكاء في الجريمة: Intelligence

من العوامل الهامة في دراسة الجريمة عامل الذكاء فما أثره في الجريمة؟

استمر كثير من علماء النفس وعلماء الاجرام يعتقدون، لمدة طويلة أن انخفاض الذكاء عامل أساسي في ارتكاب الجريمة، وعلى سبيل المثال يذهب جودار ١٩٢٠م جودارد H.H. Goddard في كتابه «الكفاءة الانسانية ومستويات الذكاء» يذهب الى القول إن جميع البحوث التي أجريت على عقليات المجرمين والأحداث ومرتكبي الجنح Misdemeanants وغيرهم من الجماعات المضادة للمجتمع لها ذكاء منخفض، يقول إن أهم الأسباب في جنوح الأحداث وفي الجريمة انخفاض مستوى الذكاء، فمعظم هؤلاء المجرمين من ضعاف العقول، ولكن مثل هذا الرأي مبالغ فيه، فهناك كثير من الدراسات التي وضحت أن ذكاء الطوائف المضادة للمجتمع يقترب من الذكاء العام للمجتمع. . وعلى الرغم من أن كثيراً من الدراسات توضح أن أفراد مجتمع السجناء تنخفض نسبة ذكائهم عن متوسط الذكاء العادي بالنسبة للسكان أو بالنسبة لأفراد المجتمع، ولكن في الواقع هناك بعض المجرمين الأذكياء الذين لا نلاحظهم داخل مجتمع السجناء، وان الأشخاص الأكثر ذكاء يكونون أكثر قدرة في الدفاع عن أنفسهم في قاعات المحاكم، ومن ثم لا يحكم عليهم بالادانة ولا يدخلون السجن.

ولقد أجرى براون J. M. Brown دراسة لمعرفة قدرات نزلاء أحد السجون الريفية في الولايات المتحدة الأمريكية، وكان مجموع هؤلاء النزلاء ١٢٠ رجلاً. وكانت أحكامهم صغيرة لا تزيد على أربع سنوات، ثم طبق اختباراً لقياس القدرة العقلية على ٣١نزيلاً، تتراوح أعمارهم بين ١٨، ٤١ سنة، وكانت مدة تعليمهم في المتوسط

٩,٥ سنة، ووجد أن متوسط نسبة ذكائهم تبلغ ٩١[1] . . وإذا أخذنا مستوى سنهم ومستوى تعليمهم الرسمي فإننا نقول ان السجن المتوسط لا يختلف في ذكائه عن الفرد العادي المتوسط . . ولقد درس كافارسيوس Kvaraccus العلاقة بين الذكاء وجنوح الأحداث ووجد أن معامل الارتباط بينهما يتراوح بين ٠,٢٨ : ٠,١٧، ولم تكن هذه الارتباطات ذات دلالة احصائية.

وفي دراسة أخرى وجد هذا الباحث ارتباطاً[2] سلبياً بين الذكاء وبين جنوح الأحداث، وذلك بين تلاميذ احدى مدارس التربية الخاصة المخصصة لضعاف العقول، بمعنى أن الطفل الأكثر ذكاءً يكون أكثر ميلاً لارتكاب الجريمة، وقد يكون ذلك ناتجاً عن شعور الطفل الذكي بعدم الرضا وبالصراع اذا ما وضع في مدرسة مخصصة لضعاف العقول.

وعلى العموم. فإن العلاقة بين الذكاء والجريمة، بوجه عام، ليست واضحة أو حاسمة، ولكن هناك علاقة بين نوع الجريمة وبين الذكاء، فالأشخاص أصحاب الذكاء العالي يرتكبون الجرائم التي

---

١ ـ تعتبر هذه النسبة دون المتوسط حيث تبلغ نسبة ذكاء الشخص العادي ١٠٠ وهو الشخص الذي يتساوى عمره العقلي مع عمره الزمني.

٢ ـ تشير معامل الارتباط الى قياس العلاقة بين متغيرين كالذكاء والجريمة، واذا كان معامل الارتباط موجباً عبر عن علاقة طردية اما اذا كان سالباً فيعبر عن علاقة عكسية بين المتغير بين موضوع القياس.

تتطلب قدرة عقلية عالية مثل جرائم الاختلاس والنصب والاحتيال والغش والسرقات المدبرة تدبيراً محكماً وجرائم التزوير أو التزييف وتزييف العملة والتجسس والجرائم السياسية

أما المجرمون أرباب الذكاء المنخفض فإنهم يتورطون في جرائم السرقة والقتل والضرب assault ولقد درس كاهان ١٩٥٩م Kahn-M.W. 1959 سمات الشخصية والذكاء والتاريخ الاجتماعي لجماعتين من المجرمين: جماعة من القتلة وجماعة من لصوص المنازل. . ولقد أحيل أفراد المجموعتين الى أحد المستشفيات العقلية لفحصهم وتقدير مدى مسئوليتهم فيما ارتكبوه من جرائم أي لتحديد مدى اصاباتهم بالجنون القانونيlegal insanityومعظم هذه الحالات لم تدان جنائياً بسبب الجنون. . ولقد طبق عليهم اختبار وكسلر بلفيو للذكاء Wechsler- Bellevue Intelligence test وكان متوسط ذكاء القتلة ٩٤,١ ومتوسط ذكاء لصوص المنازل ـ ١٠٣ وكان الفرق بين المتوسطين ذا دلالة احصائية.

ويوضح تفوق ذكاء اللصوص على ذكاء القتلة أن النشاط الاجرامي يختلف باختلاف الذكاء بالمثل، كما يختلف ذكاء الأفراد باختلاف المهن التي يشغلونها، فذكاء مديري العموم يختلف عن ذكاء «بيّاض النحاس».

سمات الشخصية والجريمة:

ان العلاقة بين الاجرام والاضطراب الانفعالي ليست كبيرة جداً، ولكن هناك بعض سمات الشخصية التي ترتبط بالسلوك الاجرامي، ويذهب سكوسيلر وكريسي Schuessler K. F. and Cressey D. 1950.

في دراستهما لسمات شخصية المجرمين الى القول بأن سمات الشخصية موزعة في المجرمين بنفس الطريق التي توزع بها عند أفراد المجتمع الأصلي.

ولكن بعد هذه الدراسة (١٩٥٠م) ظهرت بحوث أخرى تؤكد أن هناك سمات شخصية معينة ترتبط بالسلوك الاجرامي، وعلى سبيل المثال لقد طبق بانتون (١٩٥٩م) Panton اختبار الشخصية[1] المتعددة الأوجه M.M.P.I. ووجد أن النزلاء يحصلون على درجات عالية في مقاييس التعصب، وعلى درجة سيئة في المسئولية، وفي السيطرة والاعتماد على الغير، وفي قوة الذات الوسطى Ego وكانت درجاتهم هذه تزيد زيادة ذات دلالة عنهاعند غير السجناء.

وفي دراسة أخرى لكل من هاناواي وموناكاني (١٩٥٧م) S.D. Monache and Hathaway. S. R. عن شخصية الصبية فيما قبل الجنوح، حيث طبقا «اختبار الشخصية المتعددة الأوجه» أيضاً

---

١ - اختبار الشخصية المتعدد الأوجه من الاختبارات المعربة والمستخدمة في البيئات العربية ويتكون من ٥٦٦ سؤالا ويقيس مجموعة كبيرة من العوامل المرضية.

وخضعوا للمتابعة الباحثين لمدة ٤ سنوات ونصف السنة ثم طبقا مقياساً للجنوح، فوجدا أن هناك ٣٣ مفردة من مفردات اختبار الشخصية المتعددة الأوجه والبالغ عددها ٥٥٦ مفردة، كما وجدا أن هذه المفردات تختلف اختلافاً جوهرياً عند الجانحين منها عند الأسوياء، وجدا أن هناك سمات مثل حب الخطر والشعور بالضجر من القيود تظهر أكثر عند الجانحين منها عند الأسوياء.

ولقد قرر فردمان L. Z. Freedman ١٩٦١م أن هناك ثلاثة أنواع من الشخصية في ثلاثة أنواع من السلوك الاجرامي، وكان السلوك الشاذ أو المنحرف عبارة عن الآتي:

١ ـ الانحراف الجنسي. ويتعلق بالشهوة والمثيرات المتصلة بالنواحي التناسلية Genital

٢ ـ الانحراف العدواني: يتصل باستخدام القوة والعنف والسلوك الضار المؤذي الموجه الى شخص آخر.

٣ انحراف حب التملك Acquisitive ويتعلق بالاستيلاء غير الشرعي على أملاك الغير دون استخدام العدوان Aggression

واستنتج فردمان من دراسته هذه أن الشخص المنحرف نحو حب التملك يتأثر بالجماعة أكثر من زميليه العدواني والمنحرف جنسياً.. حيث يعتديان على المجتمع فردياً.. أما حب التملك فعبارة عن تقليد ضد ثقافة المجتمع، أما الشخص العدواني، وكذلك المنحرف جنسياً فشخص فردي.

على الرغم من أن هناك كثيراً من الدراسات التي تسجل

ارتباطاً ايجابياً بين سمات الشخصية وأنماط مختلفة من الجرائم الاّ أن هناك بعض الدراسات التي تلقي بعض الشك على مثل هذه العلاقة، أجريت دراسة مقارنة بين روح التعاون Cooperativenss بين مجموعة طلاب الجامعة ومجموعة من السجناء، وكلف أفراد المجموعتين بالقيام بلعب مباراة معينة، بحيث يشترك كل اثنين من أفراد كل فريق في حل لغز معين. . وينجح هذان الفردان في حل المشكلات أكثر اذا تعاونا معاً. وكانت النتيجة أن الباحث لم يجد أي فرق في التعاون والتضافر بين أفراد المجموعتين بل انه يلاحظ ان أفراد المجموعتين أظهروا نوعاً من التنافس Competition، على الجملة تدل معظم الدراسات الحالية على عدم وجود اختلاف كبير بين سمات الشخصية عند المجرمين وغيرهم، ولكن هناك قليلا من السمات التي يظهر فيها نوع من الاختلاف، من أمثلة ذلك الاندفاعية Impulsiveness وعجز الفرد عن تقويم نفسه وتقويم الآخرين يبدو أنها تظهر أكثر عند المجرمين منها عند غيرهم، من العوامل التي ينبغي دراستها في الجريمة أيضاً الاضطرابات العقلية Mental disorders.

أثر الاضطرابات العقلية في الجريمة:

المعروف أن الاضطرابات العقلية تتخذ أشكالاً متعددة، فقد تظهر في شكل أعراض مختلفة، كالفصام أو جنون[1] الاضطهاد أو

١ ـ لمعرفة كافة الأمراض العقلية والنفسية والخلقية والسيكوسوماتية، راجع كتاب الباحث (أمراض العصر) دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية.

الذهان الدوري. وهناك من يزعم أن السلوك الاجرامي نوع من الحالة الذهانية Psychosis Condition حقيقة انه يبدو من المعقول أن ننظر الى كل السلوك المضاد للمجتمع على أنه سلوك شاذ، ومن ثم فهو نوع من الاضطراب العقلي، ولكن من ناحية أخرى، فإنه يصعب بل يستحيل تحديد الذهان الاجرامي أي المرض العقلي الاجرامي Criminal psychosis ولقد وجد أن أقل من ٥٪ من مجموع السجناء كانوا حقيقة مجانين Insane وعلى ذلك فإن تصنيف المجرمين الى طائفة «المجرم المجنون» لا ينطبق الاّ على قلة صغيرة من مجتمع المجرمين.

الجنون والجريمة:

المفروض أن العقاب لا يفرض الاّ على الشخص العاقل. أما الشخص المجنون فإنه غير مسئول عما يرتكب من جرائم.. ولكن ذلك يتطلب تحديد مفهوم الجنون على أسس علمية دقيقة وأول تعريف قانوني للجنون ظهر في عام ١٨٤٣م عندما قضت احدى المحاكم ببراءة شخص اسكتلندي يدعى ماك نايتين Mc Nghetn استناداً الى جنونه، وقضت بذلك على ضوء المعلومات التي توافرت لها في ذلك الوقت، ووضعت قاعدة لذلك استمرت حتى عام ١٩٥٠م، وطبقاً لهذا القانون لابد أن يثبت بالدليل القاطع أن الشخص الذي أتى بالسلوك الاجرامي كل مضطرباً عند ارتكاب الفعل الاجرامي. ولم يتمكن من التعرف على طبيعة فعله أو على صفة هذا الفعل. أو اذا كان يعرفه فإنه لا يعرف انه من قبيل الخطأ

أو الممنوعات وهناك حالات كانت تتمتع بحالة عقلية سليمة، ولكن كان الفرد يعاني فيها من وجود دوافع أو بواعث قوية لا يمكنه مقاومتها أو السيطرة عليها Irresistible impulse أي أن انفعالات الفرد كانت خارج قدرته في السيطرة والتحكم، واعتبرت هذه الحالات الانفعالية مساوية لحالات الجنون العقلي.

فشدة الانفعال تخلي من المسئولية الجنائية مثلها مثل الجنون Emotions are uncontrolable مازالت مسألة تحديد جنون الفرد، وعدم مسئوليته موضوع جدال وصعوبة، وليست هناك قواعد حاسمة وفاصلة لتقرير مدى اصابة الفرد من عدمه. وهناك اقتراح أن يأخذ رأي عدد من الخبراء في مدى اصابة الفرد بالجنون بالمثل كما يقرر المحلفون ادانته أو عدم ادانته، وهناك رأي آخر يقول ان البيانات كلها يجب أن توضع أمام المحلفين وهم الذين يقررون مسئولية المتهم من عدمه، ولكن التوسع في الاعفاء من المسئولية الجنائية بسبب الأمراض النفسية أو الانفعالات الحادة أمر له خطورته على أمن المجتمع وسلامته وعلى انتشار الجريمة فيه.

ينبغي أن تؤخذ صفات المتهم الشخصية في الاعتبار عند دراسة الحالة، وفي العلاج لابد أن نوجه جل الاهتمام الى شخصية الفرد أكثر من الاهتمام بالسلوك الاجرامي نفسه، وضرورة العمل على معرفة مظاهر الشذوذ تلك التي قادت الفرد نحو ارتكاب الجريمة

أثر الدافعية Motivation في الجريمة:

ينبغي أن نفهم جميع مظاهر السلوك الانساني في ضوء الأسباب الدافعة لهذا السلوك أو ذاك.. وهناك كثير من علماء النفس الذين يؤكدون أهمية دراسة الدوافع في السلوك الاجرامي بنوع خاص.

والدافعية عبارة عن حالة للسعي لتحقيق أو اشباع حاجة معينة أو لإعادة التوازن لحالة داخلية فقدت التوازن، وهناك دوافع فطرية موروثة، مثل الدافع الجنسي، وهناك دوافع مكتسبة مثل الدافع الى التدخين، وهناك دوافع شعورية يفطن الفرد اليها ويدركها ويعيها، وأخرى لاشعورية لا يعرفها الفرد ولا يشعر بها ولا يدركها، بل لا يعترف بها لنفسه أو لغيره.. ولا تختلف الحاجات أو الدوافع عند الأسوياء والمجرمين، ولكن الشخص السوي يختار لإشباع حاجاته الأساليب المقبولة دينياً واجتماعياً وخلقياً، أما الشخص المجرم فإنه لا يعبأ بالمعايير الاجتماعية.

والواقع أن اشباع الحاجات الفسيولوجية للفرد أسهل من اشباع الحاجات النفسية والاجتماعية، كالحاجة الى المكانة الاجتماعية، أو التعاون مع الجماعة واحراز الانتصارات داخل الجماعة هذه أكثر صعوبة من الحاجات المادية، ولذلك لها أهمية خاصة بالنسبة للسلوك الاجرامي.

وينمو الشعور الاجرامي عند الفرد منذ الصغر، فالطفل الذي يشب في بيئة تقبل سرقة الأشياء الصغيرة سوف ينهض شاباً يسرق

الأشياء الكبيرة. . ان الفرد يمتص القيم والعادات وأنماط السلوك السائدة في المجتمع الذي يعيش فيه فإذا نشأ الطفل في بيئة تقبل سلوك السرقة مثلاً فإنه يشب يمارس مثل هذا النشاط دون الاعتراف بأنه يرتكب فعلاً خطأ ويسود مثل هذا الشعور بين معتادي السرقة من جرك الاسكندرية. . مثلاً حيث لا يعتبرون سلوكهم «سرقة» وانما يعتبرونه «وظيفة» مشروعة لأنهم لا يسرقون من شخص معين، ولذلك هناك أطفال صغار يتدربون على هذه السرقات كما يتعلم غيرهم أي مهنة من المهن.

وليس من السهل اكتشاف الدوافع وتحديدها في الفرد، لأنها توجد في أعماقه، وأحياناً يتعجب الشخص الذي تعود طاعة القانون، يتعجب كيف أتى بهذا الفعل أو ذاك، وبالمثل فالمجرم أحياناً ما يجد نفسه في موقف يتساءل فيه كيف ارتكب هذه الجريمة، وقد يكون المجرم حقيقة غير واع لما ارتكب من جرائم، ويعجز عن الاعتراف حتى لنفسه، وهناك ما يعرف باسم «المجرم بالصدفة» حيث تسوق الظروف الانسان لارتكاب جريمة ما دون قصد منه أو تخطيط مسبق.

وتعتبر معرفة دوافع الجريمة من الأهمية بمكان بالنسبة لأجهزة الأمن وأجهزة التحقيق فعندما تعرف دوافع جريمة معينة، فإن رجال الشرطة يستطيعون أن يحددوا الأشخاص الذين يشتبه في أمرهم، وعلى سبيل المثال، في احدى الجرائم وجد رجل متزوج وامرأة غير متزوجة وجدا مقتولين معاً في سرير واحد. كان الرجل مصاباً بعيار

ناري واحد في الصدر بينما كانت المرأة مصابة بعدة أعيرة، وكان وجهها مشوهاً من أثر عدة ضربات، كان اشتباه رجال الشرطة موجهاً نحو زوجة الرجل. لأنه لابد أن لديها دوافع قوية لمثل هذه الجريمة.

العوامل البيئية في الجريمة:

من بين العوامل البيئية الهامة في الجريمة مكانة الفرد الاقتصادية والاجتماعية Socio-economic status، وعلى الرغم من ارتباط الجريمة بالمكانة الاقتصادية والاجتماعية للفرد ارتباطاً ايجابياً الاّ ان هناك كثيراً من الناس الذين يشبون في بيئات فقيرة ومع ذلك يحيون حياةمقبولة اجتماعياً، ان معدلات الجريمة عالية في البيئات المنخفضة اجتماعياً واقتصادياً وذلك بالمقارنة بمعدلاتها في البيئات العالية اجتماعياً واقتصادياً ولكن مع ذلك هناك كثير من الأفراد الذين يعيشون حياة اجتماعية مقبولة، ولكن تحت ظروف معيشية فقيرة، هناك فقراء أكثر مما يوجد من المجرمين.

وهنا يجدر بنا أن نحدد للقارىء المقصود بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية أو بعبارة أخرى أن نحدد المؤشرات التي تدل على مكانة الفرد الاجتماعية والاقتصادية.

اننا نحكم بانتماء الفرد الى طبقة اجتماعية واقتصادية معينة بناءً على وظيفته أو وظيفة أبيه أو امه أو على أساس المنطقة التي يقيم فيها، ويمكن الاستعانة بعوامل أخرى مثل نصيب الفرد من الحجرات في مسكنه، أو نصيبه من استخدامات النور والمياه، ويستحسن

الاستعانة بأكثر من مؤشر واحد بدلاً من الاعتماد على عامل واحد في تحديد الطبقة الاجتماعية التي ينتمي اليها الفرد.

هناك كثير من الدراسات التي تشير الى وجود علاقة بين المكانة الاجتماعية والاقتصادية من ناحية وجنوح الأحداث، أو السلوك الاجرامي من ناحية أخرى، ففي دراسة أجراها كل من ناي وشورت وأولسنF.L.Nye, Short and V.J. Olson عن المكانة الاجتماعية والاقتصادية والسلوك الاجرامي ووجدوا أن هناك ٥٠٪ من الصبية في احدى مدارس التدريب أتوا من مستويات اجتماعية واقتصادية منخفضة، بينما لم يكن هناك الآ ٤,١٪ من البيئات الاجتماعية العالية.

كذلك وجد كافاراسيوس Kvaraceus أن الخلية الاجتماعية والاقتصادية ترتبط بالمعدلات العالية لجنوح الأحداث. لقد وجد أن الصبي الذي يشب في بيئة أسرية «نسائية» حيث يتغيب الأب معظم الوقت أو لا يقحم نفسه في النهوض بأعباء الأسرة، مثل هذا الصبي يجد صعوبات كبيرة في نمو الشخصية عن زميله الذي يعيش في بيئة سليمة، ان مثل هذا الصبي يفكر في الأب بطريقة سلبية، وقد ينمو عنده شعور سلبي تجاه الدور الذي يقوم به الكبار الذكور عامة، وقد ينتج ذلك من عبارات اللوم والتوبيخ التي يعتاد سماعها (متبقاش خايب زي أبوك) وعندما يبحث مثل هذا الصبي عن شخصية يتمثل بها ويتوحد معها أو يتقمصها فإنه لا يجد في محيط الأسرة من يتخذه مثالاً له. ولذلك يلجأ الى زمرة الشارع ويختار مثله الأعلى من

بينهم.. وعندما يريد أن يمتحن أو يختبر رجولته، فإنه يلجأ الى السلوك المضاد لمعايير المجتمع.

كذلك اقترح جاردر G. F. Gardener في دراسته عن انفصال الأبوين والحياة الانفعالية للطفل اقترح أن الأسرة المنخفضة في المستوى الاقتصادي والاجتماعي تغلب فيها البيوت المحطمة Broken Families وأن قيام الأم دون الأب بتحمل العبء الاقتصادي للأسرة يمثل مشكلة حقيقية، وفي الغالب ما تربط الأم الأب بالصفات السيئة، وتطبع طفلها على نعوت تغيب الأب، ويستجيب الطفل لمساعي أمه هذه بمزيد من السلوك الذي يخرق فيه المعايير الاجتماعية

إن غالبية الأحداث ينحدرون من الأماكن السيئة في المدن الكبرى. ان خلفية سكان هذه المدن مختلفة أو غير متجانسة، وفي الغالب يعيشون في وسط تنخفض فيه المعايير الأخلاقية، وفي وسط تقل فيه الامكانات المتاحة لمناشط الشباب، ان الشباب الذي ينحدر من بيئات قليلة الدخل يعانون من نقص الفرص في الحصول على النجاح الاقتصادي والاجتماعي، انهم دائماً يعانون من الحرمان وينقصهم الشعور باحترام الذات Laking in self - esteem ولذلك فإنهم يبتكرون قيماً جديدة، هذه القيم لا يقبلها المجتمع الكبير، ولذلك ينتج عنها سلوك يعتبر خرقاً للمعايير المتعارف عليها.

إن الظروف الفقيرة اجتماعياً واقتصادياً تشجع الشباب على الاتيان بالسلوك الخارج عن المعايير عن طريق الآباء وغيرهم من

الشخصيات ذات القيمة عندهم، ولكن مازلنا نتساءل هل المعيشة في وسط ظروف منخفضة اجتماعياً واقتصادياً تؤدي الى السلوك الاجرامي أم أن لكل من السلوك الاجرامي وانخفاض المستوى الاقتصادي والاجتماعي سبباً واحداً مشتركاً؟

منذ سنوات قرر أحد الباحثين F. K. Berrien أن العجز في الكفاح الاقتصادي وبالتالي انتقال الفرد الى المعيشة في وسط بيئات اجتماعية فقيرة Slums عبارة عن انعكاس الدافعية غير المناسبة عند الفرد، ونقص في القوى العقلية، وفقر في التدريب المهني، أو نتيجة لحياة انفعالية مضطربة وفاسدة، هذه العوامل نفسها من الممكن أن تكون عوامل مسببة للسلوك الاجرامي فليس من الضروري أن نستنتج أن انخفاض المستوى الاقتصادي والاجتماعي هو بالضرورة، سبب معدل الجريمة المرتفع، ولكن لاشك أن محاولة النهوض بالمستويات الفقيرة اجتماعياً لكثير من الناس تعد على القليل خطوة في الطريق لتقليل النشاط الاجرامي.

أثر الظروف الأسرية في السلوك الاجرامي:

هناك كثير من الدراسات التي أسفرت عن وجود علاقة بين معدل الجريمة والظروف الأسرية، فهناك نسبة أعلى من مرتكبي الجرائم ينحدرون من البيوت المحطمة أكثر منها من البيوت السوية المتكيفة تكيفاً حسناً، عندما تصاب الأسرة بالتفكك والانحلال لأي سبب من الأسباب، فإن الأطفال يحرمون من العلاقات والاتصالات

السوية التي تساعدهم على النمو نمواً صحيحاً، وعلى طاعة القانون، وعلى ذلك فإن الشلل المنحرفة أو جماعات الأحداث الجانحين تصبح مغرية بالنسبة للطفل الذي ينحدر من بيئة منزلية محطمة في هذا الصدد يقول روبنسون R. Robinson ان الأسر المحطمة ينتج عنها نقص الحماية الأسرية، ويعد هذا عنصراً هاماً في جنوح الأحداث. . ووجد أن عدداً قليلاً جداً من الأحداث الجانحين كانوا يتمتعون بالحماية الزائدة في مرحلة الطفولة Overprotected والحماية الزائدة من الأساليب الخاطئة في تربية الطفل مثلها مثل القسوة الزائدة.

هناك ظروف أخرى تؤدي الى السلوك الاجرامي منها أن تدفع الظروف الأسرية الطفل للبحث عن اشباع دوافعه في مكان آخر خارج المنزل، فقد يطلب الآباء من الأطفال القيام بأعباء أكثر مما تحتمل طاقة الطفل وقدراته، أو قد يحيطونه بحماية زائدة عن الحد، وقد لا يشعرون بأية مسئولية ازاء تعليم أبنائهم وتدريبهم على الحياة السوية الاجتماعية، ففي احدى الدراسات التي تناولت الظروف الأسرية وجنوح الأحداث وجد أن هناك ٨١٪ من الأحداث الجانحين آتوا من أسر لا يوجد بين أفرادها مشاجرات عنيفة، وكان هناك ٩٤٪ من بينهم قرروا أنهم يحبون أسرهم.

ان وصف الظروف الأسرية «بالبيوت المحطمة وغير المحطمة» يعتبر تقسيماً واسعاً وغير دقيق، لقد أجريت بعض الدراسات التي استهدفت معرفة أثر أنماط مختلفة من تربية الطفل على السلوك

الاجرامي، ولقد تبين أن انعدام الشعور بالعطف والحب، وكذلك عدم الثبات في طرق تربية الطفل ترتبطان بالجنوح.

وهنا نذكر أن البيوت المحطمة بالمعنى القانوني ليست بالضرورة أخطر البيئات في خلق السلوك الاجرامي. ان البيوت المحطمة سيكولوجياًPsychologicallybroken homes هي البيئة الخطيرة، حيث لا يتوفر للفرد فيها الفهم والتعاطف وهي التي تؤدي الى السلوك المضاد للمجتمع، ولكن من الصعب وضع مقياس شامل للبيوت المحطمة سيكولوجياً، وبالتالي هناك صعوبة في التنبؤ بالسلوك الاجرامي.. يجب وضع مقاييس دقيقة وشاملة، لتحديد صفات البيئة المحطمة سيكولوجياً، وتتناول العلاقة بين الطفل والأبوين، وبينه وبين بقية الأخوة، واتجاهه نحو أفراد الأسرة وطرق معاملة الكبار للطفل، وأسلوب التربية المتبع، وعلاقة الكبار بعضهم البعض ومدى توفر الحاجات المادية والنفسية للطفل وفرص اشباعها.. وغير ذلك.

أثر المكانة المهنية Occupational status في السلوك المنحرف:

يبدو أن هناك علاقة بين «نوع» الجريمة أو نمطها وبين مهنة الفرد أكثر من ارتباط المهنة بالسلوك الاجرامي بصفة عامة.. هناك بعض الجرائم التي يميل مرتكبوها الى شغل وظائف معينة، فأرباب المهن التخصصية Professional persons تساعدهم مواقعهم الوظيفية على ارتكاب جرائم مثل الاختلاس والنصب والاحتيال والتزوير

والتزييف والغش والسرقات الكبيرة، أما العمال فإنهم يكونون في موضع يصعب معه القيام بعمليات الاختلاس. . على حين يسهل عليهم الوقوع في جرائم مثل التشرد، وبؤس الأطفال، وهجرتهم، وعدم رعاية الأسرة وما الى ذلك. وتنتج هذه الفروق عن الفرص المتاحة للاجرام والقدرات اللازمة لكل نوع من أنواع الجرائم.

في دراسة كافارسيوس Kvaraceus :

وجد أن هناك علاقة أكيدة بين مهنة الآباء وبين جنوح الأحداث، هناك نسبة كبيرة من هؤلاء الآباء يعملون عمالاً في المصانع أو عمالاً عاديين أو عاطلين كلية، وبالطبع لم تكن هناك الاّ نسبة قليلة من الأحداث الجانحين من أبناء أرباب المهن المتخصصة، وأصحاب الأملاك والمهن الكتابية، والحرف الماهرة عن أرباب المهن غير الماهرة. .

ان عامل المهنة يعد عاملاً من العوامل المختلفة بالنسبة للعامل الأساسي وهو المكانة الاجتماعية والاقتصادية للأسرة.

هل تؤثر الظروف المناخية في ارتكاب الجريمة:

هل للظروف المناخية والتغيرات الجوية أثر في وقوع الجريمة؟

هناك بعض الاحصاءات التي تشير الى اختلاف معدل الجريمة باختلاف درجات الحرارة والرطوبة Temperature and humidity وتوضح مثل هذه الاحصاءات في الولايات المتحدة الأمريكية أن نسبة

جرائم القتل، وهتك العرض والضرب، تحدث أكثر في ظروف الحر والجو الدافىء بينما السرقات تحدث في ظروف جوية باردة نسبياً، فجرائم القتل تحدث أكثر في شهور الصيف والسرقة والسطو على المنازل تحدث أكثر في شهور الشتاء، ان العوامل المناخية تعمل كعامل مثير Pecipitating Factor في وقوع الجريمة الى جانب العوامل المهنية أو الاستعدادية الأخرى. في ظروف البرد الشديد تصبح الجرائم ضد ممتلكات الغير ضرورية وهامة بالنسبة للمجرم، أما الجرائم ضد الأشخاص الآخرين، فهناك احتمال حدوثها بنسبة أكثر في ظروف الحر حيث تثار الانفعالات والأعصاب، بينما تكون ضرورات الحياة متوفرة أو سهل الحصول عليها فلا تدفع الفرد نحو الجريمة من أجل الحصول عليها.. ان ظروف البرد القارس والثلوج تعوق بعض الأفراد عن الحصول على ضرورات الحياة ولذلك قد يلجأون الى السرقة..

أثر الراديو والتلفزيون والصحافة والسينما والفيديو:

على الرغم من الإدعاءات الكثيرة التي تعزو وجود تأثير كبير للاذاعة المرئية والمسموعة، وكذلك الصحف والمجلات والسينما على تربية الأطفال الاّ أنه لا توجد أدلة علمية قاطعة تحدد نوع هذا التأثير، حقيقة ان اتجاهات الأفراد، بل سلوكهم قد تتغير بعد رؤيتهم لفيلم معين أو بعد قراءة مادة معينة، ولكن رغم هذه الحقيقة هناك صعوبة في تحديد الشخص أو الهيئة التي تحدد بالضبط المادة التي يمكن عرضها على الطفل، وتلك التي تحرم عليه، ان ذلك يحتاج الى خبرة

سيكولوجية واسعة بمراحل النمو، وبشخصية الطفل، وبقدراته، وميوله واستعداداته وظروفه الجسمية والاجتماعية والاقتصادية، كما يحتاج الى الملم بظروف المجتمع وفلسفته ورسالته وأهدافه

على الرغم من أننا لا نعرف قيمة التعلم في السلوك المضبوط وسلوك الفرد في المستقبل الّا أننا نعلم جيداً أن اتجاهات الناس وآراءهم تتغير بسهولة.. عن طريق عمليات التعلم نستطيع أن نغير من اتجاهات الناس ومن مفاهيمهم ويسهل هذا التغير كلما كان الفرد واعياً ومدركاً لعملية التعلم.

ان الأفلام وبرامج التلفزيون وكذلك القصص وبرامج الاذاعة لها بعض التأثير على سلوك الأفراد، وهناك احتمال تقليد المجرمين لما يرونه على شاشة السينما أو يسمعونه أو يقرأونه، وقد يستخدم المجرمون المعلومات التي يحصلون عليها من مثل هذه المصادر، بعض الكتابات تمجد وتزهو بالعمل الاجرامي. وهناك بعض المجرمين الذين يسعون لاكتساب الشهرة عن طريق جرائمهم، ولقد تنبه الكتاب الى هذه الحقيقة ولذلك لا يظهرون المجرمين في رواياتهم بأية صورة جذابة أو براقة، ومهما بدا من انتصار المجرم، في بداية القصة، فإنها تنتهي بعقابه، وعلى وجه العموم ان وسائل الاعلام، وكذلك القصة والسينما تؤثر في سلوك الأفراد، ولكن مازال من الصعوبة بمكان تحديد المادة الصالحة للمستمع أو المشاهد.[1]

---

١ - راجع بحث المؤلف «الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي». دار النهضة العربية. بيروت.

الفصـــل الثالث

التفسير الحديث لجرائم الصغار

تفسير جرائم الصغار:

كثيرما ما تفرد الكتب والمراجع في مجال علم النفس والاجرام فصلاً أو فصولاً مستقلة لما تسميه (جنوح الأحداث والجريمة) Delinquency and Crime ويطلق أحياناً على الجنوح اصطلاح «السيكوباتية» Psychopathy وأحياناً أخرى يطلق عليها اصطلاح السيسيوباتية Sociopathy ولكن الحقيقة أن هناك فرقاً بين السيكوباتية والسيسيوباتية، فالسيسيوباتيون قد يكونون أحداثاً جانحين ومجرمين، ولكن ليس كل الأحداث الجانحين والمجرمين سيسيوباتيين.

ومن الملاحظ أن اصطلاحي الأحداث والجريمة اصطلاحان قانونيان، ولذلك يختلف معناهما من مجتمع الى آخر، ويختلف في داخل المجتمع الواحد من مكان الى آخر. فالسن التي يقع في مداها الجنوح تختلف من مجتمع الى آخر. ففي الهند مثلاً تنحصر هذه السن مابين ٧ ـ ١٨ سنة في حالة خرقهم لقانون الأطفال الهندي. ومن ثم تختص محكمة الأحداث بمحاكمتهم، أما الأشخاص الذين يبلغون من العمر ٢١ عاماً فيعتبرون مجرمين اذا ما خرقوا القانون.

ولا يسمى الطفل حدثاً جانحاً لمجرد ارتكابه عملاً مؤثماً، ولكن لابد للمحكمة من أن تدرس حالته، وتحكم عليه أنه حدث جانح، أما الأشخاص الذين يطلق عليهم بصورة غير قانونية أحداثاً جانحين، فتتراوح نسبتهم مابين ٦٠ ـ ٧٥٪ أما الأطفال الذين تقل أعمارهم عن السنوات السبع فلا يوصفون بالجنوح نظراً لأنهم لم ينضجوا النضج الكافي الذي يمكنهم من التمييز بين الخطأ والصواب. ويطلق عليهم اصطلاح أطفال مادون التمييز أي التمييز بين العمل القانوني legal والعمل غير القانوني Illegal ويعالجهم علماء النفس كأطفال مشكلين أي أصحاب مشاكل Prpblemed children ، أما الأشخاص أو الشبان الذين تتراوح أعمارهم مابين ١٨ ٢١عاماً، فيطلق عليهم المخالفين الشبان أو المخالفين الصغارYounger or youthful offendersويحاكمون في محاكم الكبار Adults Courts وعندما يرتكبون جريمة ما، فإن المحكمة تقرر اما ارسالهم الى مدارس خاصة بالمنحرفين أو الى السجن.

وقد يتساءل القارىء الكريم؛ هل تزداد نسبة جرائم الأحداث أم تقل؟ يبدو من خلال الاحصاءات ان هذه النسبة تزداد بمرور الوقت، ففي مجتمع كالمجتمع الهندي ازدادت هذه الجرائم حجماً وبلغت هذه الزيادة ٢٥٠٪، حيث اطّرد نموها

ففي خلال ١٣ عاماً بلغت نسبة الزيادة ٢٥٠٪ وبطبيعة الحال، زيادة حجم هذه الجرائم لابد وأن تؤخذ في ضوء الزيادة

العامة للسكان في الهند. ولكننا اذا ما قارنّا بين جرائم الصغار Juvenile Crimesوجرائم الكبار لوجدنا أن نسبتها تبلغ فقط ٢,٥٨٪ من مجموع جرائم الكبار، وذلك في عام ١٩٦١م حيث زادت هذه النسبة الى ٣,٤١ في عام ١٩٦١م.

السنـــة	عدد الجرائم
١٩٦١م	١٦١٦٠ جريمة
١٩٦٥م	٢٠٩٨٠ جريمة
١٩٦٩م	٢١٧٠٣ جرائم
١٩٧٣م	٣٦٤٦٩ جريمة
١٩٧٤م	٤٠٦٦٦ جريمة

وتقع غالبية هذه الجرائم في السرقة Thefts وسرقة المنازل Burglary حيث تمثلان ٥٧٪ من مجموع جرائم الأحداث الجانحين، ولكن هناك حالات قتل Murders ويلي ذلك الانضمام لعضويه جماعات اللصوص وبالطبع اختلفت نسبة جرائم الأحداث من ولاية الى أخرى، وتتوقف هذه النسب على مقدار فاعلية رجال الأمن والشرطة والمحاكم وعلى ارتفاع أو انخفاض مستوى المعيشة.

وتختلف البيئات الاجتماعية في مقدار ما توفره من العوامل التي تؤدي الى النمو الصحي للأطفال، من النواحي الجسمية والعقلية والروحية، والخلقية، والاجتماعية والمهنية والعملية.

فلقد وجد أن نسبة الجرائم تنتشر في حالة انخفاض مستوى المعيشة، وفي حالة عدم توفر المسكن المستديم وفي حالة ارتفاع نسبة وفيات الأطفال وفي حالة نقص وسائل الترفيه Recreational facilities كما توجد حيث توجد حالات الهروب من المدرسة.

ولاشك أن الحدث الجانح يفتقر الى المعايير الخلقية Ethical standards والى الروابط العاطفية Emotional ties وهو ينغمس في أفعال لأول وهلة دون تمعن أو تدبر. ويتصف الأحداث الجانحون بصفات كمايلي:

- الاندفاع impulsive
- الانحراف Defiant
- الحنق Resentful
- قلة الشعور بالذنب Feeling of guilt أو انعدام هذا الشعور
  - ادمان الخمور.
  - ادمان التدخين.
  - زيادة الداعرات.
- السرقة، وخاصة أولئك الذين يعانون من الادمان لتغطية نفقات الادمان.

الأسباب المؤدية لجنوح الصغار:

وهنا نتساءل مع القارىء الكريم، هل يعد جنوح الصغار وراثياً مكتسباً من البيئة، والاحتكاك والتفاعل واياها؟

من الأخطاء الشائعة أن نتصور أن عاملاً بمفرده مسئول عن حدوث الجنوح، ولكن الجنوح، شأنه في ذلك شأن بقية الأمراض والاضطرابات النفسية والعقلية، لا يفسر الا في ضوء الاتجاه المتعدد العوامل في نشأته.

ومؤدى هذا الاتجاه، في التفسير أن عاملاً واحداً لا يكفي لتفسير الحالات المرضية، ولكن لابد من تضافر وتفاعل عدد من العوامل الوراثية والبيئية ولابد لهذه العوامل أن تظل تتفاعل ويؤثر بعضها في بعض عبر فترة كافية من الزمن وتظل تسقط تأثيرها على الفرد حتى تأتي بالتأثير الكافي.. ومن ذلك أن العامل الواحد الطارىء أو العارض أو قصير المدى لا يؤدي الى الاصابة بالمرض أو الى حدوث الانهيار. فالجنوح ظاهرة متعددة العوامل Multifactor حيث تؤثر فيها العوامل الآتية:

عوامل وراثية	Genetic factors
عوامل فسيولوجية	Physiological
عوامل نفسية	Psychological
عوامل اجتماعية	Sociological

من بين العوامل النفسي ـ اجتماعية نبذ الوالدين للطفل، ففي مجتمع كالمجتمع الهندي يبدو هذا النبذ في شكل تجويع الطفل وحرمانه من الطعام، أو تقييده في أعمدة وضربه ضرباً قاسياً أو كي الطفل بأسياخ حديدية أو طرده من المنزل.

وحيث أن الأطفال الذكور يفضلون عن الإناث، فإن الذكر يتلقى معاملة مختلفة عن الأنثى هناك، كذلك قد يتعرض الأطفال للذبذبة في التعامل مع أحد الوالدين أو من كلاهما تتراوح بين القسوة المفرطة والتدليل الزائد، أو القبول والرفض، كذلك من الممكن أن يخضع الطفل لأنماط متعارضة ومتناقضة من قبل الوالدين، كأن يكون أحد الوالدين تقليدياً والآخر حديثاً في أسلوبه في معاملة الطفل، أو أحدهما متشدد والآخر متهاون. ومثل هذا النمط التذبذبي في معاملة الطفل وتربيته يرتبط بالكذب والسرقة والعدوان Aggression والهروب من المنزل.

ومؤدى الاتجاه المتعدد العوامل في نشأة الانحراف انه يلزم تضافر مجموعة من العوامل الوراثية أو الفسيولوجية أو الاستعدادية، وكذلك مجموعة من العوامل البيئية على أن تتفاعل هذه العوامل عبر فترة زمنية طويلة، أي تتفاعل مع عامل الزمن وتظل تسقط مؤثراتها السلبية على الفرد الذي يستخدم كل ما لديه من قوة في المقاومة تلك المقاومة التي تتمثل في قوة الضمير وسلامته ويقظته وسلامة الاستعداد الوراثي والبنيان النفسي. فإذا زاد الضغط عن مقدار المقاومة، حدث الانهيار واذا لم يزد ظل الانسان سليماً وسوياً.

وعلى ذلك.. يمكن وضع المعادلة الآتية:

الانحراف = عوامل وراثية × عوامل بيئية × عامل الزمن.

مقاومة الفرد وصموده

العوامل الفسيولوجية في الجريمة والانحراف:

هناك فرض يقول ان العوامل الفسيولوجية Physiological factors تلعب دوراً في حدوث الجريمة والانحراف ومن بين هذه العوامل وجود كروموزوم «Y» بشكل اضافي كما سبق القول كذلك فإن مرض الصرع Epilepsy وهو مرض عصبي وكذلك التخلف العقلي Mental retardation تعد من العوامل الهامة في حصول الجريمة، ولقد وجد أن النزعات الصرعية ترتبط بالسلوك العنيف، بسبب ضعف قوى الضبط في الدماغ، ولقد لوحظ أن الشباب المصروعين يمتازون بكثرة الحركة والنشاط والاندفاع وبعدم الثبات الانفعالي، واذا ما تعرضوا لمواقف الضعف فإنهم يستجيبون استجابة عنيفة.

علاقة الجنوح بالمكانة الاجتماعية:

توضح الدراسات الاجتماعية أن الجنوح له علاقة وثيقة بالمكانة الاجتماعية والاقتصادية المنخفضة Low socioeconomic status للطفل وآبائه فلقد وجد أن المكانة الاجتماعية ـ الاقتصادية

ترتبط بجنوح الأحداث[1]، وتعتمد معظم هذه الدراسات على الأطفال الذين يحالون الى المحاكم أو الذين يعيشون في المؤسسات Institutions ويلقى هذا ظلالاً من الشك على صحة نتائج هذه الدراسات، ذلك لأنه في مجتمع كالهند يخرج أطفال الطبقات العليا من المخالفات والجرائم التي يقترفونها دون عقوبة بسبب مراكزهم ونفوذهم في المجتمع.

دراسة هاريشورن وماي:

ومن الدراسات الكلاسيكية الشهيرة التي أجريت على أطفال المدارس في المجتمع الأمريكي، دراسة هاريشورن وماي Hartshorne and May تلك الدراسة التي أجرياها في وقت مبكر منذ ١٩٢٨م على عدد كبير من الأطفال يبلغ أحد عشر ألفاً من أطفال المدارس الحكومية والخاصة فقد طبق الباحثان مجموعة من الاختبارات على الأطفال، ثم قاما بجمعها وتقدير درجاتها عليها في المنزل، وبعد ذلك أعادوها للأطفال، بقصد قيام الأطفال بتقديرها بأنفسهم، بعد ان أعطوا مفتاحاً لتقدير الدرجات فهل نتصور أن الأطفال قاموا بتقدير درجاتهم بأمانة وصدق ودون الاستفادة من مفتاح التصحيح أم أنهم استفادوا منه، أي ارتكبوا جريمة الغش وذلك لزيادة درجاتهم؟

---

١ ـ من الدراسات العربية في هذا الصدد دراسة الباحث سيكولوجية الجنوح على عينة من الأحداث الجانحين في محافظة الاسكندرية، دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.

لقد أسفرت التجربة على قيام الأطفال بزيادة درجاتهم وكان من بين هذه الاختبارات تكليف الطفل بأن يضع نقطة في وسط دائرة مرسومة فوق السبورة. ولقد أسفرت هذه الدراسة عن ارتكاب الأطفال لجريمة الغش والخداع Deception ومن بين هذه الطرق المستخدمة لدراسة الغش تكليف الأطفال بأداء اختبار، تحت ظروف تسمح لهم بالغش. ثم أداء صورة مماثلة تماماً لنفس الاختبار تحت ظروف من المراقبة تمنع الغش. ولقد لوحظت فروق بين نتائج الأطفال في التطبيقين، تدل على الغش كما استخدمت اختبارات تسمح للطفل بالسرقة، أو الكذب، تحت ظروف يعتقد أنه لن ينكشف فيها أمره، بينما كانت عين الملاحظ ترقبه.

ومن بين النتائج الهامة لهذه الدراسة، والمرتبطة بالمكانة الاجتماعية ـ الاقتصادية أن الغش وجد بصورة متساوية بين أطفال الطبقات الدنيا والعليا، كذلك فإن الأطفال كانوا أمناء في حالة عدم تقديم مكافآت، ولكنهم غشوا عندما كانوا يمنحون مكافآت. ومؤدى ذلك أن السلوك المنحرف يعتمد على مقدار ما يوجد لدى الفرد من دوافع، فإذا وجد انسان حافظة نقود بها ريالان فقط أعادها الى الشرطة لتسليمها لصاحبها أما اذا كان بها الفان من الريالات أخذها.

أثر العوامل الاجتماعية والثقافية:

هناك بعض الثقافات التي تسمح بالتمييز الطبقي الحاسم بين أبناء المجتمع، ولذلك قد يشعر أبناء الأقليات أو الطبقات الفقيرة

بالعزلة والعصيان والتمرد، وخاصة بين الشباب، كذلك قد يبدي مثل هؤلاء الشبان الذين يشعرون بالتفرقة الاجتماعية بعض مظاهر العدوان نحو المجتمع Hostility and rbellion نتيجة للشعور بالحرمان ولضعف الشعور بالانتماء.

تأثير المجرمين الكبار:

وهنا يبرز سؤال هام كثيراً ما يطرأ على أذهان الناس، وهو الى أي مدى يؤثر الكبار المجرمون في الأحداث الجانحين؟ فلقد وجد أن هناك كثيراً من المجرمين الكبار الذين يحرضون الأطفال على السرقة والتسلل. وذلك عن طريق اغراء الأطفال بالحياة الرغدة السعيدة، أو عن طريق تهديدهم كذلك قد يستخدم الأطفال الصغار في اقتحام المنازل، حيث يكلف الطفل بالدخول من خلال نافذة صغيرة، ثم يقوم بفتح الأبواب أمام اللصوص الكبار لسهولة الدخول وسهولة الهروب.. وفي الغالب ما يتورط الآباء في جريمة الابن ويقومون بكافة المحاولات للافراج عنه ودفع التعويضات اللازمة.

تأثير الأقران:

ومن بين العوامل المسئولة عن حدوث الجريمة تأثير جماعة الرفاق Peer-group فلقد دلت بعض الدراسات على أن الجنوح يعتبر «خبرة جماعية» حيث وجد أن هناك ثلثي الأحداث المنحرفة التي ارتكبت جرائم كانت في صحبة واحد أو اثنين من الجانحين، وفي

الغالب ما تتكون جماعات الانحراف هذه من أفراد نفس الجنس . . وفيها يتأثر الطفل بعامل التقليد وعامل ضغط جماعة الرفاق.

تأثير العوامل الشخصية:

هل تلعب العوامل الشخصية دوراً في حدوث الجريمة والانحراف بالنسبة للأحداث الجانحين؟

لقد دلت بعض الدراسات على وجود سمات شخصية خاصة في الأحداث الجانحين، منها شدة الحركة، والاندفاعية والرغبة في البحث عن اللذة والاثارة، ولفت الأنظار، والمباهاة والظهور بمظهر الرجولة

كذلك تدل الدراسات التي استخدمت اختبار ايزنك في الشخصية أن الأحداث الجانحين من بين فئة الانبساطيين، أي يتسمون بسمة الانبساط، وليس الانطواء وانهم أكثر عصابية وأكثر ذهانية، ولديهم نزعات اجرامية أكثر مما يوجد لدى المجموعات الضابطة، وتخلص نظرية ايزنك في تأكيد الجوانب الوراثية جنباً الى جنب مع العوامل البيئية في تفسير السلوك الجانح. . واذا كان الأحداث والجانحون أكثر تعرضاً للمرض النفسي والعصاب، والمرض الذهاني والعقلي، فمؤدى ذلك أنهم ليسوا أسوياء من ناحية الصحة النفسية والعقلية.

ولقد أكدت دراسات كثيرة كما سبق القول أن الجنوح ظاهرة متعددة العوامل حيث تتفاعل في حدوثها عوامل وراثية وفسيولوجية

واجتماعية ونفسية، وان كانت هذه الظاهرة لم تلق بعد الاهتمام الكافي من جانب علماء النفس. . ومن بين العوامل الشخصية الى جانب انخفاض الذكاء والانبساطية والعصابية والذهانية، انخفاض مستوى الطموح Low aspiration level وشدة القابلية للإيحاء أو للاستهواء Suggestibility ولذلك يمكن التأثير في الحدث بسرعة عن طريق الايحاء والاستهواء.

ومن بين العوامل الاجتماعية المرتبطة بجنوح الأحداث انخفاض المستوى التعليمي للآباء وكثرة التردد على دور السينما، والمعيشة في كنف البيوت المحطمة، وفقدان الروابط العاطفية بين أفراد الأسرة.

الفصـــل الرابع
العوامل المؤثرة في نشأة الجريمة

تأثير المخدرات والخمور في السلوك الاجرامي:

الى أي مدى تؤثر الخمور في ارتكاب الجرائم ومخالفة القانون؟

لاشك أن للخمور والمخدرات تأثيراً ملحوظاً في مخالفة القانون ففي عام ١٩٦٣م كانت هناك نسبة ٤١,٢٪ من بين المقبوض عليهم تم القبض عليهم بسبب مخالفة قانون المشروبات الكحولية أو بسبب قيادة السيارات أثناء السكر أو بسبب السكر وذلك في داخل المجتمع الأمريكي.

وهناك مخالفات لقوانين كثيرة من مدمني الخمور والمخدرات، ومعظم المخالفات التي ترتكب بواسطة مدمني الخمور والمخالفات بسيطة، ولكنها كثيرة العدد، ولكن خرق قانون المخدرات كانت نسبته المئوية بين مجموع المقبوض عليهم في ١٩٦٣م هي ٠,٧ فقط.

ان أهم أثر لتعاطي المخدرات هو سلوك المدمن من أجل الحصول على المال اللازم لشراء المخدرات وعلى ذلك فإن هذه النسبة الصغيرة لا تعكس حقيقة مدى خطورة المخدرات. . هناك كثير من الاحصاءات التي توضح أن هناك نسبة ٩٠ ـ ٩٨٪ من مدمني المخدرات يتورطون في جرائم أخرى على القليل من أجل الحصول

على المال اللازم لتمويل عاداتهم السيئة، ان مشكلة المخدرات أكثر خطورة وأقل قبولاً بالنسبة لأفراد المجتمع وذلك بالقياس بالخمور وكذلك فإننا يجب أن نوجه عناية أكبر لمشكلة المخدرات. وأبسط تعريف لادمان المخدرات هو انه رغبة ملحة أو رغبة قوية أو حاجة قوية قهرية للاستمرار في تعاطي المخدر وفي الحصول عليه بأية وسيلة ممكنة، مع رغبة في زيادة الجرعات التي يتعاطاها المريض، ويعرف الادمان أيضاً بأنه نزعة ذهانية وأحياناً تكون نزعة فيزيقية للاعتماد على تأثير المخدر، بصورة تجعل موارد المدمن كلها توجه نحو الانفاق على شراء المخدر[1]

في الولايات المتحدة الأمريكية معظم الادمان يتركز في الأفيون ومشتقاته الهيروين وصبغة الأفيون المعطرة، وكذلك المورفين، وهو أحد مشتقات الأفيون. ومن المخدرات التي يشملها قانون المخدرات هناك الكوكايين وهو مشتق من أوراق الكوكا والماروانا وهو مشتق من نبات القنب الهندي ولكنها لا تمثل الادمان الفسيولوجي أو اعتماد خلايا الجسم عليها.[2]

كيف يصبح الفرد مدمناً؟

ان الادمان يحتاج الى تكرار تعاطي الجرعات حتى يصبح الفرد مدمناً. وهناك تساؤل عن حجم هذا التكرار اللازم لتكوين عادة

---

١ ـ لمزيد من المعلومات راجع كتاب المؤلف «علم النفس في الحياة المعاصرة». دار المعارف بمصر

٢ ـ الدكتور عبدالرحمن العيسوي. علم النفس علم وفن. دار المعارف بمصر.

الادمان في الفرد. . هناك اختلاف في الرأي حول هذا التكرار. . ولكن يبدو أنه يلزم تكرار الشراب يومياً لمدة أسبوعين. . من السهل أن تتكون هذه العادة، وبعدها ينمو الاتجاه نحو قبول هذه العادة والتسامح ازاءها لدى الفرد. . ويصبح المدمن مدركاً لحدوث بعض الاستجابات الفسيولوجية المرغوب فيها التي تحدث بعد تعاطي المخدر، ولكنه يجد نفسه مضطراً الى اضافة جرعات أخرى لكي يحدث في نفسه نفس رد الفعل أو نفس الاستجابات الفسيولوجية السابقة.

ان أول جرعة من المخدر تحدث نوعاً من غثيان النفس، مثل المرحلة الأولى من شرب الخمر، وبعد تعاطي عدة جرعات تختفي حالة الغثيان، ويصبح هناك شعور بالحسن والفرح والبهجة والسرور Feeling of goodness or euphoria

إن المخدرات تسبب نوعاً من الهبوط ورغبة جنسية، ونوعاً من النعاس أو الخمول، والتخلص من الآلام الجسمية، وشعور عام بالاسترخاء والرضا.

هناك كثير من الشباب الذين يقعون في حبائل المخدرات بسبب الرغبة في التجريب، أو المحاولة الأولى التي يقصد بها مجرد المذاق أو المرور بالتجربة، أو رغبة في التحدي، أو نتيجة لايحاء جماعة الجيران أو الأقارب والأنداد. . كلما شعر الشاب بالآثار «السعيدة» السارة» كلما نما لديه الميل في تكرار الجرعة وبعد حوالي أسبوعين من تعاطي المخدر، بصورة منتظمة، تنمو عند الفرد حالة الاعتماد

الفسيولوجي. ومعنى ذلك أنه لابد أن يتعاطى المخدر بصورة ثابتة ودائمة حتى يدخل جسمه وإلا تعرض لحالة شديدة من الهبوط والانزواء والانعزال والانسحاب.

الأعراض المرضية التي يعاني منها المدمن:

يصف كولمان j. C. Coleman هذه الحالة في كتابه علم نفس الشواذ والحياة الحديثة بقوله: ان أول هذه الأعراض هو التثاؤب، والعطاس، والعرق، وفقدان الشهية، ويتبع ذلك رغبة متزايدة في تزايد الجرعات، وشعور بعدم الراحة والاكتئاب الذهاني ومشاعر بالهلاك المحيق، وشعور بالتهيج، وضعف العضلات، وزيادة في معدل التنفس. وبمرور الوقت تزداد هذه الأعراض حدة وعنفاً، وربما يشعر المريض بالبرودة الشديدة التي تتناوب مع بعض الاضطرابات في الأوعية الدموية، وزيادة حمرة الوجه، وزيادة افرازات العرق، واحمرار الجلد بحيث يصبح مثل عرف الديك الرومي. وكذلك القيء والاسهال والعرق، ومغص البطن وآلام في الظهر والشعور بالتطرف، وصداع عنيف، مع الاهتزاز أو الترنح والرجفة والرعشة.. ويرفض المريض الطعام والماء، يضاف الى ذلك حالة الجفاف الناتجة عن القيء المستمر والاسهال والعرق، ويسبب ذلك حالة جفاف شديدة، ونقصاً في الوزن شديداً يصل الى ٥ ـ ١٥ رطلاً في اليوم. وفي بعض الأحيان يصاب المريض بالهذيان أو الهلوسة وبعض الحركات العشوائية السريعة، ان الاعراض الانسحابية تزداد حدة لمدة ثلاثة أو أربعة أيام ثم تختفي ببطء جميع الأعراض الحادة

بعد حوالي خمسة أو سبعة أيام من أخذ آخر مخدر، وغالباً ما يصاب المريض بعدم الراحة والتعب، مع شعور بالعنف الجسمي العادي، لمدة ثلاثة أو أربعة شهور بعد تعاطي آخر مخدر، يظل الفرد عبداً لهذه العادة ويحتاج الى زيادة الجرعات، لكي يحتفظ لنفسه بالتوازن، ويصبح ذلك المخدر عنصراً أساسياً وضرورياً لحفظ توازن الجسم.

ان اعتماد جسم المريض على المخدر بالاضافة الى أعراض الانسحاب الشديدة ترغمه لشراء جرعات من المخدر بصفة مستمرة.

في خلال الستينيات الماضية كان المريض يحتاج الى مبلغ يتراوح بين ٦٠ و ١٠٠ دولار يومياً لإشباع عادته السيئة تلك. ومن هنا يضطر المدمن الى السلوك الاجرامي للحصول على المال اللازم.. ولهذا أهمية كبيرة بالنسبة للسلوك الاجرامي ونظراً لانغماس الفرد في المناشط الخاصة بالحصول على المخدر، وحتى ينغمس في السلوك غير القانوني للحصول على المال اللازم، فإنه نادراً ما يجد الفرصة للحياة السوية أو الحصول على مهنة ثابتة.

ماهي أسباب الادمان؟

وهنا يجدر بنا أن نتساءل عن سبب لجوء الفرد الى ادمان المخدرات؟

هناك كثير من علماء النفس الذين درسوا مشكلة الادمان يقررون أن السبب في الادمان يرجع الى وجود مشكلات نفسية لدى الفرد، ولكن بطبيعة الحال هناك كثير من الناس الذين يعانون من

المشكلات النفسية، ولكنهم لم يتحولوا الى الادمان. أما عن كيفية تخليص المريض من هذه العادة فيقال ان إبعاد المريض عن المخدر قد يؤدي الى علاجه من هذه العادة من حيث أنه لم يعد لينمكن من تعاطي المخدر ولكننا مازلنا لا نستطيع الحكم على هذه الطريقة بأنها علاج ناجح من عدمه.. وللأسف لا يوجد في المجتمع اهتمام كاف لتوفير وسائل العلاج الناجحة لهؤلاء المرضى، ومازلنا في حاجة الى كثير من الجهود في التشخيص والعلاج، لابد من فهم جميع جوانب مشكلة الادمان النفسية والاجتماعية والطبية والاقتصادية والأسرية والقانونية والشرعية.. ومازال هناك كثير من الباحثين الذين لا يقدرون أهمية الجانب الطبي في المشكلة، ولذلك فإننا يجب أن نهتم بأي أسلوب من أساليب العلاج مهما كانت نسبة شفائه قليلة، واذا علمنا أن الشخص المدمن أصلاً لا يتمتع بشخصية سوية متكيفة وانما هو يسعى للحصول على المساعدة عن طريق المخدر، ولذلك فلا عجب أن تنخفض معدلات الشفاء.. فنسبة الشفاء التي يمكن اعتبارها معقولة لا تتجاوز ٣٥٪ من مجموع المرضى.. ومازالت نسبة ارتداد المرضى الذين شفوا عالية. ولم تزد نسبة الذين يمنعون أنفسهم كلية عن المخدر على فترة زمنية طويلة ١٢ ١٥٪.

هناك بعض المرضى الذين لا يعودون الى المخدر، ولكن لأسباب غير معروفة لنا، وذلك لعدم وجود البحوث العلمية الصحيحة، لقد وجد أن هناك ٤٠٪ من المرضى أتوا لأحد المستشفيات الأمريكية أكثر من مرة، وبعضهم قد أتى للمستشفى أكثر

من ٢٠ مرة وكان هناك حوالي ١٤٪ من المرضى هم الذين يكونون ٤٢٪ من مجموع المرضى الذين دخلوا المستشفى. وبعض هؤلاء المرضى كان يذهب للمستشفى بقصد تقليل نسبة تعاطي المخدر أي تقليل حجم الجرعات التي يتناولونها.

وعلى كل حال.. فإن النتائج الضعيفة لعلاج الادمان لا ينبغي أن تثبط همتنا أكثر من نتائج علاج ذهان الفصام أو السرطان مثلاً.. ان المشكلة الأساسية تكمن في عدم اهتمام المجتمع بمشكلة ادمان المخدرات وعلاجها ان جهود مراكز رعاية المدمنين تبشر بكثير من النجاح في تخفيف حدة هذه المشكلة

ادمان المخدرات:

يشاع خطأ أن ادمان المخدرات أكثر خطورة على الشخصية من ادمان الخمور، ولكن ادمان المخدرات اذا كان بدون مضاعفات فإنه يعد أقل خطورة من ادمان الخمر.

ومن بين الأمور التي تزيد مشكلة ادمان المخدرات تعقيداً أن تداولها في معظم دول العالم محرم، ومن ثم فلا يقوم بتوزيعها الاّ الخارجون على القانون واللصوص والمهربون، وفاسدو الأخلاق والبلطجية، أما في انجلترا التي تسمح بتعاطي المخدرات بطريقة منتظمة وتحت اشراف الطبيب، فإن عدد المدمنين يقل تدريجياً عاماً بعد عام، فهناك يسجل كل مدمن اسمه عند طبيب خاص يشرف على حالته الصحية، ويصرف له المخدر بتذكرة دواء خاصة، وعلى

كل حال يعتبر المدمن في بريطانيا مواطناً غير خارج على القانون ونادراً ما يتورط في ارتكاب الجريمة . . وعلى كل توجد نسبة أكبر من مدمني المخدرات في الولايات المتحدة الأمريكية عنها في أنجلترا . . وهناك أنواع متعددة من المخدرات منها الأفيون، ومعظم المخدرات تؤدي الى تعطيل وظائف الحواس أي فقدان الاحساس أو التخدير أو النوم، أو ركود المخ أو الذهول، أو تسبب حالة الخبل. ومن المخدرات الشائعة الأفيون والكوكايين وهو مادة مخدرة تستخلص من نبات الكوكا، والحشيش. أما الأفيون فيستخرج من نبات يسمى الخشخاش أو أبو النوم، ولقد استخدم الأفيون كمادة منومة منذ عرف تاريخ الانسان وكان الناس يتعاطون الأفيون اما عن طريق تدخينه أو عن طريق تناوله عن طريق الفم مذاباً في مادة كحولية، وفي العصر الحديث عندما تقدم علم الكيمياء أمكن استخلاص مواد أخرى من مادة الأفيون مثل المورفين والهروين، وفي السنوات الأخيرة أمكن صناعة عقاقير لها نفس تأثير الأفيون منها الديمورول Demerol والميثادون Mathadon ويعتبر الأفيون الخام ومستخلصاته من المواد التي تسبب الادمان الفسيولوجي أي الادمان الجسمي، بمعنى أن خلايا الجسم تتعود على تعاطي المخدر، وعلى ذلك فإرغام المريض على عدم تعاطي المخدر الذي اعتاد عليه يؤدي الى ظهور أعراض انطوائية وانسحابية لديه

الأعـــراض:

هذه الأعراض الانسحابية تكون فسيولوجية[1] في جوهرها، فيلاحظ نزول سائل من الأنف والعين، واتساع انسان العين، وتقلص في العضلات، وزيادة العرق، وارتفاع في درجة الحرارة، وارتفاع في ضغط الدم والقيء، والشعور بجفاف الحلق واللسان. وقد تتخذ هذه الأعراض شكلاً عنيفاً قد يؤدي الى وفاة المريض، ولذلك ففي علاج هذه الحالات يشرف الطبيب على المريض ويعطيه جرعات متناقصة أو متدرجة في النقصان من الأفيون حتى يصبح جسم المريض غير محتاج الى المخدر. ولابد من اعطاء المريض جرعات متدرجة في النقصان حتى اذا كان سجيناً. . وبالرغم من أن أعراض تعاطي المخدرات أعراض فسيولوجية من طبيعتها، الاّ أننا لا نستطيع أن نغفل أثر العامل السيكولوجي، فالظروف السيكولوجية هي التي تدفع الفرد نحو الادمان، وهي التي تدفعه الى العودة الى تعاطي المخدر، حتى بعد اتمام العلاج الفسيولوجي. وان كان هذا لا يمنع من أن بعض المرضى الجسميين أو مرضى الجراحة قد يصبحون مدمنين بطريقة عرضية، وذلك أثناء اعطائهم بعض المخدرات لإزالة ما يشعرون به من آلام قاسية، فيؤدي تعاطي المخدرات الى ادمانه، انما في مثل هذه الحالات اذا لم يكن هناك أي سبب سيكولوجي فإن المريض نفسه يصبح راغباً في الشفاء من الادمان، وعلى ذلك يصبح علاجه سهلاً نسبياً.

---

١ يقصد بالفسيولوجيا علم وظائف الأعضاء.

وفي الغالب ما يبدأ الفرد في تعاطي المخدر على سبيل اكتساب الخبرة والتجربة، ولكنه سرعان ما يجرفه التيار ويعجز عن التوقف.

وبفهم الحاجات النفسية التي تقود الفرد الى الادمان يجب أن نعرف التأثير السيكولوجي للمخدر. . فهناك اعتقاد أن الأفيون يؤدي الى شعور الفرد بأنه طبيعي أو عادي أو سوي، بمعنى أن الفرد يشعر أن حاجته البيولوجية مشبعة، كما تشبع حاجاته الى الطعام والشراب والجنس. والى جانب ذلك فإنه لا يشعر بأي ألم، ويزول عنه الشعور بالتوتر، ويتحرر من مشاعر الحصر والقلق، كذلك تبتعد عنه بواعث العدوان والتخريب، ولكن لا يحدث هذا الّا بين أصحاب الشخصيات الضعيفة مثل الشخصيات العصابية[1] ومن بين الشباب المدمنين نجد أصحاب الشخصيات المضطربة الذين يعجزون عن التكيف مع الحياة بدون الاستعانة بالمخدر. ويكشف تحليل أحلام اليقظة عند المدمنين عن نوع من الهذيان في التفكير، وعن جنون العظمة، والشعور بالقوة، وكذلك الشعور بالشك والريبة، وفقدان الثقة في الآخرين. . كذلك يلاحظ أن معظم المدمنين انطوائيون متمركزون[2] حول ذواتهم، وليست لهم الّا علاقات ضعيفة بالناس الآخرين. . ولا يرغبون أن يكونوا في حالة يقظة تامة ويفضلون عليها حالة السكون والانتعاش الناتجة عن المخدر وهي حالة زائفة بالطبع.

---

١ الشخصية العصابية أي المصابة بالأمراض النفسية.

٢ الشخص المتمركز حول ذاته انطوائي وأناني.

أما تأثير الكوكايين Cocaine فمنذ قرون عديدة والانسان في أمريكا الجنوبية يميل الى مضغ أوراق شجر الكوكا، وفي العصر الحديث يصنع المخدر المسمى كوكايين من أوراق هذه الأشجار، وليس للكوكايين استخدامات طبية مثل المواد المستحضرة من الأفيون، كذلك لا يرغب فيه كثير من المدمنين، وذلك بالقياس الى الأفيون، ويرجع عزوف الناس عنه الى أنه يسبب هلوسات[1] سمعية وبصرية عنيفة جداً. وعلى العكس من الأفيون ومشتقاته، الكوكايين لا يسبب حالة الادمان الجسمية، ومن ثم فليست هناك أعراض انطوائية، عندما يتوقف المدمن عن تعاطيه.

وعلى ذلك فإن الناس الذين يدمنون تعاطي الكوكايين لا يوجد لديهم الا أسباب نفسية، وفي نهاية القرن التاسع عشر تم اكتشاف خواص التخدير في مادة الكوكايين ولذلك استخدم الكوكايين كمادة مخدرة للجراحات التي تجرى في العين.

بقي أن نشير الى أثر الحشيش أو المرجوانا Marijuana ولقد أشارت بعض الكتب المقدسة الى عدم شرب الحشيش Hashish، ويستخرج الحشيش من أوراق نبات القنب الهندي، وأوراق هذا النبات لها تأثير تخديري، وفي الغالب يستعمل الحشيش عن طريق التدخين في السجائر، وينمو هذا النبات في جنوب غرب الولايات المتحدة الأمريكية كنبات طبيعي لذلك فمن الصعب السيطرة على انتشاره وتوزيعه.

---

١ ـ الهلوسات عبارة عن مدركات حسية ـ سمعية وذوقية وبصرية وشمية ولمسية زائفة أي لا وجود لها كأن يسمع المريض أصواتاً.

وفي الوقت الحاضر أصبح استعمال الحشيش في أوروبا وأمريكا مصاحباً لموسيقي الجاز Jass music التي تغري الشباب وتجذبهم، وحيث أن للحشيش تأثيراً على الفرد يجعله يشعر أن الوقت يمر ببطء كبير، لذلك فإن الموسيقار يشعر أنه يستطيع أن يلعب بسرعة أكبر وفي نفس الوقت يكون مسترخياً عصبياً. وأوضح أن هذا التأثير ذاتي فقط وليس موضوعياً، بمعنى أن الزمن لا يقل في سرعته فعلاً، ولكن الفرد يتخيل او يتوهم ذلك، ومع ذلك فإن الموسيقار الذي يرغب في العمل تحت هذه الظروف النفسية فإنه يلجأ الى الحشيش ولكن تعاطيه ينتهي بالقضاء على موهبته.

والخطورة في هذا أن الشباب يلجأون الى تقليد نجوم موسيقى الجاز ويتعاطون الحشيش أيضاً ويؤدي بهم الى حالة الادمان والتشرد والضياع.

وتلجأ المنظمات المتخصصة في تهريب أو انتاج الحشيش الى توزيعه على الأحداث بشكل سجائر، وذلك بغية جرهم الى ادمان أنواع أكثر خطورة من المخدرات مثل الكوكايين والهيروين Heroin ولا يخفى أن مثل هذه المخدرات مرتفعة الأسعار بشكل خيالي، مما يوقع المدمن في المشكلات والجرائم والحشيش مثل الكوكايين ليست له خاصية الادمان الفسيولوجي Physiological Addictive ولا يؤدي الى حالات العنف والتهيج الاّ اذا استعمله شخص غير متزن اصلاً من الذين قد يتعاطون مخدرات أخرى أو يشربون الخمر.

ومن الواضح أنه من الصعب على المدمن الحصول على

الحشيش بطريق قانوني ولذلك فإنه يلجأ الى المهربين، أما النساء اللائي يتعودن تعاطي الحشيش فإنهن في الغالب ما ينتهي بهن الأمر الى الدعارة. . أما الرجال فإنهم بعد التعود على الادمان يتحولون الى باعة مخدرات. . ولكي يحصلوا على المكاسب التي يطمعون فيها فإنهم يلجأون الى الشباب الذين يتخذون منهم ضحيتهم.

وفي المستشفيات الحكومية الأمريكية يحجز المريض شبه سجين، ويرغم على التخلي عن المخدر أما محاولات التأهيل فإنها تفشل في معظم الحالات ماعدا حوالي ١٠٪ ، ونفس هذه النسبة تنتج من العلاج النفسي الذي يجبر فيه المريض على التخلي عن المخدرات، أما العلاج الحقيقي فإنه نادر، هذا بالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية أما انجلترا فإن العلاج فيها أكثر نجاحاً.

ولكن لا يتأتى نجاح العلاج الاّ اذا تغيرت نظرة المجتمع لمدمني المخدرات وأصبحت أكثر اشفاقاً عليهم واعتبارهم مرضى

أثر العوامل النفسية في الجريمة

لعل الأمة العربية والاسلامية، وهي تدخل عصر التمدن والتحضر مسرعة الخطى تنتبه الى أثر العوامل النفسية التي تزداد يوماً بعد يوم مع تعقد الحياة الحديثة ومع ازدياد صرامة وحدة التوترات التي تعيشها، والتي من بين آثارها المدمرة والعديدة. الجريمة،

الجريمة التي يذهب ضحيتها في معظم الأحوال أشخاص أبرياء عظماء أو غير عظماء.

ولعل هذه الحوادث الأخيرة التي أثارت في نفسي الاهتمام بهذا البحث تكون صيحة مدوية في أذهان المسئولين عن الأمن والجريمة، والنشء والاصلاح الاجتماعي لتوجيه العناية والرعاية للمرضى النفسيين .. بمختلف فئاتهم، ولدراسة العوامل النفسية المسئولة عن ارتكاب الجرائم، وحماية المجتمع من هؤلاء المرضى وحمايتهم من أنفسهم أيضاً.

وقد ينكر البعض قائلاً: وما للعوامل أو المرض النفسي والجرائم السياسية المدبرة؟ الواقع أن كل جريمة لابد وأن يكمن وراءها دافع أو عامل نفسي حتى في جرائم السياسة التي يعد مرتكبوها مسئولين مسئولية جنائية عن فعلتهم.. ذلك لأن لإقناع المجرم وايمانه بالفكرة واستحواذها عليه وماسبق ذلك من عمليات غسل مخ يتعرض لها من قبل المخططين للجريمة وما يشعر به من ثورة وتهيج كل هذا يعد من العوامل النفسية، وجرائم الانتقام والأخذ بالثأر قائمة على عقيدة نفسية خاطئة حيث يقنع المجرم نفسه بشرعية عمله، وحتى الجرائم التي تقع بمحض الصدفة نجد أن حالات نفسية تصاحبها كوارث الغضب العارمة، بل ان الخيال يلعب دوراً قبل الجريمة، حيث يجسم الفرد لنفسه المظالم التي يتوهم أنها تقع عليه، ويعمل المريض على حد تعبير المثل الشعبي.. (يعمل من الحبة قبة). فيثور وينتقم، والمعروف أن الانفعال الشديد يعطل عمل الوظائف العقلية Mental functioning فيعوق التفكير السليم

والاستدلال الصائب، ومن ثم قد يلجأ الفرد مساقاً بهذا الخطأ الى الجريمة والانتقام[1]

هذا بالنسبة للأسوياء أو العقلاء من المجرمين، فما بالك بمختلي القوى العقلية، هؤلاء يرتكبون دون وعي، جرائمهم، إما من تلقاء أنفسهم أو نتيجة تحريض الغير لهم، مستغلين حالاتهم العقلية، وسهولة استثارتهم وتسخيرهم واستمالتهم.

وهناك كثير من الكوارث الجماعية التي يذهب ضحيتها عشرات الأنفس الأبرياء. في صيف ١٩٧٢م أخذ شاب سيارته من مدينة المنصورة في دلتا النيل. تاركاً زوجته الشابة الحسناء، وتوجه مسرعاً الى مدينة الاسكندرية، وأخذ يجوب بها حتى هداه جنونه الى احدى البنايات الفاخرة في حي (رشدي باشا) فأسرع بسلق أدراج السلم وأخذ يدق نواقيس الشقق حتى فتح له أصحاب القدر المحتوم الذين فاجأهم، بعد أن استجوبهم عن مكان «العصابة» التي تطارده، بوابل من رصاص مسدسه. وأخذ يتنقل من شقة الى أخرى يوزع الموت كما يشاء على الأبرياء دون تمييز ودون سابق معرفة بينه وبينهم. والحكايات عن ذلك كثيرة ومفزعة فالصحف تحدثنا عن الطالب الجامعي الأمريكي الذي أخذ يحصد برشاشه رؤوس زملائه الطلاب والطالبات..وغيرهم.. وكثيراً من مشاهير السفاحين كانوا مختلي العقل. فخطر هؤلاء لا يحتاج الى دليل.

---

١ لمعرفة المزيد عن آثار الانفعالات راجع كتاب الباحث «علم النفس ومشكلات الفرد»، منشأة المعرفة بالاسكندرية.

والاحصاءات الحقلية تؤكد أن هناك نسبة كبيرة من الجرائم ترجع الى عوامل نفسية، أو تدخل ضمن دوافعها.

وتظهر العوامل النفسية، بنوع خاص، في جرائم مثل القتل، والعذاب المفضي الى الموت، وإحداث العاهات والخطف وهتك العرض والاغتصاب والسرقة والحريق العمد.

أما جرائم التهريب، والتزوير، والاختلاس، وإتلاف المزروعات، وتسميم الماشية، وتزييف العملات، فإنها تحتاج الى تفكير والى تخطيط لا يتوافر لدى صاحب العقل المشوش[1]، وترتبط زيادة نسبة الجرام بعامل السن الذي يرتبط بدوره بالحالة النفسية، فيلاحظ مثلاً أن أكبر نسبة من مرتكبي جرائم القتل العمد تقع في سن ٢٠ ـ ٤٠ وأقل فئات السن من الجريمة سن ١٥ سنة، وما فوق ٦٠ سنة، أما بالنسبة لجرائم الأحداث الجانحين Juvenile delinquents وهم الذين تقل أعمارهم عن سن معينة، تختلف باختلاف القوانين الجنائية في البلدان المختلفة.. فالعامل النفسي ظاهر فيها بوضوح اذ تعرف شخصية الحدث الجانح بالشخصية السيكوباتية Psychopath وهي الشخصية التي يفقد صاحبها الحس الخلقي Moral sense ويفقد الاحساس بالذنب أو اللوم Feeling of guilt or remorse على ما يرتكبه من جرائم، ولا يشعر بالأسف لما يلقاه ضحاياه من الآلام، فهو شخصية أنانية لا تقيم وزناً لمشاعر الآخرين أو لحقوقهم

---

١ ـ تقرير الأمن العام سنة ١٩٧١م. مصلحة الأمن العام. وزارة الداخلية. جمهورية مصر العربية.

Egocentric وهو مندفع وثائر، مضاد للمجتمع ويمتاز بعدم الثبات الانفعالي.[1]

كما ترتبط الجريمة أيضاً بنوع المهن وما تعكسه من مستويات تعليمية لأصحابها، فنجد أن أعلى نسبة من مرتكبي الجرائم من المشتغلين بالأعمال الزراعية والصيد في البحر والبر وأعمال الغابة ومن اليهم، على حين أقل نسبة من مرتكبي الجرائم كانت من المديرين وأصحاب الأعمال الادارية والتنفيذية ومن اليهم.

وتكثر نسب جرائم الأحداث في جرائم الضرب المؤدي الى العاهات والمؤدي الى الموت وهتك العرض على التوالي.

وبالنسبة للتوزيع الرسمي لجرائم القتل العمد حسب دوافعها نلاحظ أن عوامل نفسية مسئولة عن كثير من الجرائم كالثأر «٢٤٤ جريمة قتل عمد، الانتقام ٣١٧، والاستفزاز ٧٨، دفع العار ٨٢، أسباب عاطفية ١٩، وذلك من مجموع جرائم قتل عددها ١٢٢٠»[2]

فالعوامل النفسية ومن بينها السكر، وادمان المخدرات تلعب دوراً رئيسياً في حدوث الجرائم والجنح الجنسية وغيرها. يذهب البعض الى أن السكر لا يساهم مساهمة كبيرة في الجرائم الخطيرة كالقتل، وانما يساهم فقط في جرائم التشرد وهجر الأسر،

---

1 . Harriman, P.L. Dictionary of psychology

٢ - تقرير الأمن العام.

والاغتصاب، ولكن الواقع أن السكر وان لم يقد مباشرة الى الجريمة، فإنه يؤدي الى حالة تفكك في الشخصية أو اختلال التفكير، وتعرض المريض لحالات شديدة من الهلوسة، حيث يرى ويسمع ويشم. أشياء لا وجود لها كما أنه قد يقوده الى الوقوع تحت تأثير وهم أو هذيان الاضطهاد أي أنه مضطهد من فرد أو من المجتمع كله، وأن الجميع يحيكون له المؤامرات ويدبرون لاغتياله، ومن ثم يباغتهم قبل أن يباغتوه، والملاحظ أن السكارى قد يلجأون الى كثير من أعمال العنف والشغب والصياح سواء مع بعضهم البعض أو مع غيرهم، والى الاغتصاب.

ولما كان ادمان الخمر أو المخدرات يرهق دخل المدمن، فإن كثيراً ما يرتكب جرائم سلب أموال الغير بالقوة.. والى جانب هذا.. فإن المخدرات قد تضطر بصاحبها الى مخالطة أناس من ذوي المستويات الاجتماعية السيئة مما يجعله يكتسب عادات اجرامية أو مضادة للقانون، ويخفض من مستوى طموحه ومعنوياته.

واذا كان الادمان ضاراً فإننا نلجأ الى التساؤل لماذا اذن يسكر الناس؟ ويذهب كثيرون من علماء النفس الى القول بأن الفرد يلجأ الى السكر كوسيلة للهروب من الواقع المؤلم الذي يعيش فيه لكي ينساه فهو وسيلة يحتمي فيها المريض لكي ينسى همومه، انما الواقع أن الشراب يزيد من هذه الهموم ولا يخفف من حدتها فيشرب ثانية وهكذا يستمر المريض في حلقة مفرغة

وينبغي أن ينتبه الشاب الى الادمان، سواء على الخمور أو المخدرات، قد يبدأ عندما يرغب الفرد في مجرد التجربة مدفوعاً بحب الاستطلاع ولكن ما يلبث أن يستمر في العادة ولا يستطيع منها خلاصاً.

والواقع أننا لا ينبغي أن نجرب كل شيء لكي نقف بأنفسنا على خطره، بل تكفي القراءة والاطلاع والافادة من خبرات الغير وتوجيهاتهم، وهنا تبدو أهمية توعية الشباب وتثقيفه

ومن الجرائم النفسية الواضحة ما يعرف باسم السرقة القهرية Compulsive Theft وهي نتيجة حالة نفسية، حيث يجد الفرد نفسه مساقاً الى سرقة أشياء قد تكون تافهة وقد لا تتفق ومستواه الاجتماعي (البراق) ولكنه يسرقها لاشباع دوافع وعقد لا شعورية كامنة.

وينبغي ملاحظة أن هناك مرضى تعتريهم نوبات متعاقبة من الهدوء وأخرى من الثورة والعنف، في الأخيرة يصبحون خطراً على حياة الآخرين، كذلك هناك من الجرائم، تخصصات دقيقة، فهناك جنون الجنس، وهناك جنون الاضطهاد، وهناك جنون الحريق، وهناك جنون السرقة.. وغيرها، وهناك نوع من الجرائم يرتكبها المريض أثناء نومه دون وعي أو ادراك، وعندما يستيقظ لا يتذكر مما ارتكبه في نومه. وفي حالات ازدواج الشخصية يتقمص الفرد شخصية غير شخصيته الأصلية، وقد يرتكب بعض الأعمال الاجرامية أثناء تقمص شخصية اجرامية، ويمتاز المريض السيكوباتي

بالعجز عن التحكم في دوافعه، وضبط نفسه، فهو يندفع بكل قواه لإشباع حاجاته التي يشعر بها سواء كانت حاجة جنسية أو مادية، ولا يستطيع أن يتحكم فيها أو يؤجل اشباعها. ولا يهتم بالمسئولية ولا يتأثر بالمدح أو الذم، ولا يتعلم من العقاب ولا يخشاه.[1]، ان ضميره على حد تفسير مدرسة التحليل النفسي لم ينم النمو الكافي الذي يجعله يحاسبه على ذنوبه وخطاياه.

ليس الخلل العقلي وحده هو المسئول عن الجريمة، بل العنف العقلي أيضاً حيث يعجز الفرد عن التمييز بين الخطأ والصواب، ويقف دون ادراك عواقب عمله أو فهم نوايا الآخرين.. كل هذه الفئات: المرضى العقليون، والنفسيون، ومدمنو الخمور والمخدرات، وضعاف العقول، ومرضى الجهاز العصبي ينبغي علاجهم وايواؤهم بل ينبغي توفير الوسائل والرعاية النفسية والتربوية التي تحقق الوقاية من الاصابة بمثل هذه الاضطرابات، ولا يصح أن نقف موقف المتفرجين، حتى يرتكب أحدهم جريمة مروعة، وانما ينبغي العمل على اكتشاف هذه الفئات وحمايتها ويلزم نشر الوعي السيكولوجي والتربوي بين أفراد المجتمع بحيث يحسنون معاملة المرضى ويقدمون لهم العلاج الطبي والعلمي الضروري والآ يشعروا بالخجل أو العار من وجود أحد هؤلاء في الأسرة، فإن النفس تمرض كما يمرض البدن، وليس هناك أي مساس خلقي في مرض الانسان، عقلياً كان أو جسدياً.

---

١ ـ الدكتور عمر السعيد رمضان. دروس في علم الاجرام. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.

إن الأمة العربية وهي تبني حضارتها الحديثة لابد وأن تبنيها حضارة متكاملة شاملة لا تقوم على أساس التقدم المادي أو التكنولوجي وحده، وانما على أساس الاهتمام بالعنصر الانساني وقدسية الانسان والحفاظ على كرامته وحقه في الحياة والسعادة، ولابد اذن من تنمية شخصية النشء بكل جوانبها الجسمية والعقلية والمعرفية والنفسية والاجتماعية والخلقية والروحية ولابد من دعم القيم الروحية المقدسة التي تحفظ على الانسان كيانه، وتحميه من الضياع والالحاد في وسط عالم متطور سريع التغيير كثير المنافسة مملوء بالتوترات.

ومن هنا كانت أهمية علم النفس في حياة الأمة العربية المعاصرة.

الفصـــل الخامس

الجرائـــم الجنسيـــة

الجرائم الجنسية: Sex Crimes

تعتبر معظم الانحرافات التي يتحدث عنها علماء النفس والطب مخالفة للقانون في المجتمع الأمريكي، والشرع، ولكن بعضها مثل الشخص الفاشي يستطيع أن يظل مختفياً عن أعين الشرطة، وفي الغالب لا يعتبر مجرماً، وحتى الجنسية المثلية تظل بعيدة عن الاصطدام بالقانون طالما أنها تمارس مع الكبار وبعيدة عن الأطفال.. أما أصحاب النزعات الشاذة في استرقاق السمع أو الاستعراض، فإنهم سرعان ما يقعون في يد الشرطة، أما أصحاب الرغبة الجنسية في الأطفال، فإن الشرطة دائماً تبحث عنهم وتقدمهم للمحاكمة.

وعلى كل حال. تقتصر الجرائم الجنسية على تلك الجرائم التي يرتكبها الشخص الشاذ رغبة في الشعور باللذة الجنسية، ومن أمثلة هذه الجرائم القتل والسرقة، فهناك رغبة عند بعض الأشخاص في اشعال النار لكي يستثار الفرد جنسياً ويشعر باللذة وتوجد هذه النزعة عند الصبية المراهقين.

وعندما يرى المراهق اللهب فإنه يستثار جنسياً وقد يستجيب تلقائياً، وقد يستعين بممارسة العادة السرية، وهناك نزعة أخرى تقود

صاحبها الى السرقة رغبة في الشعور بالمتعة الجنسية من وراء فعل السرقة القهرية. . وفي الغالب لا يستخدم الأشياء التي يسرقها ولا يكون في حالة فقر تمنعه من شراء ما يحتاج اليه.

وهناك جرائم جنسية أكثر خطورة من ذلك هي حالات القتل الشهواني، وفي الغالب ما يكون الشخص الشاذ مجرماً سابقاً، وله سوابق في العدوان ضد المجتمع، وعلى ذلك فيهاجم أية امرأة سواء كانت جميلة أم قبيحة، صغيرة أم عجوزاً، أما القتل الشهواني فيوجد عند الشخص الذي يخاف من محاولة الاتصال الجنسي مع امرأة حية، ولذلك فإنه يقتلها حتى يصبح مثاراً جنسياً. وبعض الأشخاص توجد لديهم رغبة في الاتصال الجنسي بالموتى ولا توجد لديهم رغبة في القتل. ولذلك نجدهم يجوبون المقابر بحثاً عن جثث النساء أو يتتبعون الجنازات حتى يعرفوا مقر جثث النساء.

وفي معظم المجتمعات يعتبر الزنا أو الدعارة مخالفة للقانون، والدعارة تشبه الفعل الجنسي الذي يمارس بالقوة Rape من حيث أن هدف المومس ليس اللذة الجنسية، ولكنه الحصول على المال.

وهناك الحب الأثري. وهو أكثر الانحرافات الجنسية شيوعاً وأقلها خطراً وحب الأثر معناه حب أشياء ذات صلة بمثير الحب الأصلي. . مثل الحذاء أو المنديل أو القفاز أو الملابس الداخلية. وغيرها. وقد يتخذ شكلاً عاماً فيميل الشخص الى جمع الملابس الداخلية مثلاً لجميع الناس وليس فقط لمحبوبته ومن ثم يقوم بارتكاب جريمة سرقة هذه الملابس الداخلية فيصطدم مع القانون.

الجنسية المثلية: Homo sexuality

وهي الرغبة في الاتصال الجنسي بشخص من نفس الجنس أو الميل الجنسي الى أفراد في الجنس. ويرجع علماء النفس التحليلي هذا الانحراف الى اضطراب في النمو النفسي الجنسي للفرد، والى ثبوت في أطوار النمو وجمودها في مرحلة من مراحل النمو، ويرجع هذا الانحراف الجنسي الى عجز في نمو الفرد نمواً طبيعياً في حياته الجنسية، وقد يكون الطفل الذكر يتعرض لموقف أو خبرة شاذة من الجنس الآخر جعلته يخشاه ويمتنع عن التعامل معه أو الميل اليه، فيتجه بموضوع ميله نحو نفس الجنس.

والجنسية المثلية Homosexuality تتضمن جاذبية فيزيقية بين أفراد الجنس الواحد، ولقد وجد فورد وبتيسن أن الجنسية المثلية تعتبر حالة وقتية وزائفة عند الحيوانات الدنيا، أما الحيوانات العليا فإن الجنسية المثلية ممكن أن تتعلم وأن تستمر حتى في الحالات التي يوجد فيها أعضاء من الجنس الآخر.

ولقد وجد أن هناك بعض الرجال، وكذلك بعض القردة، الذين يعتبرون أصحاب نزعات جنسية ثنائية Bisexual ومعنى ذلك أنهم قادرون على ممارسة النشاط الجنسي مع الذكور والاناث، وهناك بعض الأشخاص الذين مارسوا الجنسية الثنائية ولكنهم ليسوا فعلاً أصحاب نزعات جنسية مثلية، كذلك تجدر الاشارة الى أن هناك كثيراً من حالات الجنسية المثلية الكامنة أو المستترة أي أولئك الذين لم

يحدث لهم أن انخرطوا في هذا النشاط، والذين لا يشعرون بوجود هذه النزعات عندهم.

ولقد أوضح كل من فورد وبيتيسن أن الثدييات تمتلك بالوراثة الاستعداد للنشاط الجنسي الذكري والأنثوي، فإذا كان هناك اتزان في افرازات الهرمونات كما اذا توفرت البيئة الطبيعية، فإن الفرد سوف لا يظهر الاّ السلوك الجنسي السوي المتفق مع جنسه ويقول بعض علماء النفس ان عزل الجنسين يؤدي الى نمو النزعات الجنسية المثلية، وعندما يعاد اتحاد أو تجمع الجنسين، فإن النزعات الجنسية الشاذة تختفي فيما عدا الحالات الانطوائية أو الانعزالية، وكلما زادت درجة ارتقاء الكائن الحي كلما زادت قدرته على التعلم وبالتالي زادت قدرته على تعلم ألوان مختلفة من الشذوذ الجنسي، وعلى ذلك فإن فورد وبيتيسن ينظران الى الجنسية المثلية على أنها ميل يتعلمه الفرد خلال حوادث غير مواتية وخبرات في مرحلة الطفولة كإغراء رجل شاذ للطفل الصغير مثلاً.

ويفسر بعض علماء النفس التحليلي نزعة الجنسية المثلية بالرجوع الى خوف الذكر من فقدان عضوه التناسلي Castration أما في الاناث فيرجعونها الى وجود شعور وهمي أن الأنثى كانت تمتلك يوماً ما عضو تذكير ثم فقدته. فالطفل يلجأ الى حل الموقف الأوديبي[1] حلاً خاطئاً عن طريق التوحد مع شخصية الأم، ويرى

---

١ ـ الموقف الأوديبي أو عقدة أوديب تشير الى نوع من الشذوذ النفسي مؤداه تعلق الطفل الذكر بأمه وحبه اياها، ورغبته في ابعاد الأب، وتعلق البنت الأنثى بوالدها وحبها اياه ورغبتها في ابعاد الأم.

أباه كشخص له جاذبية جنسية، وذلك بدلاً من حل الموقف الأوديبي عن طريق التوحد مع شخصية الأب، والرغبة في أن يصبح رجلاً كاملاً.

أما علاج حالات الجنسية المثلية فمسألة صعبة، لأن الشخص الشاذ في هذه الناحية يعتقد أنه موفق جنسياً، وأنه يستشعر لذة فائقة، ويريد من الناس أن يفهموه وأن يقبلوه، ولذلك نادراً ما يقبل المريض على العلاج النفسي.[1]

١ ـ يمكن للقارىء مراجعة كتاب الباحث «العلاج النفسي» لمعرفة كافة أساليب علاج الشذوذ الجنسي والانحراف. دار النهضة العربية. بيروت. لبنان

الفصـــل السادس

طرق اكتشاف الجرائم والتعرف على المجرمين

كيف يمكن التعرف على المجرمين واكتشافهم؟ إن معظم السلوك الاجرامي دائماً يتصل بأناس لا يرغبون في العقاب، ولا يرغبون في الاحالة الى المحاكمة أصلاً ولذلك تهتم أجهزة الأمن بجمع المعلومات من جميع المصادر الممكنة بما في ذلك المجرمين أنفسهم.

ولكننا لا نعرف عما اذا كان الفرد يقول الحقيقة أم لا.. ولذلك يلجأ علماء الاجرام الحديث لاستخدام جهاز كشف الكذب Lie detector للتأكد من صدق أقوال المتهم من عدمه، ولكن لسوء الحظ لا توجد آلة أو ماكينة تعرف باسم كشاف الكذب، لا يوجد مثل هذه الآلة التي تكشف الكذب بصورة مباشرة، ولكن هناك آلات ومعدات توضح للأخصائي مدى انفعال الفرد عند سماع بعض القضايا أو العبارات أكثر منه عند سماع بعض العبارات الأخرى.[1]

---

١ ـ لمزيد من المعلومات راجع كتاب المؤلف: «علم النفس ومشكلات الفرد». منشأة المعارف بالاسكندرية. الباب الخاص بالانفعالات.

كشاف الكذب: The lie detector

كشاف الكذب عبارة عن آلة تسجل عدداً من الخصائص والصفات الفسيولوجية التي تتغير في الفرد أثناء عملية الاستجواب أو التحقيق معه

إن كشاف الكذب يقيس التغيرات الفسيولوجية التي تحدث في داخل الفرد تلك التغيرات المصاحبة للتغيرات الانفعالية التي تحدث في حالته الانفعالية.

إن هذا المقياس ليس جديداً كلية، فمنذ قرون طويلة كانت هناك محاولة لاكتشاف الكذب، فقد حاول الملك سليمان التعرف على أمومة الطفل عن طريق ملاحظة الشعور بالخوف الشديد عند الأم الحقيقية عندما يتظاهر بالانتقام الشديد من جسم الطفل. وفي العصور الوسطى كانت هناك معدات للتعذيب والتنكيل كوسيلة للحصول على الاعترافات الحقيقية.

أما معدات اكتشاف الكذب وتميزه عن القضايا الحقيقية فإنها تقيس ضغط الدم Blood Pressure ومعدل النبض Pulse، وانتاجية الجلد من الكهرباء Electrical conductivity of the skin ومعدل التنفس Breathing rate . . هذه العوامل غالباً ما تختلف باختلاف الحالة الانفعالية للشخص، والحالة الانفعالية تتغير عندما يكذب الفرد ومعنى هذا أن تقدير سلوك الكذب يسجل عن طريق التغيرات

المصاحبة التي تحدث في الجسم عندما تتغير الحالة الانفعالية، ولكننا يجب أن نعترف أن نفس التغيرات في الظروف الانفعالية تحدث نتيجة لظروف كثيرة أخرى خلافاً لسلوك الكذب، فقد يخاف الشخص من وجود الأشخاص الآخرين معه، وقد يشعر بالقلق نتيجة لتأثير أي عنصر من العناصر الموجودة، وهناك أشخاص يأتون بالاستجابات العادية للخوف كما يستجيب غالبية الناس، على كل حال الجهاز يسجل استجابات الفرد والتغيرات الفسيولوجية، ثم يفحصها اخصائي القياس النفسي، ومعه المحقق لتحديد معناها ومدى صدق الفحوص.

ضغط الدم والنبض:

هناك كثير من الدراسات التي أوضحت أن ضغط الدم يتغير نتيجة لوصول بعض التيارات العصبية من الجهاز العصبي السمباثاوي Sympathetic nervous system، ضغط الدم هذا عندما تكون صمامات القلب Valves مفتوحة، يمكن أن يقاس بسهولة، ويمكن قياس التغيرات التي تحدث في الضغط، وعندما تكون تغيرات ضغط الدم متمشية مع اجابات المتهم في التحقيق، فإننا نحصل على مؤشر لصدق المتهم أو كذبه.. وهناك افتراض أن الفرد عندما يروي رواية كاذبة فإن هناك تغيرات تحدث في التيارات العصبية من الجهاز العصبي المسباثاوي، ويوجد كثير من الأجهزة الحديثة التي تسجل ضربات القلب بصفة مستمرة وضغط الدم ولكن هناك صعوبة في تفسير مثل هذه النتائج عند المجرمين الذين اعتادوا الجريمة

إن المتهم الذي يشدد من قبضة يده، ويصلب رجليه ويشدهما أو يخلق توتراً عضلياً في جسمه وبأي طريقة من الطرق يستطيع أن يجعل تفسير هذه النتائج صعباً، أو يفسد مدلول هذه النتائج، كذلك فإن الأشخاص الذين يعودوا على استخدام كشاف الكذب يستطيعون أن يجوروا من اجاباتهم بطريقة تجعل من الصعب تمييز الاستجابات الصادقة من الكاذبة

ومعدلات النبض تتغير أيضاً لنفس الأسباب التي تؤدي الى تغير ضغط الدم، ولذلك فإن الأجهزة والمقاييس توضح التغيرات التي يمكن تفسيرها بنفس الطريقة التي يفسر بها ضغط الدم.

يقاس أيضاً معدل التنفس Breathing rate عن طريق جهاز يسمى Pneumograph ويتكون من خرطوم من المطاط يلف حول صدر المتهم، ويوجد به جهاز يسجل الشهيق والزفير. ونسبة الزمن الخاصة بالشهيق الى الزفير تتغير بتغير التيارات العصبية الصادرة من الجهاز العصبي.. وفي الغالب ما يتبع الكذب تنفس عميق غير منتظم.

الاستجابات السيكوجلفانية: |Psychoglvanomic responses

يمكن قياس الاستجابات الجلفانية وهي عبارة عن كمية من الكهرباء التي تظهر على سطح الجلد، وذلك بطريقتين: الأولى عن طريق تزويد الجسم بكمية صغيرة جداً من الكهرباء عند نقطة معينة

من سطح الجسم ثم قياس الكهرباء التي تنتج على سطح الجلد في نقطة مجاورة أخرى. ويمكن التعرف على التغيرات التي تحدث في انتاج مثل هذا التيار الكهربائي والطريقة الثانية هي قياس النشاط الكهربائي الحقيقي الذي يظهر على سطح الجلد. ولكن الاستجابة الجلفانية حساسة للغاية وصعبة التفسير.

موجات المخ: Brain Waves

ينتج المخ بعض الموجات الكهربائية، ويمكن قياسها عن طريق أجهزة خاصة، وتوضح مثل هذه الأجهزة نمطين من الموجات: موجات الألفا وهي بطيئة ومتناسقة Alpha Wave وموجات بيتا Beta Wave وهي أكثر سرعة، والمعروف أن موجات الألفا تختفي في حالة التهيج الانفعالي، فقياس موجات المخ أحد الطرق المستخدمة للتعرف على الكذب، ولكن هذا القياس يحتاج الى أجهزة دقيقة وخبرة كبيرة في تفسيره.

الى جانب هذه الطرق المستخدمة في التعرف على الكذب تستخدم أيضاً حركات العين Eye movements عند المتهم، وذلك عن طريق ملاحظة عين المتهم وحركاتها أثناء الاستجوابات وبعدها.

استعمال كشاف الكذب:

هناك صعوبات في استعمال كشاف الكذب، منها أن هناك حالات وعوامل كثيرة من الممكن أن تحدث في الفرد، هذه التغيرات

الفسيولوجية آنفة الذكر (زيادة ضغط الدم، التنفس، الاستجابة الجلفانية. وغيرها) من ذلك الخوف، والغضب والارتباك، والدهشة، أو المثيرات القوية الصادرة عن البيئة، مثل هذه العوامل قد تفسد النتائج التي نحصل عليها من استعمال كشاف الكذب، ولكن حتى مع وجود مثل هذه الصعوبات، الاّ أن كشاف الكذب يأتي بكثير من المعلومات ذات القيمة الكبيرة في تقدير سلوك الكذب. في كثير من الأحيان يتردد القضاة في قبول النتائج المستمدة من استخدام البليوجراف أي كشاف الكذب Polygraph ولا يقبلونها كأدلة موضوعية، وفي بعض الأحيان تستدعي المحكمة الخبير الذي استخدم الجهاز وفسر نتائجه للإدلاء بشهادته.

ويمكن الحصول على نتائج صادقة إذا استخدم كشاف الكذب أخصائي مدرب تدريباً كافياً وفي حالة استخدام كشاف الكذب فإن هناك منهجاً خاصاً بالاستجواب أيضاً كأن يستخدم ترابط الكلمات أو سلسلة من الأسئلة بحيث يجيب المفحوص بكلمة على كل مثير[1]

وتجري عملية الاستجواب في أثناء تسجيل التغيرات الفسيولوجية ويمكن اعزاء التغيرات التي تلاحظ في الاستجابات الفسيولوجية الى ذات السؤال الذي حدثت التغيرات على أثر سماعه

---

1 Brown J. M., Applied Psychology.

وهناك في الوقت الحاضر كثير من الأجهزة الجديدة التي تستخدم في مكافحة الجريمة

من ذلك كشاف السكر Breathalyser وهو جهاز يكشف مقدار الكحول في الدم.. ويفيد في التعرف على السكارى..

إن أعراض السكر أو التسمم تشبه أعراض الصرع Epilepsy والنوبات القلبية Heart attacks ومرض السكر Diabetes أو تعاطي الجرعات الزائدة من الأنسولين Insulin أو المسكنات أو المهدئات Tranquilizers ويعد هذا الجهاز واحداً من كثير من الأجهزة العلمية التي تستخدم في مجال الجريمة.. ولذلك فللبحث العلمي أهمية كبيرة في مجال منع الجريمة وتوجيه الاتهام.

الاجراءات داخل قاعة المحكمة:

تحدثنا حتى الآن عن العوامل المتصلة بالسلوك الاجرامي، والتعرف على الكذب أو الغش.. وينقلنا هذا الى الحديث عن اثبات ادانة أو براءة المتهم في كثير من بلاد العالم، بما في ذلك الولايات المتحدة الأمريكية، يعتبر المتهم بريئاً الى أن يثبت أنه مذنب.

وتوفر المحاكم فرصاً لتقديم الأدلة على الادانة والبراءة ثم الحكم بعد ذلك وسيتصف جو قاعة المحكمة بالجدية والهدوء، وكثيرا من الحركات الشعائرية أو الطقوسية، ويساعد هذا الجو في البحث عن العوامل الحقيقية المتصلة بالجرعة.

والمعروف أن هناك نوعين من القضايا؛ قضايا جنائية، وتتضمن اتهام شخص أو أشخاص معينين بخرق قاعدة مرعية أو قانون من قوانين المجتمع.. ويعمل مدعي الاتهام Prosecuting attorney على اثبات أن المتهم مذنب، أما ممثل الدفاع أو مدعي الدفاع Defense attorney فيعمل كل ما يستطيع من أجل اثبات براءة المتهم.

أما النوع الآخر من القضايا فهو القضايا المدنية Civil Cases وهو شخص يسعى لعقاب أو مجازاة شخص آخر لقيامه بعمل ما، فالمدعي يطلب من القاضي أو من المحلفين أن يقرروا أنه قد تأثر تأثراً ضاراً أو بغير حق عن طريق شخص آخر.. واذا ثبت ذلك أن يوصي القاضي ببعض التعويضات نظير الخسائر التي لحقت به، ويمثل المدعي محام يحاول اثبات أن المدعي قد أصابه الضرر بينما محامي المدعى عليه أن يحاول اثبات عدم صحة هذه الدعوى.

وفي علم النفس. معظم الاهتمام يوجه نحو القضايا الجنائية، وان كانت نفس المبادىء تنطبق على هذين النوعين من القضايا معاً أي القضايا المدنية والقضايا الجنائية.. وهناك أنواع أخرى من القضايا في البلدان التي تطبق القانون المدني منها قضايا الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والنفقة وقضايا اسكانية وأخرى يطلق عليها أمن دولة وقضايا عسكرية.

إن هدف المحكمة هو حماية المواطنين وصيانة حرياتهم.

ولذلك يحاول مدعي الاتهام اثبات أن المتهم قد خرق قاعدة قانونية معينة وعلى المدعي أن يقنع القاضي والمحلفين أن المدعى عليه مذنب.

في حالة القضايا الجنائية يمثل المتهم والادعاء أخصائيون هم وكلاء ممثل الاتهام يمثل الناس أو الشعب ممثلين في شكل حكومة محلية أو ولاية أو الحكومة الفيدرالية ولذلك تصاغ القضية مثلاً على أنها من حكومة فنزويلا ضد جون كوكس مثلاً ودائماً ما يؤكد المدعي هذه الحقيقة لكي يوضح أنه من جانب أفراد المجتمع محاولاً حمايتهم من المتهم.. وفي الغالب ما تنظر القضية أمام أفراد محترمين من أبناء المجتمع الذين تم انتخابهم أو تعيينهم كقضاة، وفي بعض الأحيان تنظر القضية أمام هيئة من المحلفين Jury ، ويختار القاضي في الولايات المتحدة الأمريكية نتيجة لتعليمه وخبرته الواسعة بالقانون ومن واجباته الاستماع الى الطرفين وأن يصدر حكماً ببراءة المتهم أو ادانته. وأن يوجه المحلفين وأن يستمع الى قرارهم ثم يصدر الحكم.

ويتدخل علم النفس في نشاط المحلفين والشهود والأدلة وأحكام المحلفين.

الشهود Witnesses ودورهم في اثبات الادانة والبراءة:

في القضايا الجنائية يصبح من مسئوليات مدعي الاتهام أن يستدعي جميع الشهود الذين يستطيعون تزويد المحكمة بالمعلومات

ازاء الأحداث التي وقعت وعندما يقف الشاهد على منصة الشهود، فإنه يقسم أن يقول الحق على افتراض أن الشخص يصبح أكثر اجباراً على قول الحق اذا أقسم أن يقول الحق. وقديماً كان هناك قسم قوي مع تقبيل الكتاب المقدس. ولم يعد هذا منتشراً الآن.. ولكن مازال هناك شعور عاطفي أو انفعالي قوي في قاعة المحكمة، عندما يقسم الأفراد بقول الحق، ولكننا لا ندري إن كان ذلك يزيد من صدق أو صحة العبارات التي يدلي بها الشهود أم لا.. ولقد كشفت بعض الدراسات أن الأشخاص الذين أدلوا بشهادات غير صحيحة بنسبة تتراوح بين ٢٠ و ٢٥٪ هؤلاء الأشخاص في تجربة معملية أدلوا بشهادات خاطئة تبلغ ١٠٪ فقط وذلك بعد أن أدوا القسم اللازم، ومعنى ذلك أن القسم أدى الى انخفاض نسبة الشهادة الخاطئة بنسبة ٢٥ ـ ١٠ ـ ١٥٪.. وهناك تجارب معملية أخرى تتفق على وجه العموم مع هذه النتيجة، ولكن للأسف لا نستطيع أن نجري التجارب في قاعة المحكمة، ولذلك فلا تتوفر لدينا الأدلة الموضوعية والعملية. ويبدو واضحاً أن القسم يؤدي الى قول الحق[1] Oath taking is apparently conductive to truth telling وخاصة اذا لم تكن للشاهد مصلحة في القضية.

لا توجد أدلة علمية كثيرة توضح طريقة سرد الأدلة التي يستفيد منها ممثل الاتهام، ويصبح عليه هو أن يستخدم أسلوبه السيكولوجي الخاص. وان يختار الشهود، وأن يقدمهم بالطريقة التي

---

١ brown. المرجع السابق.

يفيد منها افادة كبيرة في قضيته. وفي الغالب ما يبدأ مدعي الاتهام باستجواب شخصية قوية تكون قادرة على الوقوف أمام الامتحان القاسي الذي توجهه اليه هيئة الدفاع.. ثم بعد ذلك يستخدم بقية الشهود المتوفرين لديه لكي يعرض القضية بالطريقة التي يظن أنها منظمة، وفي الغالب ما ينتهي أيضاً بشهادة شاهد قوي.. ويؤسس هذا الاجراء على افتراض مؤداه أن شهادة الشاهد الأخير سيتذكرها المحلفون عندما يذهبون الى قاعة المداولة (الانطباع الأخير).

لقد درس أحد الباحثين أثر ترتيب المعلومات والأدلة على هيئة المحكمة، وذلك في أحد معامل علم النفس، ولقد أوضحت هذه الدراسة أن هناك انتقالاً في الحكم بالإدانة أو البراءة في أثناء توالي الإدلاء بالشهادات أمام جماعة من (المحلفين)، وكانت درجة شعور المحلفين بإدانة المتهم كانت تختلف كلما عرضت عليهم الأدلة المختلفة، بل ان اختلاف ترتيب عرض الأدلة أدى الى اختلاف في الحكم النهائي.

لاشك أن ترتيب عرض الشهادة له أثره في أذهان المحلفين، وهناك دراسات أخرى أوضحت أن العبارات الختامية للمدعين لها أهمية في اتجاهات المحلفين..

أما ممثل الدفاع فيبذل كل جهده لكي يوضح أن المتهم بريء ليس سيئاً كما صوره ممثل الاتهام. وفي الغالب ما تثار كثير من الجوانب العاطفية أكثر من الحقائق المادية.. وهناك طرق متعددة أمام هيئة الدفاع لإثارة العواطف نحو موكلهم.. فإذا كان من الممكن فإنه

يثير الشك في أذهان المحلفين حول جرم المتهم، كما يحاول ممثل الدفاع أن يوضح أن موكله شخص طيب، وقد يحاول أن يوضح أن ممثل الاتهام كان غير عادل مع المتهم، وقد يوضح أن الشخص الذي وقع عليه الضرر كان شخصاً شريراً في المحل الأول، وقد يلجأ الى روح الفكاهة والمزاح لكي يسفه من آراء المدعي الخصم وللأسف أيضاً لا يوجد لدينا أدلة علمية عن أفضل هذه الطرق.

ولقد وجد أن استجواب الشاهد أو التحقيق معه هو خير وسيلة لاختبار صحة شهادته، ويستطيع المدعي أن يسأل أسئلة المعارضة أو الخصوم لنفس الشاهد، ولا ينبغي أن تكون الأسئلة عامة، ثم يترك المدعي الفرصة للشاهد كي يعرض معلوماته. وبالمثل بالنسبة للدفاع، ينبغي أن تكون أسئلته بنفس الطريقة، وفي أثناء تبادل الأسئلة بين مدعي الاتهام والدفاع للشهود من الممكن استخدام الأسئلة الموجهة وأسئلة للخداع والحيل Trick Questions وكذلك من الممكن القيام بالمحاولات التي تستهدف ابطال مفعول شهادة الشاهد. ويتدرب المحامون في أثناء اعدادهم على استعمال مثل هذا الحوار

ويخلق جو المحكمة والسلطة الممنوحة للقاضي والمحامين جواً من عدم الأمان في نفس الشاهد ونوعاً من الشعور الانفعالي بعدم الراحة فالشاهد يقع تحت ضغوط نفسية كثيرة.

معرفة دقة الشهادة: Testimony

هناك كثير من البحوث السيكولوجية التي تناولت موضوع الشهادة، وتفاعل الفرد مع عناصر بيئته المادية والاجتماعية ، ومن بين هذه الدراسات كيفية استعمال الفرد للمثيرات وتفاعله معها، واستجابته لها، ومثل هذه المعلومات ذات قيمة كبيرة في نشاط المحاكم، ويقصد بالشهادة اعطاء تقرير بواسطة شخص ما عن موقف خاص أو سلسلة من الأحداث التي سبق أن وقعت في حضوره ولذلك هناك كثير من المعلومات السيكولوجية الهامة التي تتدخل فيها، منها الادراك والانتباه واعطاء التقارير والتذكر وغيرها.

Thus the processes of perception, attention reporting and memory are imvolved in testimorry.[1].

وهناك كثير من العوامل السيكولوجية التي تؤثر في دقة الشهادة، ويذهب بيرن F.K. Berrien الى القول بأنه من الواضح أن الشهادة الدقيقة في قاعة المحكمة سوف تعتمد على دقة ملاحظة الحدث أولاً. أما العوامل التي تفسد الملاحظة الأولى فهي عوامل في الاحساس والخداع البصري وغير ذلك من العوامل التي يدرسها علم النفس العام، ومنها عوامل موضوعية تتصل بموضوع الادراك نفسه كالشكل والأرضية وعوامل التشابه أو التقارب الزمني والمكاني والاتصال والاغلاق والنمط، والعوامل الذاتية كالحالة الجسمية والنفسية للشخص المدرك واتجاهاته وميوله وذكائه وعامل الألفة أو

---

١ المرجع السابق: Brown

الخبرة وعامل التوقع وغيرها. كل هذا يؤثر في دقة الملاحظة [1]

مدى دقة الرؤية. Vision

من الواضح أن هناك أخطاء كثيرة في رؤية الانسان للأشياء المحيطة به، وهناك كثير من العوامل التي تؤثر في دقة الملاحظة فقدرة الانسان على الرؤية فيها كثير من وجود النقص الذي يدركه الناس عامة، وكذلك هيئة المحكمة ان الأشخاص المجاورين للحدث لا يمكن أن نتوقع منهم أن يعطوا أدلة غير قابلة للشك للأحداث التي وقعت على بعد معين منهم، وذلك مالم يرتدوا نظارات مصممة للرؤية وتتوقف درجة الدقة على درجة سلامة الرؤية، والأشخاص الذين شاهدوا الحدث من بعد يجدون صعوبة في التمييز بين الأحداث والوقائع وعناصر الموقف، ومعظم الأحداث في الواقع تقع على بعد ما من شهود.

كذلك عمى الألوان Color blindness يوجد بحوالي ٤٪ بين الذكور ١٪ في النساء، وهو يفسد شهادة بعض الشهود دون أن يدري الشاهد نفسه، وبعض الناس الذين يعانون من عمى الألوان البسيط لا يكتشفون ذلك الا بعد سن متقدمة على الرغم من وجود الحالة عندهم منذ الميلاد، هؤلاء الناس لا يستطيعون التمييز بين الألوان الحمراء والخضراء بسهولة.

---

١ - راجع باب الادراك الحسي في كتاب المؤلف دراسات سيكولوجية. منشأة المعارف بمصر.

ومن السهل اكتشاف الضعف البصري بواسطة اختبار اشاهارا Ishahara الذي يتكون من عدد من الكروت أو البطاقات المغطاة بالنقط الملونة ويوجد في وسط المجال المنقط نقط ذات ألوان متشابهة يكون اعداداً كبيرة يمكن ادراكها، والشخص المصاب بعمى الألوان لا يرى الاعداد أو يراها بصورة مختلفة عن الوضع الطبيعي العادي كذلك يؤثر ضعف الاضاءة Illumination على دقة الرؤية، وكذلك على رؤية الألوان، ولابد أن يدخل في تقرير الشهادة، من المعروف أن الاضاءة المنخفضة تقلل من دقة الرؤية Visibility كذلك فإن درجة لمعان أو بريق الألوان تتغير بتغير الاضاءة.

إن أكثر الألوان بريقاً هو اللون الأصفر وذلك في ضوء النهار، ولكن عندما تقل درجة الاضاءة في أثناء الليل أو داخل الحجرات المظلمة تنخفض درجة بريق اللون الأصفر والأحمر، ويصبح اللون الأخضر والأزرق أكثر بريقاً بالنسبة لبقية الألوان الأخرى ذات نفس الطيف. وعلى ذلك فمن المحتمل جداً أن الشاهد يقرر بكل اخلاص أن المتهمة كانت ترتدي معطفاً أخضر مزرقّاً وجونلة سوداء، بينما كانت الجونلة في الحقيقة (أحمر غامق).

ولقد أثارت مسألة الألوان هذه مشكلة بين شركتين من شركات التاكسي كان سائقو احدى الشركات يرتدون «كاباً» أبيض بينما كان سائقو الشركة الأخرى يرتدون غطاء للرأس لونه برتقالي.. في أثناء ضوء النهار لم يكن هناك مشكلة فقد كان من السهل تمييز سيارات الشركتين، أما في أثناء الليل في الشوارع المضاءة

بلمبات النيون «الفلورسنت» ذات اللون البرتقالي المحمر فإن (كابات) الشركتين كانت تبدو في نفس اللون، ولذلك ينبغي أن يؤخذ في الاعتبار عند تقدير الشهادة درجة الاضاءة وكذلك نوع الألوان في الليل.

من الحقائق المعروفة عن الرؤية أننا اذا انتقلنا فجأة من مكان مضيء جداً الى مكان مظلم جداً، فإننا لا نستطيع الرؤية الجيدة، ولكننا اذا مكثنا بعض الوقت في مكان معتم أولاً قبل أن ننتقل الى المكان المظلم فإننا نستطيع أن نرى بطريقة أفضل هذه الزيادة في الرؤية الليلية تحدث بسرعة فائقة في الدقائق الثلاث الأولى. ثم تسير ببطء في النصف الساعة التي تلي ذلك.

وتدلنا المعطيات المتوافرة لدينا أن الشهادة عن الأحداث التي تقع في ضوء أحمر باهت في أثناء الليل أو في الأماكن المظلمة تكون عرضة للشك أكثر من الشهادات التي تتناول أشياء حدثت في أضواء زرقاء أو بنفسجي. وكذلك نتشكك في صحة ما رآه الفرد عندما قفز من مكان مضيء الى مكان مظلم.

ولذلك.. يدخل في الاعتبار مدى حدوث الواقعة في ليلة قمرية أم في أواخر الشهر العربي في المحاكم العربية ..

من بين العوامل التي تفسر شهادة الشهود أيضاً نزعة الفرد للمبالغة في تقدير المسافات الرأسية على حين تقليل المسافات الأفقية كذلك فإن الخطوط المستقيمة مثل السلك أو الحبل المشدود تبدو

أقصر من مثيلاتها في الطول اذا كانت الأخيرة تتقاطع مع خطوط رأسية كذلك فإن حبل الغسيل الخالي يبدو أقصر من مثيله اذا كان معلقاً به مشابك الغسيل. وبالمثل فإن المكان الفارغ، كقطعة الأرض الفراغ، تبدو أصغر حجماً من مثيلتها المملوءة بالمباني مثلاً. كذلك فإن الخطوط الطويلة والمستقيمة استقامة كاملة التي تتقاطع مع سلسلة من الخطوط القصيرة المقامة على زاوية حادة أو منفرجة سوف تبدو هذه الخطوط كما لو كانت منحنية أكثر منها مستقيمة.[1]

إن التقدير البصري للسرعة يعد مثاراً للجدل والتناقض في قضايا حوادث السيارات وفي غيرها من القضايا، يدرك علماء النفس وكذلك القضاة أن تقدير المسافات يكون أقل دقة اذا كانت الحركة وقعت في اتجاه الملاحظ مباشرة أو بعيدة عنه عما لو كانت تقع في دائرة رؤيته أو في مواجهة مجال الرؤية عنده، ان تقدير سرعة القطار الذي يسير في اتجاه نحوك يختلف عن تقدير سرعته وهو يمر أمامك.. ان سرعة القطار يختلف تقديرها باختلاف الموقع الذي يرقبه فيه الشخص.. وتؤمن الحاكم بأن الخبرة والمران والتدريب في تقدير السرعة تؤدي الى تحسن آداء شهادة الشاهد.

وهناك عوامل أخرى تؤثر في تقدير سرعة المركبات، ففي احدى الدراسات طلب من مجموعة مكونة من ٢٩ شخصاً أن يقدروا السرعة التي تمر بها سيارات ذات «ماركات» وأحجام مختلفة، وذلك

١ راجع كتاب المؤلف دراسات سيكولوجية. منشأة المعارف بمصر١٩٨١م.

في أثناء مرورها من نقطة معينة، وكانت هناك سيارات صغيرة ذات أربعة سلندرات «أسطوانات» وسيارات صالون فاخرة وضخمة، واتضح أن سرعة السيارات كانت تقدر على أساس الضوضاء التي تحدثها السيارة وعلى أساس حجمها وعلى أساس معدل سرعة السيارات التي سبقت السيارة في المرور كذلك فإن المحكمة قد تشك في صحة أقوال الشاهد اذا تعمد المبالغة في الدقة كأن يقدر سرعة السيارات التي مرت أمامه بأنها كانت ٩٠كم و ٢٥متراً في الساعة.

تقدير المسافات: Distance Judgments

في حالة تقدير المسافات القصيرة، فإن الناس عامة يميلون الى المبالغة في تقدير المسافات Overestimate بزيادة تتراوح بين بوصة واحدة و ٣٠ بوصة، ويميلون الى تقليل هذه المسافة بمقدار يتراوح بين ٤ بوصات و ٤٠ بوصة أما بالنسبة لتقدير المسافات الطويلة التي تقاس باليادات والأقدام، فليست لدينا أدلة علمية للحكم على حجم الخطأ في تقديرها، وعلى كل حال، فإن تقدير المسافات الطويلة يعتمد على عدد كبير من المثيرات، وبالنسبة للمسافات المتوسطة أي التي تتراوح مابين ١٠ و ١٠٠ قدم، فإن تقديرها يعتمد على الاشارات التي تصدر من كلتا العينين، ان العينين تنفصلان عن بعضهما بمسافة تتراوح بين نصف بوصة وبوصتين، وهذا يجعل من المستحيل لكل عين أن ترى بالضبط نفس الصورة التي تراها العين الأخرى.. والفروق الموجودة في الصور التي تدركها العينان يمكن

التعرف عليها بوسائل خاصة في حالة النظر الى أشياء تبعد بمسافات تصل الى الميل الواحد، ومن هذه الصور نستطيع أن نقدر المسافة، وكلما ابتعد الشيء المرئي عنا اتجهت العينان الى الخارج وقل انحرافهما. . ولقد اتضح أن الشخص ذا العين الواحدة أقل قدرة على الحكم على المسافات المتوسطة عن زملائه أصحاب الابصار العادي.

الاحساسات السمعية: Auditory sensations

تكمن الصعوبة في الشهادات التي تتضمن الاحساسات السمعية في تقرير الاتجاه الذي صدرت عنه الأصوات، ان قدرة الفرد على تحديد مكان مصدر الصوت يمكن أن تضطرب بسهولة عن طريق الصدى والسطوح الواسعة التي تعكس الأصوات.

ففي احدى القضايا أدلى شاهد معين بأنه أثناء سيره في أحد الشوارع سمع صوتاً بدا له أنه صادر من الشارع المتقاطع مع الشارع الذي يسير فيه من ناحية الشرق، وعندما تم فحص الواقعة تبين أن الصوت كان صادراً حقيقة من ناحية الغرب، ويرجع السبب في ذلك الى أن الرجل كان يسير في شارع توجد به أبنية عالية يتراوح ارتفاعها مابين ٤ و ٦ أدوار. ولقد نتج هذا الخطأ في تحديد مصدر الصوت الى حقيقة انعكاس الصوت من المباني القديمة على الجانب الآخر. . وهناك حالات كثيرة يمكن أن تفسد فيها الشهادة عن طريق التحديد الخاطيء لمصدر الصوت.

أما في الحالات التي لا يوجد بها تأثير للانعكاس والصدى، فإن مصادر الأصوات يمكن أن تحدد بدقة معقولة، وذلك فيما عدا الأصوات التي تصدر من نقطة تبعد بعداً متساوياً عن كل أذن من الأذنين. وفي مثل هذه الحالة لا يكون الخطأ في تحديد موضع الصوت يميناً أو شمالاً. ولكن في تحديد ما اذا كان الصوت صادراً من الأمام أو من الخلف أو من أعلى أو من أسفل بالنسبة للملاحظ المستمع مثل هذه الأخطاء نادرة الحدوث، ولكنها تقع خاصة اذا كان الصوت غير متوقع واذا حدث للحظات قصيرة.

وفي بعض الشهادات يكون لمدى الذبذبات ولتكرار الأصوات أهمية كبيرة، وعلى وجه العموم كلما تقدم الناس في السن كلما أصبحوا أقل حساسية للذبذبات العالية، وهناك أشخاص، لأسباب فسيولوجية، لا يستطيعون سماع الاّ الذبذبات العالية والذبذبات المنخفضة، وأحياناً تأتي الذبذبات في نفس المدى الذي يعتبر الفرد أصم فيه فلا يسمع شيئاً، شهادة مثل هذا الشخص لا تعد صحيحة.

كذلك.. فإن الضوضاء التي توجد في خلفية الصوت تعمل على اخفائه ولا يستطيع الفرد أن يسمعه

الاحساس باللمس والألم والحرارة والبرودة:

تعرف هذه المجموعة من الاحساسات باسم الكاتانيوس Cutaneous وتشمل اللمس Touch والألم Pain والحرارة Heat

والبرودة Cold وفي العادة لا تلعب هذه الاحساسات الاّ دوراً محدوداً في الشهادات أمام المحاكم، وللاحساس المضاد، وكذلك لفكرة التكيف أو التلاؤم أثرهما في هذه المجموعة من الاحساسات، ويقصد بالتضاد Contrast الاختلاف في الخبرة في نفس مجال الاحساس، وعلى ذلك فإن الشيء الدافيء قد يحس به الفرد «ساخناً جداً» اذا كانت يد الفرد ممسكة قبل ذلك مباشرة بقطعة من الثلج مثلاً. أما التلاؤم Adaptation أو التأقلم فيشير الى النقص التدريجي في الحساسية التي تأتي من خلال التغير التدريجي في الظروف المحيطة نتيجة لتعرض الفرد لمثير معين لمدة طويلة فأنت لا تشعر بضغط ملابسك عليك الا عندما تلبسها لأول مرة، أما بعد ذلك فإن جسمك يتأقلم ويتحمل ضغط الملابس دون أن تحس بهذا الضغط، وعندما تضع يدك في وعاء الماء يبدو أولاً ساخناً ولكن عندما يتكيف الاحساس الجلدي يصبح مجرد دافيء دفئاً لطيفاً منعشاً.

إن الشهادات التي تتضمن مثل هذه الاحساسات يجب أن تسبق بعبارة تصف المثيرات السابقة والظروف المحيطة التي تمت في ضوئها عمليات الاحساس.[1]

احساس الذوق والشم:

إن الشهادة أمام المحاكم التي تتصل بالذوق ذات أهمية كبيرة،

---

١ ـ راجع كتاب المؤلف «علم النفس بين النظرية والتطبيق» دار النهضة العربية. بيروت.

وخاصة في جرائم دس السم، وتتمثل في الصعوبة في الخلط بين الشم والذوق، في الحقيقة لا توجد الآ أربعة مذاقات: الحلو، الحادق، المر، والحامض.. ان الإطعمة التي تبدو أساساً ذات طعم الفاكهة أو المحروقة أو لها طعم غير الحامض والمالح والمر، فإننا ندركها بواسطة الشم أكثر من الذوق..

كذلك فإن المذاق السابق يؤثر في ادراك المذاق اللاحق وعلى ذلك ينبغي معرفة نوع الطعام أو الشراب الذي تناوله الشخص قبل عملية الادراك.[1]

عامل التوقع: Expectation

من المعروف أننا ندرك ما نتوقع أن ندركه.. ان الطالب الذي يهوى «ماركة» معينة من «ماركات» سيارات السباق يقرر أنه يرى كثيراً من هذه السيارات حول مبنى الجامعة في كل صباح، أما الطلبة الآخرون فإنه يقررون أنهم لم يروا مثل هذه السيارات قطعياً حول مبنى الجامعة.. ان الشخص الذي يبحث عن سيارة معينة (يراها) قادمة في الطريق من عشرات من السيارات، بينما تكون في الواقع غير موجودة بينها، وأنت اذا كنت تقف في الطريق تنتظر صديقك «تراه» قادماً من بعيد في عشرات المارة، وذلك بسبب عامل التوقع.

---

١ ـ لمعرفة المزيد من عملتي الذوق والشم راجع كتاب الباحث «علم النفس الفسيولوجي» دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية. مصر.

ولا يؤثر عامل التوقع في ادراك ما يريد الفرد أن يدركه وحسب، ولكن يؤثر أيضاً في تذكر الوقائع Remembering وفي تفسير هذه الوقائع Interpreting والمثيرات التي يتلقاها من البيئة الخارجية، اذ كنا نتوقع أن شخصاً معيناً قام بعمل معين، فإننا نكون مستعدين لأخذ أي مثير غامض أو نصف أي مثير غامض ونفسره كأدلة بأن الفرد قام فعلاً بهذا العمل الذي نتوقعه منه.

وهناك كثير من التجارب التي تمت داخل الفصول الدراسية وأوضحت أثر الانتباه Attention والتوقع، أثرهما في عملية التذكر أو الاسترجاع Recall ففي احد معامل الأحياء، وفي أثناء القاء المحاضرة على الطلبة دخل أحد الطلاب وتقدم نحو الأستاذ وأخبره أنه فقد بعض الفئران، وأنه يبحث عنها، ثم سار ببطء في قاعة الدراسة أمام الطلاب ثم استدار ثم تحدث مع المحاضر لبعض الوقت عن «فئرانه الضائعة»، وعلى الرغم من أن هذا الطالب كان معروفاً معرفة جيدة لطلاب هذه الفرقة الاّ أنهم أخطأوا عندما طلب منهم اعطاء أوصاف له، فقد تراوح وزنه في نظرهم مابين ١٤٥ و ٢١٠ أرطال بينما كان وزنه الحقيقي ١٩٠ رطلاً. وأخطأ حوالي ٢٠٪ من العينة في وصف ملابسه، والغالبية الكبرى من العينة قررت أنه بحث عن الفئران في أركان قاعة المحاضرات، بينما هو لم يفعل ذلك.. مثل هذا التقرير من جانب الطلاب كان قائماً على أساس التوقعات، حيث كان معظم طلاب الجامعة في ذلك الوقت يرتدون نفس الملابس التي قرر الطلاب أن زميلهم كان «يلبسها» كذلك تقرير

قيامه بعملية البحث كان متوقعاً لأنه أعلن في البداية أنه يبحث عن قرائه المفقودة.

إن الدراسات التي أجريت على موضوع الادراك Perception أوضحت بكل جلاء ان ادراك الفرد يتأثر بالخبرات السابقة وبالتوقعات فالناس يرون في الصور الغامضة أشياء مألوفة لديهم حتى اذا أخبرناهم أن الصور المعروضة عليهم ليست صوراً حقيقية، فتفسير الصور المرئية غير الواضحة يرجع الى خبرة الفرد، وغير ذلك مما يوجد في بيئاتهم الريفية، أما الأطفال الأمريكان فإنهم يفسرونها على أنها «صواريخ فضاء».

أثر الانفعالات: Emotions

إن المحللين يقبلون شهادة الشاهد لأسباب نفسية أو انفعالية أكثر منها حقيقة، فالشهادة تقبل من الشخص الذي يحسن تقديم نفسه والتعبير عن ذاته تحت ظروف الضغط المختلفة.

إن الانفعال يفسد عملية الادراك، بمعنى أن الشخص المنفعل لا يستطيع أن يدرك التفاصيل والدقائق ادراكاً سليماً.. فإذا هاجم لص مسلح أحد المحلات العامة وأثار الرعب والفزع وسط العملاء واستولى على نقود وممتلكات بعضهم، فالغالب أن الملاحظين يتذكرون السمات الفيزيقية للص ولا يتذكرون الشخص أو الأشخاص الذين كانوا ضحية هذا اللص.

وعلى الجملة، فإن الشهادة في حاجة الى الدراسة، والبحث وخاصة جوانبها السيكولوجية، إننا في حاجة الى اقناع المحامين والقضاة والمحلفين لقبول نتائج البحوث السيكولوجية في ميدان القضاء، فمازال الكثير منهم يترددون في الأخذ بهذه الحقائق، وان كان هناك تغير كبير في اتجاه المحاكم حدث في خلال الخمسين عاماً الماضية، ومعظم هذا التغير يسير مع اكتشافات علم النفس والطب العقلي والخدمة الاجتماعية وغير ذلك من التخصصات، ويميل المحامون الى القول ان التغيرات حدثت نتيجة للذوق العام، أو نتيجة للخبرة العملية للمشتغلين بالقانون والمشرعين، ولكن طالب علم الاجتماع وطلاب الفلسفة وخاصة المهتمين بنظرية المعرفة يدركون أن الذوق العام أو الفهم العام يعتمد اعتماداً كبيراً على اكتشافات العلماء وعلى النظريات العامة التي اكتشفها أبناء الجيل السابق من العلماء وأرباب النظريات، ومازال المستقبل ينبيء بمزيد من استخدامات علم النفس في مجال القضاء.

الفصـــل السابع
أساليب علاج المجرمين ووسائل مكافحة الجريمة

نتناول في هذا الفصل الطرق المختلفة التي تستخدم في علاج المجرمين والمنحرفين الخارجين على القانون، وطرق تأهيلهم، بمختلف طوائفهم من الأحداث الجانحين الى مدمني الخمور والمخدرات والقتلة واللصوص.

هناك حالات كثيرة يرتد فيها المجرم الى السلوك الاجرامي بعد قضاء العقوبة المقررة على الجريمة الأولى، وهناك حالة لرجل أمريكي يبلغ من العمر حوالي ٦٠ عاماً ارتكب طوال حياته حوالي ٣٠ جريمة، وحكم عليه فيها بمدد مختلفة وعقوبات وغرامات متباينة، ولقد ارتكب عدداً كبيراً من الجرائم، منها اختلاس أموال الغير، والعمل كبائع متجول بدون رخصة، والنصب والاحتيال، ولما دخل الجيش الأمريكي صدر قرار بطرده وتسريحه، ثم اتهم بسرقة بعض الشيكات الحكومية، وانتحال شخصية موظفي الدولة، وخاصة شخصية الصيارفة، وتزييف بعض الشيكات الحكومية، وتقديم شيكات باطلة، والادعاءات الكاذبة، وغش أصحاب الفنادق، واتهم بالتشرد، واستخدم شيكات بدون رصيد، وتهريب ونقل منقولات مسروقة، وسرقة سيارات، وكانت العقوبات التي صدرت ضده تتراوح بين وضعه تحت المراقبة والسجن والغرامة. . مثل هذه الحالة تجعلنا نفكر في مدى فاعلية المنظمات العقابية Penal institutions

ومدى ما تقدمه من اصلاح حقيقي للفرد، ولم يكن ذلك المجرم الأمريكي من النوع الغليظ أو القاسي، ولكنه كان حسن السير والسلوك داخل السجن، مطيعاً للأوامر متعاوناً هادىء الحديث، ولكنه كان يعبر في أحاديثه ومناقشاته عن الحنق والسخط اتجاه المجتمع، وتجاه السجن وأنظمته عندما كان يفرج عنه كان يخطط لنفسه أن يحصل على وظيفة في ولاية أخرى، ويستقر بمعاونة بعض الأصدقاء الذين سبق لهم التورط في أعمال بسيطة مخالفة للقانون.. وكان يعرف أنه سيقبض عليه اذا ضبط مع هؤلاء الزملاء، ولكنه لم يجد طريقاً آخر. وحالة هذا الرجل توضح لنا مشكلة هامة عن عودة المجرم الى السجن، وهي نسبة مرتفعة بصورة مزعجة للغاية حيث تصل الى حوالي ٦٠ ٧٠٪.

وليس من الضروري أن يعود المجرم الى السجن بسبب نفس الجريمة التي سجن من أجلها في أول مرة، وانما قد يرتكب جريمة جديدة، مالم يتغير اتجاه المجتمع ازاء السجن والسجناء، ونحو فهم السلوك الاجرامي، فإن تأهيل المجرمين وخفض معدلات الجريمة سيظل أمراً صعباً.

إن المجتمع ككل ينبغي أن يتحمل مسئولية علاج المجرمين، في ضوء الإيمان بإمكانية تغيير السلوك، وعلى المجتمع أن يوفر البيئة الصحية التي تمنع من حدوث الجريمة، لابد أن يقدم المجتمع الوسائل التي تؤدي الى خفض الجريمة، والى تأهيل المجرمين، ولا ينبغي ان يدفعنا هذا الى الشعور باليأس ذلك لأن اتجاهات المجتمع يمكن ان تتغير.

علاج المجرمين والمنحرفين:

ينبغي أن نحدد أهداف علاج المجرمين حتى يمكن تحقيق هذا العلاج، تستهدف برامج الاصلاح تحقيق مايلي:

١ حماية المجتمع من خطر المجرمين وأضرارهم.

٢ اعداد النزلاء لكي يصبحوا رجالاً نافعين، بطريقة سريعة واقتصادية

٣ تعويدهم على طاعة القانون واحترامه

٤ ـ تعويدهم على الاعتماد على النفس وتحمل الفرد أعباء نفسه

٥ تنمية الكفاية الذاتية والقدرة الذاتية للفرد.

٦ خلق المواطن المستقل.

٧ ـ خلق المواطن الذي يطيع القانون لا لأنه خائف من القانون، ولكنه يرغب في طاعة القانون رغبة تلقائية ذاتية.

على الرغم من تحديد هذه الأهداف الخاصة بالاصلاح والتقويم، الاّ أنها لا تتحقق، إن عمليات الاصلاح تجد كثيراً من الاعاقة لأن المجتمع لا يقدم المصادر الكافية والضرورية لإعادة تأهيل المجرمين، حقيقة أن أفراد المجتمع أنفسهم لا يعرفون ماذا ينبغي أن نفعل مع الخارجين على القانون، انهم لا يعرفون ماذا يريدون هم أنفسهم أن يفعل المجتمع مع المجرمين، وفي كثير من الأحيان لا تتفق خطوات العلاج واجراءاته مع أهداف التأهيل. . فهناك أشياء كثيرة تجعل عملية التأهيل عملية صعبة بل مستحيلة، من ذلك الاجراءات القانونية والخبرات السابقة للجهات التنفيذية، وموظفي السجن،

والاتجاهات العامة لدى أفراد المجتمع.. وهناك كثير من مظاهر الاضطراب، وعدم الثبات وفقر المعرفة العلمية، والذبذبة في تحقيق الأهداف وما الى ذلك من العقبات التي تقف في سبيل التأهيل والعلاج.

العوامل السيكولوجية في التأهيل:

يجب أن تستهدف برامج العلاج أن يصبح العملاء أفضل عما كانوا عليه قبل دخول السجن، وعلى ذلك فلا يمكن الأخذ بسياسة والأخذ بالثأر، أو اذلال النزيل ومعاملته بالمثل.. وقديماً كان المجرمون يعاملون تبعاً لنظرية مؤداها أنهم لابد أن يقاسوا الذل والعذاب والانتقام نتيجة لأخطائهم السابقة، وبالاضافة الى ذلك كان العقاب يفرض كردع للسلوك الاجرامي على افتراض أنه يمثل نوعاً من العبرة للآخرين، وبذلك تمنع الجريمة، ولكن البحوث التي أجريت في ميدان التعليم ونظرياته توضح أن العقاب لا يؤدي الى زيادة القدرة على السلوك المرغوب فيه، ان التعلم يحدث بطريقة أفضل تحت ظروف المكافأة أو التعزيز، فالكائن الحي يميل الى تكرار السلوك الذي يناله منه الجزاء والإشباع والرضا .. ولكن بعض المجتمعات مازالت تمارس سياسة العقاب، بما في ذلك عقوبة الاعدام كنوع من العقاب والردع والعبرة ولكن على الرغم من استخدام العقاب الاّ أن نسبة العودة الى الجريمة Recidivism مازالت عالية، ومعنى ذلك أن العقاب لا يردع المجرم ولا يمنعه من العودة الى ارتكاب الجريمة.

ان انتظام العقاب يبدو أنه ليس فعالاً في المجتمع الأمريكي، ينبغي أن تكون مثل هذه النتيجة كفيلة بتحويل الاهتمام من العقاب الى التأهيل Rehabilitation

أما فيما يختص بالوقت الذي يتم فيه العلاج، ففي الولايات المتحدة الأمريكية يتم العلاج أثناء المراقبة Probation وأثناء الحبس Incarceration وبعد اخلاء السبيل أو الافراج عن المتهم parole في بعض الحالات يقضى على المتهم بالسجن ويوصف بأنه ليس خطراً أن يعيش في مجتمعه الأصلي. وفي الغالب ما تكون هذه الحالات من المجرمين الجدد وأولئك الذين كانت سمعتهم طيبة قبل الاتهام، مثل هؤلاء الناس يضعون تحت المراقبة على أساس أن المعيشة في المنزل تحت اشراف دقيق Close supervision ووضع قيود شديدة على مناشطه، مثل هذه المعيشة أفضل من الحبس. ان البيئة المنزلية تجعله يعيش في جو عادي ويتعود على الاختلاط بالمجتمع الأصلي ولا ينعزل عنه، وفي معظم هذه الحالات لا تصدر المحكمة مثل هذا الحكم الاّ بعد الاطلاع على بحث دقيق عن الحالة، وعند وجود احتمال كبير في التنبؤ بتأثير ايجابي لعمليات الاصلاح بحيث يخضع الفرد في أثناء المراقبة للاشراف الدقيق، وأن يوجه سلوكه كما ينبغي أن يقوم بعملية المراقبة شخص مؤهل تأهيلاً فنياً كافياً. . في ضوء ذلك يظل الفرد

---

١ ـ لمعرفة تفاصيل عملية التعلم راجع كتاب الباحث «معالم علم النفس» دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.

يعمل كعضو يشارك في مناشط المجتمع وفي نفس الوقت تتحقق أهداف التأهيل. ولكن لسوء الحظ لا تتوفر جميع الامكانات المطلوبة للمراقبة، فضابط المراقبة دائماً ما يحمل بالأعباء الثقيلة، ويكلف بالإشراف على عدد كبير من الحالات، مما يقلل من فرص الارشاد، هذا من ناحية ومن ناحية أخرى فإن القواعد والتعليمات الموضوعة للمراقبة في الغالب ما تكون جامدة وجافة وصارمة وشديدة بدرجة تجعل الحياة غير مريحة بالنسبة للشخص المراقب، مما يجعل اتجاهاته وميوله نحو هذا النظام اتجاهات سلبية.

وبعض ضباط المراقبة ليسوا مؤهلين في ميدان السلوك الانساني، وعلى ذلك فإن أهداف المراقبة لا تتحقق جميعها.

العلاج أثناء الحبس:

عندما يتهم شخص ما بخرق القانون أو القاعدة المرعية في المجتمع، وعندما يحكم عليه بأنه غير صالح للبقاء في المجتمع تحت المراقبة، فإنه يودع في احدى مؤسسات الاصلاح Correctionanl institution أما نوع الحبس Confinement فإنه يعتمد على عدة عوامل منها نوع الجريمة التي يرتكبها الفرد، وجنس المتهم وسنه، ويؤخذ في الاعتبار أيضاً مدد السجن السابقة، ونوعها وسلوكه عندما كان يفرج عنه

ومن الناحية المثالية، يجب أن يودع الشخص مؤسسة اصلاحية تستطيع أن توفر له التدريب الذي يجعل منه مواطناً أفضل بعد

الايداع عنه قبل الايداع.. ولكن لسوء الحظ معظم المؤسسات لا تحقق هذا الغرض.

أن دخول السجن يعتبر حدثاً مؤلماً بالنسبة لغالبية السجناء، معظم السجون تضع نزلاءها في عنابر جماعية أو صالات جماعية، وعندما يدخل السجين لأول مرة (العنبر) فإنه يفتش تفتيشاً دقيقاً خشية أن يحمل أو يخفي في جسمه أو ملابسه بعض الأشياء الممنوعة أو المحظورة بحكم القانون، ثم تؤخذ بصماته Fingerprinted ثم تؤخذ له صورة فوتوغرافية، ثم يعطى رقماً معيناً بدلاً من اسمه، ويطلب منه ملء عدة استمارات وهكذا.. ثم يرتدي ملابس المؤسسة ويؤخذ ما معه من محتويات وتحرز وتودع خزينة السجن.. وقد «يربت» حارس السجن على ظهره وهو يعطيه بعض الارشادات والنصائح ازاء حياته داخل السجن، وكيف يعد نفسه لمثل هذه الحياة، وفي الغالب لا يتجاوز هذا الاعداد لتلك الحياة بضع كلمات من المشرف أو مساعده مع الايحاء بأنهم هنا في السجن من أجل مساعدة السجناء، وأنها ليست مسئوليتهم أو غلطتهم انه أودع هذه المؤسسة، وينبغي عليه أن يظل «أنفه» نظيفاً وفمه مغلقاً. وأن يعمل عندما يطلب منه ذلك، وأن التعاون هو في النهاية أحسن سياسة يتبعها هو.[1]

---

١ ـ راجع كتاب المؤلف، اتجاهات جديدة في علم النفس، دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.

لا يوجد الاّ عدد قليل من المؤسسات التي تحتوي على مراكز للاستقبال وقليل فقط من المؤسسات يوجد بها عمليات للتشخيص أي لدراسة الحالات ومعرفة ظروفها وأمراض ونوع الاضطرابات التي يعاني منها العميل ودوافع الجريمة، وما الى ذلك، وفي حالة توفر مثل هذه المناشط، فإنها تستغرق وقتاً طويلاً.. وعندما تطبق مثل هذه البرامج التشخيصية، فإن وضع النزيل في وظيفة معينة أو تدريب على وظيفة معينة، أو برنامج للتأهيل داخل السجن، تصبح أكثر دقة وأكثر ايجابية، ويرتفع مستواها بصورة ملحوظة.. ولسوء الحظ لا توجد مثل هذه المراكز والبرامج الاّ في السجون الفدرالية في الولايات المتحدة الأمريكية، ونادراً ما توجد في السجون الريفية أو السجون المحلية التي لا تتبع الحكومة المركزية.

في معظم المؤسسات يوضع السجين في زنازنة لكي يعيش فيها بمفرده خلال فترة فحصه وتقويم حالته.. واذا حالفه الحظ فإنه يودع في مؤسسة اصلاحية تقدم نوعاً من العلاج ثم يكلف القيام بوظيفة معينة، وفي الغالب هناك بعض الارشادات الدينية وبعض التعليم وبعض العمل أو التدريب.

يقوم اخصائي التأهيل بالسجن بالاشراف على تدريب السجناء في برامج التدريب.. يؤدي هذا الى حدوث صراع بينه وبين الحراس الذين يهتمون في المحل الأول باستتباب الأمن والنظام داخل السجن.. وفي بعض الأحيان تبدو برامج التدريب كأنها عبء ثقيل على الحراس لأنها تتطلب منهم القيام ببعض الأعباء. ولذلك

فإن المشرفين على العلاج يعملون في ظروف غير مشجعة أو غير منتجة وسرعان ما يكتشف السجناء هذا التوتر القائم بين الأخصائيين في العلاج والحراس، ولذلك يظهرون عدم الاهتمام ببرامج التأهيل أو يقفون منها موقفاً حذراً لأنهم لا يريدون أن يثيروا غضب الحراس.

عندما نتذكر أن احداث تغيير في سلوك الناس وهم يعيشون تحت ظروف طبيعية كالمنزل أو المدرسة، احداث مثل هذا التغيير أمر صعب فما بالك بإحداث التغيير تحت ظروف السجن، لاشك أن هذا التغيير أمر صعب وربما يكون مستحيلاً.

إن التحسن الذي يطرأ على سلوك السجين يرجع اليه هو نفسه، فالسجين لا يكلف القيام بأعباء كثيرة، انما يقوم ببعض التدريبات الرياضية، . ولذلك يجد متسعاً من الوقت لكي يقرأ ويفكر ويتحدث مع زملائه ويستفيد من الأفكار الخيالية الوهمية عن العالم الخارجي. . ويعتقد السجناء أنهم سيحصلون على وظائف عالية عندما يخرجون من السجن وخاصة اذا التحق السجين بأحد الفصول الدراسية أو البرامج التدريبية، من الصعب عليهم أن يتصوروا أن العمل بطريقة طبيعية يحتاج الى جهد كبير، ولكنه يعود على الفرد بالشعور بالرضا وليس لمجرد العائد النقدي، ان للعمل قيمة في حد ذاته بصرف النظر عن المقابل المادي.

في بعض الولايات الأمريكية وعلى وجه الخصوص في نيويورك وكاليفورنيا هناك بعض المحاولات الخاصة بالتأهيل في بعض السجون، حيث يوجه الاهتمام نحو التأهيل والعلاج النفسي أكثر من

مجرد الاعتقال أو الحبس. . في مثل هذه السجون عندما يصدر الحكم على المتهم، فإنه يحال الى مكان للعلاج حيث يخضع لإشراف أحد الأطباء العقليين وأحد الأخصائيين النفسيين، وعندما يلاحظ على السجين علامات التقدم والتحسن، فإنه ينتقل الى عنبر آخر للنوم حيث يسمح له بالزيارة وحيث يتمتع بجو طبيعي يعده للحياة في العالم الخارجي. .

ان السجين يتكيف مع الحياة الخارجية بطريقة أسهل كلما كانت بيئة السجن قريبة الشبه من الحياة في المجتمع الخارجي.

إن مناهج العلاج كثيرة ومعروفة، وهناك كثير من النظريات والاكتشافات لدى أرباب العلوم السلوكية، ولكنها لم تطبق بعد، ان ماهو موجود في مجال النظر يزيد بكثير عما هو موجود في مجال التطبيق، وكثير من المنظمات لا تعير اهتماماً كبيراً للمفاهيم الجديدة في التأهيل.

العلاج بعد الافراج عن السجين:

يمكن توفير العلاج للسجين أيضاً بعد قضاء العقوبة المقررة وتشبه أساليب العلاج في هذه الحالة أساليب العلاج في حالة المراقبة فيما عدا أنه في حالة الافراج يكون السجين قد قضي فعلاً فترة ما للعقوبة. . بعض المحاكم تقضي بأن يقضي السجين بعض الوقت لتلقي العلاج اللازم، وذلك بعد أن يقضي فترة معينة من عقوبة الحبس على أن يظل تحت الاشراف الفني الدقيق للتأكد أن الشخص قد تعود على احترام القانون وطاعته.

ويرى كثير من علماء الاجرام ضرورة التطبيق على حالة المجرم وليس على حجم الجريمة، وينادون بضرورة اجراء بحث واسع شامل ودقيق لكل حالة من حالات الاجرام التي يرتكبها المجرم الجديد، ويجب أن تعرض نتائج مثل هذا البحث على المحكمة، وهناك بعض القضاة بعيدو النظر يهتمون بمثل هذا المفهوم، وربما يقودون المجتمع للاهتمام بالعلاج المتواصل للشخص، والاهتمام به أكثر من الاهتمام بالجريمة.

وهناك بعض الولايات الأمريكية التي تأخذ بعض القوانين الجديدة والمفاهيم الجديدة في تفسير القوانين، . وهناك من يطالب بتقديم العلاج للسجين بمجرد القبض عليه، وليس من الضروري الانتظار حتى يحين موعد التأهيل والعلاج وهناك اتجاه جديد نحو تقليل مدة العقوبة وقضاء مدد الحبس في أثناء العطلات الرسمية، وفي نهايات الأسابيع أو في غير ساعات العمل اليومية بدلاً من قضائها في أثناء أيام العمل فالمدد التي تتراوح مابين ٦٠ و ٩٠ يوماً من الممكن أن تقضي من الساعة السابعة صباح يوم السبت حتى الساعة السابعة صباح يوم الاثنين وتستغرق مدة العقوبة هذه من ٦٠ ـ ٤٥ أسبوعاً.

هناك صعوبات في تطبيق نظام السجن في عطلة نهاية الاسبوع هذا. فنظام السجن اليومي يضطرب بعض الشيء وبالطبع يستطيع السجين أن يتصل بالبيئة الخارجية أسهل من اتصالاته داخل السجن، كذلك فإن (التتميم) على المساجين داخل وخارج السجن

يضيف جهوداً كثيرة على موظفي السجن، ويتطلب هذا النظام عمل كثير من التقارير والسجلات، كذلك هناك احتمال عدم عودة السجين لقضاء المدة في نهاية الأسبوع. فقد يخرج من السجن على أساس ان يعود من تلقاء نفسه في نهاية الأسبوع، ولكنه قد لا يعود.

وبطبيعة الحال، هناك كثير من المزايا لهذا النظام، منها أن أسرة السجين ستنقذ وتحمى من التحطيم والدمار، لأن السجين سيتمكن من اعالة أسرته والانفاق عليها. فالشخص الذي يشغل وظيفة مناسبة سيظل يشغلها، وسيتمكن من تقديم العون لأسرته. وبذلك يعفي المجتمع من تقديم المعونة الاجتماعية لزوجته وأبنائه. والى جانب ذلك فإن هذا النظام يضمن استمرار عضو من أعضاء المجتمع في الاسهام في الانتاج، دفع الضرائب، والى جانب ذلك فإن السجين في ظل هذا النظام يحيا حياة طبيعية أو شبه طبيعية، وحيث أن هذا النظام يتيح للسجين فرصة الالمام بحياة السجين وفي نفس الوقت الالمام بالحياة خارج السجن، فإنه يتعلم ألّا يقضي أي وقت اضافي داخل السجن.. انه يشعر بالحرية، ولذلك يحرص على التمتع بها، ويحتمل أيضاً أن يعلم غيره هذه الفكرة، بذلك يحد من انتشار السلوك الاجرامي كذلك فإن سجين نهاية الأسبوع The weekend prisoner سوف يشجع غيره من السجناء المستديمين على الاستقامة بعد قضاء عقوباتهم.

الفصـــل الثامن

استخدام المبادىء السيكولوجية في الاصلاح

يمكن استخدام المبادىء السيكولوجية المستمدة من نظريات التعلم في عمليات الاصلاح Correction، إن السلوك الاجرامي كغيره من مظاهر السلوك هو سلوك متعلم، ان تغير السلوك الاجرامي يجب أن يتم بتطبيق نفس المبادىء التي تطبق في تغيير أي مظهر من مظاهر السلوك الأخرى، وعلى ذلك فإن برامج التأهيل وكذلك نظام المراقبة والافراج كلها تستهدف تغيير السلوك غير المرغوب فيه وتحويله الى سلوك مرغوب فيه.. هذه البرامج يجب أن تتضمن عمليات تعلم.

عندما نتأمل في المعدلات العالية في العودة للجريمة فإننا نتبين على الفور أن محاولات التأهيل الحالية ليست كما ينبغي، أي ليست ملائمة، ومن أسباب ارتفاع نسبة العودة للجريمة عدم صلاحية نظام السجون، ان معظم السجون تترك السجناء لمدد طويلة عاطلين بلا عمل أو على الأكثر يطلب منهم القيام ببعض المناشط البسيطة، أو نظام البطالة هذا يفرض فرضاً على السجناء. إن الحراس لا يريدون أن يشغلوا أنفسهم طوال الوقت، وعلى ذلك فإن المساجين يتعلمون كيف لا يعملون الاّ القليل ويقدم لهم الحراس التشجيع على هذا.. ان أي نشاط يسبب أعباءً اضافية للحراس لا يلقى أي تشجيع من قبلهم.

ويتفق هذا الاتجاه مع الاعداد المهني والفني للعاملين بالسجن

من حراس ومشرفين. ان هؤلاء لا يشغلون وظائفهم هذه تبعاً للكفاءة في عمليات تأهيل المجرمين، ولكن يشغلون هذه المناصب لأسباب أخرى، وحتى في السجون التي يوجد لها برامج للتأهيل منفذة هناك صعوبات مختلفة في تعديل السلوك بصورة ذات قيمة للسجين نفسه

فهناك صعوبة في انتقال الخبرة من الموقف التعليمي داخل السجن الى الحياة في العالم الخارجي. ان المجتمع ليس مستعداً لإقامة سجون تشبه البيئة الخارجية، وربما هناك تبرير معقول لهذا الاتجاه، لأن الحياة داخل السجن اذا كانت تشبه الحياة خارجه، فإن قيمة السجن الاصلاحية قد تنعدم، ان المثيرات داخل السجن تختلف من مثيرات التعلم خارج السجن ، فإذا تعلم السجين القيام بوظيفة معينة داخل السجن، أو اذا تعلم نوعاً معيناً من العلاقات داخله، فإن قليلاً من هذه الخبرة المتعلمة، ان كان هناك على الاطلاق، هو الذي ينقل الى المواقف خارج السجن.

وبالاضافة الى ذلك.. فإن توفير الامكانات اللازمة للتعلم الفعال أو الحرية اللازمة له في داخل السجن أمر صعب التحقيق لارتفاع تكاليف هذه الامكانات، وعلى سبيل المثال فإن حارساً واحداً يكلف بحراسة عدد كبير من السجناء ولكي يضمن المحافظة عليهم فإنه يقيد حرية تحركاتهم واتصالاتهم بالآخرين.

والى جانب هذا فإن العقوبات أو الأحكام تصدر تبعاً لحجم الجرائم، وفي ذلك اهمال لمبدأ الفروق الفردية التي توجد بين أفراد

السجناء وفي الذكاء والقدرات والاستعدادات والميول والاتجاهات وعناصر الشخصية الأخرى.. ان الفروق الفردية في قدرة السجناء على التعلم تهمل في اصدار الأحكام.

ان العقوبات يجب أن تكون بحيث يفرج عن الأشخاص الذين يستفيدون من برامج التعليم أو التأهيل بأسرع ما يمكن بحيث يعودون الى الحياة الطبيعية في المجتمع، انه من الحكمة أن نفرج عن شخص ما بعد قضاء عامين مثلاً في السجن اذا لم يكن بعد قد استفاد من التأهيل. كما أن ليس من الحكمة أن يستمر حبس شخص آخر لمدة عامين اذا كان قد أتم بنجاح برامج التأهيل اللازمة في مدة ١٨ شهراً. يجب أن تكون العبرة في تحديد مدة العقوبة مدى تعلم الفرد للمهارات والمعايير الجديدة التي يتلقاها في السجن.. هناك أشخاص يتعلمون أسرع من غيرهم، وهذه الحقيقة يجب أن تؤخذ في الاعتبار عند اصدار الحكم.

وسواء كان يوجد بالسجن برامج تأهيل أم لا، فإن الحياة داخل السجن تختلف عن الحياة خارجه، وفي الولايات المتحدة الأمريكية يعزل الجنسين في جميع السجون، ولذلك فإن نسبة شذوذ الجنسية المثلية Homosexuality تتراوح مابين ٣٠٪ و ٨٥٪ وليست هذه النسبة مبالغاً فيها، وذلك بسبب الحرمان الجنسي الذي يعاني منه السجناء. ونسبة الجنسية المثلية في المجتمع الخارجي أقل من ٣٠٪.. إن مجمع السجن نفسه يخلق نوعاً من السلوك غير المرغوب

فيه، ولحسن الحظ يصعب نقل مثل هذا السلوك السيء الى المجتمع الخارجي.

وللأسف لا تعالج مشكلة الجنسية المثلية علاجاً مناسباً في معظم سجون العالم ومعظم دول العالم لا تفضل نظام اتصال السجناء بزوجاتهم عن طريق الزيارة داخل السجن.. ولا يسمح بالاتصال بين الأزواج والزوجات السجناء الاّ في سجون موسكو.

ولكن! ماهي الأسباب التي تدعو معظم المجتمعات للاحجام عن السماح بتزاور الأزواج والزوجات؟

١ ـ إن هذه الزيارات لا تشجع الاّ الجوانب الفيزيقية من الجنس.
٢ ـ إن السجناء الذين يستطيعون التمتع بهذه الزيارات هم أكثر السجناء تكيفاً بدون هذه العلاقات، أما المصابون بالجنسية المثلية وغيرهم من أرباب الشذوذ الجنسي فإنهم أقل الطوائف استفادة من هذه الزيارات.
٣ إن الزوجات خارج السجن قد يصبحن حوامل نتيجة لهذه الزيارات، وهذا يضاف الى مشكلات المجتمع والدولة والسجناء على حد سواء.

وفي الولايات المتحدة توجد مؤسسة واحدة هي التي تسمح بتزاور الأزواج وهي مؤسسة بارسمان The parchman institution of the Mississppi state ولكن برنامجها يوفر تسهيلات عامة لكل الحياة داخل المؤسسة، وتقسم هذه المؤسسة الى معسكرات صغيرة كل

معسكر يمثل مجتمعاً صغيراً . . وتتوفر فيه الحرية في الزيارة بوجه عام، كل معسكر يعتبر مستقلاً تقريباً، ويذهب الزوار مباشرة الى المعسكر الذي يرغبون زيارته، ولا يوجد الاّ عدد قليل من النزلاء في كل معسكر أقل من نصفهم من المتزوجين، ولذلك لا يزور المعسكر الواحد عدد كبير من الزوجات دفعة واحدة. ويسمح النظام للزوجة بزيارة زوجها لمدة قصيرة كل أسبوع، وفي هذه المؤسسةتنخفض نسبة الجنسية المثلية «اللواط» ولا تمثل الا مشكلة بسيطة، كما أن هذا النظام يمتدحه كل من رجال ادارة السجن والنزلاء معاً. ولكن نظام التزاور هذا يحتاج الى كثير من البحث والدراسة في ضوء العلاقات الأسرية المختلفة وتحت ظروف مختلفة، وذلك لمعرفة أثر هذا النظام في تكيف النزلاء.

ونجاح برامج مؤسسة بارشمان لا يعني اختفاء عيوب نظام التزاور، يجب أن نعترف أن المجتمع نفسه يضع بعض الاعتراضات على نظام التزاور. ان المجتمع حقيقة يستمتع بوجود بعض أعضائه في السجن. . وفي ذلك اعطاء للفرصة لغير المجرمين في المجتمع للتنفيس عن مشاعرهم في الاحباط والفشل. . وبصرف النظر عن مثل هذا الغرض فإن المجتمع يرغب في عقاب المجرمين عن طريق المعيشة غير السعيدة، وعلى ذلك فلا يمكن جعل السجون مجتمعات مثالية، ولابد من أن تظل أقل من الحياة العادية الخارجية. ان تأكيد المجتمع اليوم لا ينصب على التأهيل. وانما ينصب على حماية المجتمع من المجرمين وعقابهم وتوفير المثال والعبرة لما يحدث للشخص الذي يرتكب الجريمة حتى لا يقبل الناس على ارتكاب الجريمة.

لقد طبقت أساليب العلاج النفسي في السجون، وعلى وجه العموم، فإن الموقف العلاجي هو في جوهره موقف تعليمي. ونفس مبادىء التعليم هي التي تنطبق على العلاج.. وفي الواقع تنجح أساليب العلاج النفسي مع بعض المجرمين.

أن المعالج النفسي كثيراً ما يتبين أن المجرمين لا يريدون أن يكونوا مرضى، وعلى ذلك فالعلاج النفسي لا يحل كل مشاكل السجناء. وكما سبق القول فإن أساليب العلاج النفسي تكون أكثر نجاحاً من المجرمين الجدد الذين يرتكبون الجرائم لأول مرة، مثل هذه الأساليب ذات قيمة بالغة لكثير من الأحداث الجانحين، وخاصة قبل أن يقع هؤلاء في المشكلات بصورة خطيرة، وقبل أن يصطدموا اصطداماً كبيراً بالقانون.

وعلى كل حال.. يصبح التأهيل صعباً مع المجرمين الذين يعتقدون أن الأحكام التي صدرت ضدهم أحكام جائرة أو الذين يعتقدون أنهم أبرياء أو يعتقدون أن الأعمال التي قاموا بها ليست جرائم، أو عندما تصدر بعض المحاكم حكمها بالبراءة لأشخاص ارتكبوا نفس الفعل الذي وضعوا هم من أجله في السجن، وحينئذ يفقدون الثقة والايمان بكل النظام القضائي.

في معظم بلاد العالم تتوقف أساليب العلاج على شخصية السجين وعلى سنه ومستواه التعليمي والاقتصادي والاجتماعي.. وليس معنى هذا أن الأغنياء سيلقون معاملة خاصة في السجن اللهم الّا اذا كان بعض موظفي السجون في الولايات المتحدة الأمريكية

يقبلون أخذ الرشوة منهم.. ولكن على وجه العموم، يحاول رجال السجون أن يكونوا عادلين وأن يعملوا طبقاً للضمير الحي. ولكن القيام بعملهم على أطيب وجه يتطلب أن يمنح الشخص الأكثر تعلماً موقفاً أحسن من غيره في السجن. فيستطيع المتعلم أن يعمل في تحرير صحيفة السجن أو في مكتبة السجن أو الإشراف على صرف التعيينات للمساجين وما الى اذلك.. لأنهم هم الذين يستطيعون القيام بهذه الأعمال.

أما الشخص غير المتعلم، فإنه يكلف بأعمال لا تتطلب أية مهارات أو خبرات أو لا يعطى أعمالاً على الاطلاق.. يجب أن نتذكر أيضاً أن أبناء الطبقات الاجتماعية والاقتصادية العالية، وكذلك أرباب المستوى التعليمي المرتفع والاتصالات الاجتماعية يتعلمون كيفية الابتعاد عن دخول السجن عن طريق عدم الاتيان بالأعمال التي تقود الى السجن.

وسائل الوقاية من الجريمة: Prevention

على الرغم من أهمية موضوع الوقاية من الجريمة، الاّ أنه لا يوجد لدينا الاّ قليل من الأدلة العلمية التي تساعد في خفض الجريمة، ويمكن استخدام كثير من أساليب العلاج الفعلي في علاج المجرمين، ويستطيع القارىء أن يراجع هذه الأساليب في مراجعها، ويستخدم العلاج في حالتي المجرم العائد والمجرم الجديد وعلاجهما يتوقف على المجتمع والفرد نفسه، فمن الضروري تغيير اتجاهات المجتمع،

ويمكن وصف اتجاهات المجتمع ازاء جماعات المجرمين بأنها اتجاهات متعصبة Prejudice كالشأن في اتجاهات المجتمع ازاء كل الأقليات. . وعلى ذلك تصبح المشكلة هي التفكير في الوسائل اللازمة لتغيير اتجاه التعصب نحو المجرمين.

وينبغي أن يدرك المجتمع طبيعة السلوك الاجرامي من حيث أنه اشباع للحاجات الداخلية أو الدوافع الداخلية للمجرمين، والفكرة الشائعة لدى المجتمع عن الشخص المجرم أنه شخص غير مرغوب فيه، وأنه لا يستطيع أن يكون محبوباً أكثر وينبغي أن يؤمن المجتمع بإمكان تغيير السلوك الاجرامي. كما ينبغي تغيير الاتجاهات الشائعة من أن المجرم شخص ولد مجرماً أو أنه شخص فقط غليظ غير قابل للتغيير أو أن المجرمين كالحيوانات في دوافعهم.

١ ـ ويقترح علماء النفس من أمثال البورت Allport كثيراً من المبادىء التي تصلح لتغيير اتجاهات التعصب من بين هذه العوامل اثارة أفراد المجتمع بصورة متزايدة تدريجياً، فعرض مثير واحد أو برنامج واحد كالفيلم السينمائي يؤدي الى تأثير بسيط بينما عرض مجموعة من البرامج المترابطة يؤدي الى نتائج كبيرة وواضحة. .

٢ ـ من المبادىء الهامة أيضاً. تخصيص وتحديد نوعية التأثير بحيث ينظم البرنامج لخدمة فكرة معينة، اذ ليس من الضروري أن ينتقل أثر ما يتعلمه الفرد في موقف معين الى المواقف الأخرى.

٣ ـ إن الناس الذين لا يعتقدون اعتقاداً ثابتاً وراسخاً في فكرتهم عن

الجريمة يمكن تحويل اتجاهاتهم بسهولة عن طريق الوسائل الاعلامية الجماعية

٤ ـ إن الدعاية وغيرها من وسائل المعلومات تكون أكثر فاعلية اذا لم يكن هناك دعاية مضادة لها.

٥ ـ إن الدعاية تكون أكثر فاعلية اذا كانت تثير في الفرد الشعور بالأمان أكثر مما تثير فيه الشعور بالحصر والقلق.

٦ ـ استخدام الشخصيات ذات المكانة الاجتماعية له أثر كبير في تغيير عقائد الناس وآرائهم.. فالشخصيات البارزة في المجتمع تستطيع أن تتحدث، وأن تدعو الى تحسين نظام السجون، أو الى تطبيق نظم التأهيل فيها، ويتأثر بدعوتهم هذه كثير من أفراد المجتمع.

وهناك كثير من الوسائل التي تستخدم في تغيير معتقدات الناس، من ذلك الاعلانات والملصقات والمحاضرات والندوات والمناظرات والمعارض والمتاحف والمهرجانات والاذاعة والصحافة والكتب والكتيبات والنشرات والأغاني والأناشيد وزيارة السجون ويقوم بهذه العملية رجال الاعلام واخصائيو الدعاية والمعالجون النفسيون والمعلمون والمعلمات ورجال الدين والادارة.

ومسألة امكانية التغير مسألة لا جدال فيها ولكن المهم هو تحديد تلك الآراء الخاطئة التي تسكن في عقول الناس، والتي تدور حول المجرمين والسجناء، هذه الآراء الخاطئة هي التي ينبغي أن

يلحقها التغيير والتعديل، واذا آمن المجتمع بأن السجناء يجب أن يعاد تأهيلهم، فإن فرص التأهيل ستزداد.

وهنا نتساءل هل يؤدي التأهيل الى انخفاض نسبة العودة للجريمة Reducing recidivism ؟

إن برنامج التأهيل يعتبر ناجحاً اذا أدى الى انخفاض عودة المجرم الى ارتكاب الجريمة، وعلى العكس يعتبر فاشلاً اذا ارتفعت نسبة العودة للجريمة.. وفي الظروف العادية تصل نسبة العودة للجريمة الى ٧٠٪ في الولايات المتحدة الأمريكية مع العلم بأن السجين يخدم سنوات أطول في السجن عندما يدخله للمرة الثانية.

وبالمثل يحكم عليه بعقوبة أطول لجريمته الثالثة عما قضي به عليه في الجريمة الثانية، ومن الطبيعي نتيجة لذلك أن يتجمع في السجن السجناء والمترددون أكثر من السجناء الجدد، وهناك احصاءات أخرى تحدد نسبة أقل من ذلك تتراوح بين ٣٠ و ٥٠٪[1]

وهكذا.. نرى أن علاج المجرمين واعادة تأهيلهم أمر واجب من ناحية وممكن من ناحية أخرى.

---

1 - Brown J. M. and others, Applied psychology pulishing co. put Ltd. New York, London 1966.

الفصـــل التاسع
أساليب الوقاية والعلاج في جرائم الصغار

وسائل الوقاية والعلاج:

في الواقع يخطىء السيسيوباتيون ضد القانون، وسرعان ما يجدون أنفسهم داخل السجن، ويخضعون في السجن لبرامج تأهيل متعددة Rehabilitative programmes

ولكن معظم برامج التأهيل هذه غير فعالة في المجتمعات الغربية، وفي المجتمعات الشرقية الوضع أكثر سوءاً، ففي مجتمع كالمجتمع الهندي، لا يوجد حتى مجرد الاعتراف بأن بين السجناء يوجد سيسيوباتيون، واذا اكتشف السجن أن من بين نزلائه سيسيوباتيين، فإنه يعاملهم كمجرمين عتاة أو كمجرمين عائدين أو عوّد Hardened criminals or recidivists أي على أنهم من معتادي الاجرام، وعلى ذلك يودعون في زنزانات خاصة أكثر قسوة من المجرمين العاديين.. وفي المجتمعات الغربية هناك محاولات علاجية تمت، ولكن دون ظهور نتائج حاسمة، وفي الآونة الأخيرة تم استخدام منهج العلاج السلوكي Behaviour therapy معهم، ونتائجه مشجعة.

أساليب العلاج السلوكي:

المعروف أن العلاج السلوكي من أحدث تقنيات العلاج النفسي، ويقوم على أساس استخدام مبادىء التعلم، وخاصة التعلم الشرطي، في تقديم التعزيزات والمكافآت للعميل لتعليمه السلوك الطيب، والحرمان من هذا التعزيز ومن تلك المكافأة أو حتى فرض العقوبات والأذى على السلوك السيىء حتى يقلع عنه الفرد ويتعلم السلوك المثاب الطيب.. ويستخدم العلاج[1] السلوكي في علاج الأمراض النفسية الأخرى كالمخاوف الشاذة.

ويقترح باندورا Bandura ١٩٧٣م ثلاثة أساليب لتحقيق هذا العلاج:

١ سحب التعزيزات Reinforcements من السلوك المضاد للمجتمع، والمعروف أن الانسان يكف عن الاتيان بالسلوك الذي لا ينال من ورائه التعزيز والاشباع والرضا.

٢ ـ وضع نماذج للسلوك الطيب المرغوب فيه، مع استخدام نظام متدرج للمكافآت أو التعزيزات كلما قلد العميل هذا السلوك الطيب.

٣ ـ تخفيض أو تقليل هذه المكافآت تدريجياً كلما نمى الانسان في نفسه القدرة على ممارسة السلوك المثار ذاتياً أو تلقائياً، أو لمجرد المكافآت الرمزية أو المعنوية.

---

١ ـ راجع كتاب الباحث العلاج النفسي دار النهضة العربية. بيروت. لبنان.

ويستهدف باندورا من وراء هذا البرنامج تنمية الضوابط الداخلية Inner contorls في الفرد، بحيث يمكن تقليل الضوابط الخارجية، وعندما يتحسن سيسيوباتي واحد فإنه يعمل كنموذج أو قدوة لغيره من المرضى، يعمل كنموذج للتغير أو كداعية للتغيير الى الأفضل.

ولقد لوحظ أن السيسيوباتيين تتحسن حالتهم بعد سن الـ٤٠عاماً وقد يرجع ذلك الى ضعف البواعث البيولوجية، والى اكتساب الاستبصار Insight أو الفهم لسلوكهم، ذلك السلوك الذي كان يهزم ذاتياً.

على كل حال ان مقدار التدمير الذي يلحقه هؤلاء السيسيوباتيون بالمجتمع قبل أن يصلوا الى الأربعين يعد تدميراً خطيراً .. يستحق أن يبذل المجتمع كل طاقته وجهده في علاجهم والوقاية من خطرهم، وتأهيلهم واعادة تنشئتهم تنشئة صالحة.

أساليب اعادة التأهيل:

لاشك أن سلوك الانسان قابل للتعديل والتطوير والتنمية، لذلك فإن اعادة تأهيل Rehabilitation الأحداث الجانحين وغيرهم من طوائف المنحرفين والمرضى أمر ممكن اذا توفرت الامكانات والنوايا الحسنة، واذا خضعت برامج التأهيل للمنهج في كثير من المجتمعات النامية لا توجد برامج دقيقة لتأهيل الأحداث الجانحين سوى التوصيات التي يصدرها قاضي الأحداث، ذلك القاضي الذي يعتمد

على التقارير التي تقدم اليه عن الحدث من مكتب المراقبة، ومن الطبيب العقلي، ومن الطبيب النفسي، وقد يستعان بزيارة الآباء وبإجراء مقابلة مع الحدث الجانح نفسه، كذلك هناك مراكز لتوجيه الأحداث الجانحين يوجد بها اخصائيون في علم النفس والطب العقلي والخدمة الاجتماعية، حيث يقوم هؤلاء بدراسة الحدث، وعمل توصيات للمحكمة، ويهتم هؤلاء بمتابعة المستوى التعليمي المهني الذي يحتاجه الحدث، وقد يرسل الطفل الى مدرسة خاصة، لاستكمال دراسة أو لتعلم مهنة معينة، حيث يستطيع أن يحصل على شهادة الثانوية العامة، وتحتاج مثل هذه المدارس وتلك المؤسسات الى الاخصائيين النفسيين، لتوفير الرعاية النفسية اللازمة للحدث، ولمساعدته على اعادة التكيف على الحياة السوية وبفضل أن تقام مؤسسات الأحداث في المناطق السكنية حتى لا يشعر الحدث بالانعزال والانفصال عن المجتمع.

وفي الآونة الأخيرة. تخضع اقامة الحدث في المؤسسة Institutionalisation للتساؤل والتشكك ولاسيما في جرائم الجنس والهروب من المنزل، ولقد تشكك فيها علماء الاجرام Criminologists من أمثال سوزرلاند Sutherland وهو الذي ابتكر نظرية «الارتباط الفارقي» The differential association والتي تنص على أن الفرد لا يصبح مجرماً لأنه يتحد مع المجرمين، ولكن أيضاً لأنه لم يتحد مع الأشخاص الذين يطيعون القانون Law-abiding individuals وهنا تكمن أهمية القدوة الحسنة والمثال الطيب.. هذا الرجل نظر أيضاً

للمؤسسات كمدارس المنحرفين، على أنها أماكن للتدريب للأحداث الجانحين بدلاً من كونها مراكز للتأهيل.

والحقيقة أن معظم المؤسسات التي يودع بها أنواع مختلفة من الأحداث الجانحين ليست صالحة للتأهيل الفعال.. وهناك حاجة لتحديد هؤلاء الأحداث الذين لا يستفيدون من هذه المؤسسات، كذلك فإن الحدث الجانح ضعيف العقل أو متخلف عقلياً لا ينبغي أن يبقى وسط الأحداث متوسطي أو متفوقي الذكاء لصعوبة تكيفه معهم ولأنه يشعر من خلال التعامل معهم بالنقص وفقدان الثقة في ذاته، ولأن وجوده يسيء اليه كذلك فمن الواضح أن النشالين Pick-pockets يبدو أنهم يختلفون عن بقية الأحداث فهم في الغالب أكثر صلابة، ولهم تاريخ طويل في الجريمة، ويتدربون في وسط أسر تحترف النشل.. ولاشك أن للتشخيص الفارقي للحدث أهمية كبيرة، ويحتاج هذا التشخيص لتوفير الاخصائي النفسي والطبيب العقلي لمراعاة الفروق الفردية والظروف الفريدة التي تحيط بكل حدث على انفراد.

الفصـــل العاشر
وسائل الوقاية والعلاج في التصور الاسلامي

المفهوم الاسلامي للدفاع الاجتماعي:

يسود الفكر العقابي المعاصر كثير من الجدال والصراع حول النظريات التي وضعت لتفسيره وتبريره، ومن ذلك الاتجاه الذي يرى تحديد حجم العقوبة وفقاً لحجم الجريمة وخطورتها على المجتمع دون النظر الى شخصية المجرم أو ظروفه أو دوافعه، فالمدرسة الكلاسيكية التقليدية في العقاب تذهب الى ضرورة توحيد العقوبات وشدتها وفوريتها بصرف النظر عن شخصية الجاني.

وهناك المدرسة الكلاسيكية المحدثة، وترى أيضاً، توحيد العقوبة وعموميتها، ولكن بشرط أهلية الجاني، اذ لا عقوبة على المجنون أو الصغير.

أما أنصار المدرسة الوضعية فيؤكدون فكرة حتمية السلوك، ويرفضون فكرة العقوبة لتحل محلها فكرة التدابير، أما أنصار الاتجاه العلاجي فينظرون الى المجرم على أنه مريض يستحق العلاج.. وهناك صراع بين رجال الفكر العقابي حول حجم الجريمة، وسلطة القاضي، ووظائف العقاب، وأهدافه.

وعلى الرغم من أن الهدف واضح وواحد وهو مكافحة الجريمة الاّ أن الأساليب المؤدية اليه يدور حولها الصراع والجدال والاختلاف.

أما الشريعة الاسلامية فقد وضعت نظاماً دقيقاً وعادلاً لمكافحة الانحراف وتضمن النظام الاسلامي الجوانب الوقائية والعلاجية التي تؤدي الى تحقيق المجتمع الآمن والمتماسك.

فالجريمة في التصور الاسلامي محظورات زجر الله تعالى عنها بالحدود أي بالعقوبات المقررة شرعاً بالكتاب والسنة، ويمتاز النظام العقابي الاسلامي بأنه لا عقوبة الاّ بنص الشرع.

ويقصد بالعقوبة في الاسلام الأذى الذي ينزل بالفرد لزجره، وردعاً لغيره، وذلك انطلاقاً من اعتبار الاعتداء الذي وقع على فرد واحد من أفراد الأمة وقع على الأمة كلها، وعلى ذلك فإن عدم فرض العقوبة على المجرم يعرض المجتمع للتسيب والفوضى والانحلال، ويؤثر على العدالة، والأمن، والتماسك والاتحاد الاجتماعي، ويعمل العقاب في التصور الاسلامي، على دفع المفاسد، ودفع الضرر أولى من جلب المصالح.. ويتوقف حجم العقوبة في الاسلام على مقدار الأذى أو الدمار الذي أحدثته الجريمة ومن ذلك:

١ مقدار الضرر الذي لحق بالمجنى عليه

٢ مقدار الفزع العام الذي أحدثته الجريمة في ربوع المجتمع.

٣ ـ مقدار ما تسببه الجريمة من هدر للقيم والفضائل والمثل والمعايير الاسلامية..

ولقد حدد الشرع أنواع الجرائم في الاسلام، فمنها جرائم الحدود وهي: «الزنا، القذف، شرب الخمر، السرقة، الحرابة، البغي والردة».

وهناك «جرائم القصاص» وتتضمن جرائم الاعتداء على الناس بالقتل أو الاصابة سواء عمداً أو بطريق الخطأ، وعقوبة جرائم العمد القصاص. أما جرائم الخطأ فعقوبتها الدية، وعقوبتها مقدرة ولكن الله تعالى أعطى المجنى عليه أو وليه حق العفو عن القصاص واستبداله بالدية أو العفو عنها معاً، ترسيخاً لقيم التسامح والتضامن الاجتماعي والعفو.

وهناك جرائم التعزير، وهي تلك التي لا تدخل ضمن جرائم الحدود والقصاص والدية.. وللقاضي حرية اختيار العقوبة المناسبة وفقاً لحجم الجرم، وظروف المتهم وملابسات ارتكاب الجريمة، ولتحقيق ما يصون مصالح المجتمع، وما يؤدي الى اصلاح حالة المتهم ومنعه من العودة لممارسة الانحراف ويعيده الى حظيرة المجتمع كفرد نافع وللقاضي حق التخفيف أو التشديد في فرض العقوبة.

ولقد اقتضت حكمة الله تعالى عدم تحديد العقوبات، الاّ في جرائم معينة كالجنايات الواقعة في النفوس والأبدان، والأعراض، والأموال، كالقتل والجرح والسرقة، وأتت العقوبات زاجرة رادعة.. ولذلك لم يشرع في الاسلام قطع اللسان للكذب ولا القتل، ولا في السرقة الاعدام.

والى جانب قلة عدد الجرائم ذات الحدود، فإن العقوبة لا تفرض في النظام الاسلامي، الا اذا توفرت أركانها وأدلتها الثبوتية القاطعة، كالاعتراف أو الاقرار، واذا عدل الجاني عن اعترافه لا

تطبق عقوبة الحد.. وللاسلام الحنيف فضل السبق على النظريات العقابية الحديثةفي التوسع في دائرة التعزير، ذلك النظام الذي يتيح للقاضي تحديد العقوبة وتفريدها بما يتلاءم ومصلحة الفرد والمجتمع.

وللحدود وظائف اجتماعية وعلاجية واصلاحية ونفسية تحقق رسالة الدفاع الاجتماعي والوقاية وعدم العودة للجريمة، فالحدود موانع للعمل الجنائي وزواجر لما بعده.. فالعلم بوجود العقوبات يمنع الناس من ارتكاب الجرائم، وفرض العقوبات وانزالها بالمجرم يمنعانه من العودة والاستهتار.

ومن خصائص الحدود أنها حقوق الله تعالى، ولا شفاعة في حد من حدود الله.. ويقوم على تطبيقها الامام أو نائبه، ولا تقام الحدود بشهادة الامام، ويشترط فيها الاقرار والتكرار.

والعقوبة في الاسلام احدى وسائل الفضيلة والاخلاق، وهي لتحقيق العدالة.. وتمتاز الحدود في الاسلام، بالثبات والاستمرار والديمقراطية، وهي بذلك تختلف عن النظم الوضعية التي تختلف من مجتمع الى آخر.. ومن ثقافة الى أخرى، ومن عصر تاريخي الى آخر، لأنها تستمد من أعراف الناس.. ولذلك فهي نسبية وليست مطلقة أو عامة، تتأثر بالتغير والتعصب والتحيز وبالظروف السياسية.

ومن مزايا النظم الاسلامية تلك التي تؤدي الى الوقاية من الجريمة والانحراف، إن المجتمع يقوم على أساس العدل والمساواة والانصاف وقيم الحق والخير، وتكافؤ الفرص، والتضامن والتساند

والتكافل. والوحدة والاتحاد والعفو عند المقدرة، والمروءة والكرم، والبذل والتضحية والعطاء والايثار، وما الى ذلك من القيم الاسلامية الأصيلة.

والاسلام يعمل على القضاء على البطالة والفقر والتمايز الاجتماعي البغيض. فالناس سواسية كأسنان المشط. ولا فرق لعربي على أعجمي الا بالتقوى.

ويستهدف الاسلام تنشئة أبنائه على مراقبة الله سراً وعلانية، ويعمل على تكوين الشخصية السوية المتكيفة مع نفسها ومع المجتمع الذي تعيش في كنفه.. ويعمل الاسلام على تكوين الرأي العام الفاضل من خلال جهود الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن خلال الايمان قولاً وعملاً بالمبدأ الأخلاقي والاجتماعي الفريد وهو «الدين النصيحة» ومن خلال تربية الفرد على التوسط والاعتدال.

ويربي الاسلام أبناءه على قيم تحمل المسئولية الاجتماعية، وبث روح التكافل بين الغني والفقير، وبحثهم على حب العمل والكسب الحلال والأكل من كد اليد، ويتعود المسلم على احترام آداب الجماعة وقيمها ومثلها وعاداتها وتقاليدها، ويحرص على أن يتحلى بالايمان والتقوى والورع والخشوع، والرحمة والشفقة، والطهر والطهارة، والايثار والتعاون، والعطاء والاخاء. وكلها من القيم التي تدفع عن المجتمع شر الجريمة وبلائها.

والمسلم مدعو لستر عيوب نفسه، وعدم الافصاح عما يرتكبه

من الفحش، ليظهر المجتمع بالمظهر اللائق، وحتى لا يعتاد الناس على سماع الفواحش فتصبح عادية ومألوفة لديهم، بل انه مدعو أن يستر أخاه المسلم، وأن يصون عرضه، ويحافظ على شرفه، وعلى سمعته.

وينهى الاسلام عن الرذائل بأنواعها ويدعو للفضائل، ويفتح أبواب التوبة، واصلاح الذات أمام الناس جميعاً، ويؤدي ذلك الى البعد عن الجريمة والانحراف، وهذا يعني أنه اذا كانت عقوبات الحدود والقصاص عامة منصوصاً عليها، فإنه يمكن تفريد العقوبات في التعزير حسب شخصية الجاني. وليس المقصود بشخصية الجاني هنا الغنى والفقر أو الحسب والنسب، ولكن معناه تاريخه الاجتماعي، وسوابقه وما يمكن أن يحقق اصلاحه اعتماداً على فهم القاضي لنفسيته واستعداده للاستواء أو الانحراف.[1]

ومن سماحة التشريع الاسلامي اقرار مبدأ تخفيف الحدود على الضعفاء سواء كان ضعفاً بدنياً حيث لا يحتمل الجسم الحد، اذا لم يراع فيه التخفيف، أو كان ضعفاً معنوياً، بالرق مثلاً ويتخذ هذا التخفيف مظاهر ثلاثة:

١ التخفيف من الآلة المستخدمة في اقامة الحد.
٢ التخفيف في شكل تأجيل اقامة الحد.
٣ التخفيف بالنقص في اقامة الحد.

---

١ الدكتور نبيل السمالوطي. علم اجتماع العقاب. الجزء الثاني. دار الشروق. جده: ١٤٠٣هـ.

ولذلك.. تراعي ظروف المرض والحمل عند انفاذ الحدود.. وتعالج الشريعة الاسلامية مشكلة «المجرم العائد» بأسلوب حاسم وحكيم، حيث تشدد عليه العقوبة وفي جريمة السرقة فإذا سرق شخص وثبتت الجريمة قطعت يده اليمنى، واذا سرق ثانية قطعت رجله اليسرى[1] ومن ذلك أيضاً تشديد العقوبة، في حالة العودة، بتغليظ آلة الضرب حيث تزداد قوة كلما زاد تكرار الجريمة، ويمكن مقاومة من يعبثون بأمن البلاد واستقرارها، ومن ينشرون في الأرض فساداً عن طريق فرض العقوبات التعزيرية التي قد تصل الى حد الاعدام.

وتحرص الشريعة الاسلامية على تطبيق عدة مبادىء عامة عند اثبات الجريمة في حق المجرم، وهي الأركان العامة للجريمة وهي:

١ ـ الركن الشرعي الذي يتمثل في ضرورة وجود نص شرعي يجرم الفعل فلا جريمة بلا نص، أو لا عقوبة بلا نص.
٢ ـ الركن المادي.. ويتمثل في القيام بارتكاب الجريمة أو السلوك الاجرامي المحرم فعلاً وبذلك يختلف عن مجرد الشروع فيه.

٣ ـ الركن الانساني: ويتمثل في عدم معاقبة أي فرد الاّ اذا كان مكلفاً ومسئولاً ومختاراً.. ومعنى ذلك الاّ يكون فاقد الاختيار أو منعدم القدرةعلى الادراك، فلا عقوبة على المجنون أو الصغير

---

١ الدكتور نبيل السمالوطي. المرجع السابق. ص. ١٢٤

دون سن التمييز أو المكره. وهناك أركان خاصة بكل جريمة حددتها الشريعة الاسلامية أيضاً، وللاسلام في تحديد هذه الأركان فضل السبق على علماء الاجرام والعقاب في العصر الحديث. كذلك أقرت الشريعة الاسلامية «مبدأ شخصية الجريمة» فالمسئول عن الجريمة هو مرتكبها شخصياً، ولا يمكن أن يتحمل وزر الجريمة شخص آخر مالم يكن قد شارك في ارتكابها أو الاعداد لها.

ومن المبادىء الهامة في النظام العقابي الاسلامي مبدأ «موضوعية العقوبة» فلا تتأثر بالهروب أو التحيز أو التعصب أو الآراء السابقة، أو الذاتية الشخصية، ولكنها تتطلب التجرد والموضوعية، ولابد أن تكون جميع الأحكام مستمدة من الشريعة الاسلامية،

ويؤخذ في الاعتبار عن فرض العقوبة مايلي:

نوعية الجريمة.

شخصية المجرم.

ظروف ارتكاب الجريمة وملابساتها.

- صالح المجتمع ككل.

اصلاح الجاني وتأديبه وتهذيبه.

والى جانب هذه العقوبات هناك مجموعة من التدابير الواقية من الجريمة

التدابير الاحترازية:

هناك بعض الاجراءات الوقائية التي تتبعها بعض المجتمعات الحديثة وهي تختلف عن العقوبات، ويدور خلاف بين فقهاء القانون حول طبيعتها، ومدى فعاليتها ويقصد بها علاج أعراض الشذوذ في المجرم حتى لا تتحول الى جرائم فعلية، وذلك حماية للأمن الاجتماعي وتجنباً للأخطار التي تلحق بالمجتمع. ومن هذه التدابير مايلي:

١ تدابير عازلة. وهي إما سالبة للحرية كالحجز أو الاعتقال أو الايداع في المؤسسات، وإما مقيدة للحرية كالابعاد أو النفي أو تحديد الاقامة أو طرد الأجانب..

٢ ـ تدابير علاجية وتربوية كحجز مدمني الخمور والمخدرات والمرضى العقليين الخطرين، أو الوضع تحت المراقبة، أو الإيداع في معسكرات العمل الاجباري أو الحكم مع ايقاف تنفيذ العقوبة.. ومن ذلك أيضاً إيداع الأحداث والشبان في مؤسسات الأحداث أو التسليم لمؤسسات خيرية أو الإيداع في الأسر البديلة تحت الاشراف الاجتماعي..

٣ ـ تدابير وقائية مثل المنع من ارتياد بعض الأماكن أو العزل من الوظيفة أو منع ممارسة بعض المهن والأعمال أو سلب الولاية على النفس أو الاخصاء والتعقيم أو مصادرة الأملاك والأموال.

ومعظم هذه الاجراءات غير فعالة وغير عادلة في ظل الأنظمة الوضعية.. ولقد أدركت الشريعة الاسلامية أهمية هذه التدابير قبل

أن تفطن اليها النظم الحديثة، وان كانت أدمجتها مع العقوبات، ومثال ذلك اباحة حبس السارق اذا قطعت يده ثم سرق ثانية وقطعت رجله ولم يكف عن السرقة فإنه يحبس.

أهمية النظم العقابية في المجتمع الاسلامي:

تضع جميع المجتمعات تقريباً أنظمة لفرض العقوبات على المخالفين والخارجين على القانون، وأولئك الذين يضرون بمصالح البلاد وأمنها. وللنظام العقابي وظائف هامة يعمل على تحقيقها اذا تحققت له الفاعلية والكفاءة والنزاهة والعدالة والحسم، ومن هذه الوظائف مايلي:

١ العقاب بوصفه جزاءً للانحراف والجريمة.
٢ العقاب كوسيلة لردع المجرمين والمنحرفين.
٣ العقاب كوسيلة للتهذيب والاصلاح والتأديب.
٤ العقاب كوسيلة لتحقيق التماسك الاجتماعي[1]
٥ ـ العقاب كوسيلة لفرض الأمن والاستقرار والحماية لكافة أبناء المجتمع.

واذا ما تساءلنا عن وظائف النظام العقابي، في التصور الاسلامي. لوجدنا أن لإسلامنا الحنيف فضل السبق في اقرار هذه الوظائف، فالعقاب جزاء عادل على اقتراف الانحراف، ويحقق الردع

---

١ الدكتور نبيل السمالوطي. علم اجتماع العقاب. الجزء الأول. دار الشروق. جده ١٤٠٣هـ.

العام، حيث يحدد أمام الناس ما يمكن أن ينالهم من عقوبة إن هم أقدموا على الانحراف، مما يجعل الغالبية الساحقة تكف عنه، ويحقق العقاب وظيفة الردع، حيث يمنع المجرم من العودة للجريمة، اذا لم تكن عقوبته الاعدام.

والعقاب في اسلامنا الحنيف يصون التماسك الاجتماعي والوحدة الوطنية، ويدفع عن الأسس العادلة التي يقام عليها المجتمع الاسلامي، تلك الأسس التي تعتمد على القيم والمثل العليا والفضائل والخصال الحميدة، واشاعة الأمن والعدل والاخاء والمساواة بين الناس، وتستمد النظم العقابية في الاسلام سندها القوي من كونها تطبيقاً لأوامر الله وشرعه.[1]

الوسائل الوقائية في التصور الاسلامي

النظرية العقابية في الاسلام:

يعتبر الاسلام ،بحق، مدرسة جامعة لتربية الانسان المسلم ليكون مواطناً صالحاً مؤمناً قوياً، ملتزماً مطيعاً خيراً، فاضلاً، صادقاً، أميناً.. عاملاً.. وغير ذلك..

وكل كلمة في تعاليمنا الاسلامية وتراثنا الاسلامي الخالد تنطق بهذا المعنى وتؤثر في الانسان تأثيراً عميقاً وتحثه على السلوك الطيب

---

١ المرجع السابق. ص: ١١٨

والمستقيم والملتزم والجاد والمتزن، والبعيد عن الجريمة والانحراف والشذوذ، وعن الضلال والفساد والفسوق والنفاق والعدوان.

وتنقسم هذه التعاليم أو تلك الآثار الاسلامية التي تؤدي الى الاستقامة وتجنب الجريمة والانحراف الى مايلي:

أ ـ وسائل مباشرة.. كالحدود والحجز والمراقبة، والحبس والنقص.

ب ـ وسائل غير مباشرة وتتمثل في جميع التكاليف والعبادات والآداب فالصلاة مثلاً تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي. والصيام يمنع الفرد من الفسوق والرفث ومن الخبث والخبائث.. وهكذا.

كذلك يمكن تقسيم الاجراءات والوسائل الاسلامية في منع الجريمة الى مايلي:

وسائل وقائية، كفرض الزكاة والحجاب وتحريم اللواط، والخمر والغش والعدوان والسرقة.. والزنا وغيرها.

وسائل رادعة كإقامة الحدود وفروض العقوبات.

وإن كان هناك تضافر وتعاون بين هذه الوسائل، فالحجز أو الحبس يعتبر وقاية من شر المجرم وفي نفس الوقت يعتبر ردعاً له.

فالتعاليم الاسلامية سواء كانت في مجال العقائد أو العبادات أو المعاملات كلها مانعة من الجريمة والانحراف، وكلها تحث على الفضائل، والتعاون، والايمان، والتقوى، والورع، والخشوع، والانضباط والالتزام، والطاعة والنظام.. وغيرها..

ويمتاز التشريع الاسلامي بميزة ينفرد بها عن جميع النظم

العقابية والعلاجية الوضعية، وذلك لأنه يربي الفرد على الخوف من الله تعالى وعلى خشيته، فإلى جانب العقاب الدنيوي، هناك العذاب والعقاب والحساب الأخروي. والخوف من الله أشد من الخوف من القانون الوضعي مهما كان صارماً، لأن عين الله ترقب الانسان في السر والعلن، سواء وقع في قبضة العدالة أم أفلت منها، فالإنسان ينتظر حساب الآخرة والجنة والنار في كل وقت.

كذلك فإن التعاليم الاسلامية تربي الفرد المسلم على الايمان بوجود نوعين من الجزاء:

أ ـ الجزاء الطيب الايجابي أو الثواب، ويتمثل في اكتساب رضا الله تعالى والتمتع بنعم الجنة والحياة الأخروية الراضية

ب ـ الجزاء السلبي، ويتمثل في عذاب جهنم وفي العقاب الدنيوي.

فالنظام العقابي الاسلامي يتسم «بالتكامل والشمول» والدعوة للعمل الصالح، وتجنب الفواحش، وذلك بأسلوبي «الترغيب والترهيب، وبالحساب الدنيوي والأخروي، أو باتباع الأساليب الوقائية والعلاجية والرادعة معاً».

فالنموذج الاسلامي في ردع الجريمة يمتاز بالتكامل والشمول، والرفق بالمجرم، والاهتمام بالوعظ والارشاد، والتوعية، وحسن التنشئة، والدعوة للاستقامة والصلاح، كذلك يمتاز هذا النموذج بإيجاد الحلول الحكيمة للمشكلات التي يواجهها الفرد أو الجماعة، مع وضع تنظيم دقيق لكافة مظاهر الحياة والأنشطة الاجتماعية

والاقتصادية والسياسية والأسرية والعسكرية، ووضع دستور جامع ينظم حياة الفرد ويوجهها.

ففي المعاملات هناك الدعوة الاسلامية الأصيلة للوفاء بالعهود والعقود، وهناك الدعوة للصدق والأمانة في الشهادة، وتجنب شهادة الزور، والدعوة للالتزام بتعاليم الدين حتى لا يشيع الضلال، وأكل الأموال بين الناس بالباطل وتنتشر جرائم النصب والاحتيال.

وكذلك يؤدي تنظيم المواريث الى عدم قيام أية خصومة أو نزاع حولها بين الورثة ومن ذلك أيضاً منع الغش، وتحريمه بكل صوره وأشكاله.. وتحريم الكذب، والربا، والزنا، والظلم، وتحريم سفك الدماء، وازهاق الأرواح، وتحريم القتال بين المسلمين، والا كان القاتل والمقتول[1] في النار، وتحريم الخصام والانقسام، والانشقاق وتمزق الجماعة

كذلك يمتاز النموذج الاسلامي بالتدرج في فرض العقوبة، وفقاً لحجم الجريمة، ولظروف المجرم، وسنه، ومستواه العقلي.

كذلك يمتاز النظام العقابي بالتطبيق على جميع الناس بالعدل والمساواة فلا شفاعة في حد من حدود الله.[2]

---

١ ـ يحيى بن شرف الدين النووي. الامام. رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين. دار القلم. بيروت: ١٩٨٣م. لبنان.

٢ ـ محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. دار الفكر. بيروت: ١٩٨١م. لبنان.

وتتخذ الوسائل الوقائية أشكالاً متعددة، منها تربية المواطن المسلم على الايجابية، وتحمل المسئولية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فلا يقف سالباً ساكتاً أمام الأحداث، بل يتدخل ويأمر غيره بالمعروف وينهاه عن المنكر، فهو مسئول عن منع الجريمة، والظلم، والفحشاء، والفسق، والعبث والتسيب، والانحراف بكل أشكاله وألوانه. بل انه مطالب بأن يميط الأذى عن الطريق العام.[1]

يؤمن المسلم بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على كل مسلم مكلف قادر علم بالمعروف ورآه متروكاً، أو علم بالمنكر ورآه مرتكباً، وقدر على الأمر أو التغيير بيده أو بلسانه[2] والدليل على ذلك قوله تعالى ﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله﴾[3]

وغرس الايمان في الانسان المسلم بأنه سليل هذه الأمة العظيمة التي هي خير أمة أخرجت للناس[4] يسمي في حسه الشعور بالعزة والكرامة، ومن ثم يبعده عن الرذيلة والجريمة. ومن الأدلة على ذلك أيضاً قوله تعالى ﴿ولتكن منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون

---

١ صحيح مسلم.

٢ ـ أبو بكر جابر الجزائري. منهاج المسلم. دار الفكر. الطبعة الخامسة. القاهرة: ١٣٩٢هـ.

٣ سورة آل عمران. الآية: ١١٠.

٤ ـ محمد فؤاد عبدالباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دار الفكر. بيروت؛ ١٤٠١هـ.

بالمعروف وينهون عن المنكر، أولئك هم المفلحون»[1] بل ان الله تعالى عهد للانسان بخلافة الأرض وتعميرها.

وكما في قول رسولنا الكريم «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الايمان». «رواه مسلم».

والتراث الاسلامي الخالد حافل بكل ما يدفع لاستقامة السلوك.. وهناك الكثير من الأدلة النقلية والعقلية على صحة ذلك، ويضيق المقام عن سردها جميعاً، ولذلك نكتفي بذكر نماذج منها تاركين للقارىء الكريم استكمال الصورة المشرقة بخياله الخصيب وبقراءاته والرجوع لأصولنا الاسلامية والانتهال من منابعها التي لا تنضب والاهتداء بها.

حكمة تحريم الخمر في الاسلام:

ولقد حرم الله تعالى شرب الخمر، وتوعد شاربها بالعذاب الأليم لما لها من الأضرار الصحية والمالية والخلقية والاجتماعية والدينية.

فلقد نهانا رسول الله (ﷺ) عن الخمر وعن صنعها وقال: «انه ليس بدواء ولكنه داء» فيروي طارق بن سويد الجعفي أنه سأل النبي (ﷺ) عن الخمر فنهاه وكره أن يصنعها فقال: «يارسول الله ان

---

١ - سورة آل عمران. الآية: ١٠٤.

بأرضنا أعشاباً نعتصرها فنشرب منها، قال لا. فراجعته قلت: انا نستشفي للمريض. قال: ان ذلك ليس بشفاء ولكنه داء». «رواه مسلم»، والى جانب الأضرار الصحية للخمر فإنها تقود الى الجريمة، فشاربها يصاب بفساد الفهم والادراك والوعي والتصور، وبضعف قواه العاقلة.. وقد ينتهي الادمان الى الجنون، ولذلك قال أحد الأطباء المشهورين «اقفلوا لي نصف الحانات أضمن لكم الاستغناء عن نصف المستشفيات والبارستانات والسجون»[1]

ولعل من علل تحريم الخمر في الاسلام الصد عن ذكر الله ووقوع العداوة والبغضاء بين الناس، كما في قوله تعالى ﴿انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾[2] وينهى الرسول عليه الصلاة والسلام عن الخمر نهياً قاطعاً لقوله عليه السلام (كل مسكر خمر وكل خمر حرام).. رواه مسلم، ولقوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون﴾[3] والخمر ما خامر العقل أياً كان نوعه، وأياً كانت المادة المصنوعة منه فهو حرام.

---

١ ـ الدكتور صالح عبدالعزيز آل منصور. موقف الاسلام من الخمر. الطبعة الثانية. ١٤٠٥هـ.

٢ ـ سورة المائدة. الآية: ٩١

٣ ـ سورة المائدة. الآية: ٩٠

وفي مضار الحشيشة يقول شيخ الاسلام ابن تيمية ان أكل الحشيشة يورث قلة الغيرة، وزوال الحمية، حتى يصير آكلها اما ديوثاً وإما قابوناً وإما كلاهما. وتفسد الأمزجة حتى جعلت خلقاً كثيراً مجانين، ومن لم يجن منهم فقد أعطته نقص العقل ولو صحافها، فإنه لابد أن يكون في عقله خبل، ثم ان كثيرها يسكر حتى يصد عن ذكر الله وعن الصلاة، وهي ان كانت لا توجب قوة نفس صاحبها حتى يضارب ويشاتم فكفى بالرجل شراً أنها تصده عن ذكر الله وعن الصلاة اذا سكر منها.

وقليلها وان لم يسكر فهو بمنزلة قليل الخمر، ثم أنها تورث من مهانة آكلها ودناءة نفسه، وانفتاح شهوته ما تورثه الخمر [1]

ولقد تنبه الاسلام الى تحريم كافة أنواع الكحول وكافة أنواع المخدرات ومنها الكوكايين والمورفين والهيروين، وكلها سموم قاتلة يتعاطاها الانسان فيقتل نفسه قتلاً سريعاً أو بطيئاً.

ولقد حرم الله تعالى قتل الانسان لنفسه ﴿ولا تقتلوا أنفسكم ان الله كان بكم رحيماً﴾[2]

وقال رسولنا الكريم «من قتل نفسه بشيء عذب به يوم القيامة» رواه مسلم، كما حرمها الله تعالى للمحافظة على العقل، واذا فقد الانسان عقله سهل ارتكابه للجرائم، كما حرمها سبحانه، من

---

١ المرجع السابق.

٤ - سورة النساء. الآية: ٢٩.

أجل المحافظة على المال، وعدم السرقة والخمور والمخدرات تقود الى السرقة، وفيها تبذير، وهو منهي عنه في الاسلام، وجعل الاسلام المبذرين اخوان الشياطين، فالانفاق على المخدرات اسراف في النفقة، وتضييع للمال في طريق غير مشروع . كما في قوله تعالى ﴿وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيراً، ان المبذرين كانوا اخوان الشياطين، وكان الشيطان لربه كفوراً﴾[1]

وينهى الرسول الكريم عن اضاعة المال «ان الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعاً وهات، وكره لكم قيل وقال، وكثرة السؤال، واضاعة المال» رواه البخاري. وليس هناك أسوأ من اضاعة المال في تعاطي الخمور والمخدرات، وفي طريق الجريمة عموماً.

بل إن الدخان نفسه من الخبائث وهو مكروه لأنه اسراف، ولأنه ضار بالصحة ولأنه بسبب رائحة كريهة تنبعث من فيه المدخن بل وتملأ المكان كله.

والاسلام يدعو للنظافة والطيب، ولقول الله تعالى ﴿ويحرم عليهم الخبائث﴾[2] ويؤدي التدخين الى انخفاض مستوى معيشة صاحبه لانفاق قدر كبير من دخله على هذه العادة السيئة، وشرب

---

١ سورة الاسراء. الآية: ٢٦ ـ ٢٧.

٢ سورة الأعراف. الآية: ١٥٧

الدخان مهلكة والله ينهانا أن نلقي بأنفسنا الى التهلكة ﴿ولا تلقوا بأيديكم الى التهلكة﴾[1]

والمسلم مدعو لإصلاح نفسه، وتأديبها، وتهذيبها، وتقويمها، فهو ايجابي حتى مع نفسه، وعليه تطبيقها، وتطويعها، وترويضها، وتزكيتها، وتطهيرها، وتنقيتها، من الشوائب والخبائث. والله تعالى يخزي المجرمين.. ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى ﴿قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها﴾[2] فالمسلم مدعو لتطهير نفسه من الأرجاس والأدران والفساد وعليه أن يروضها على الخير والاحسان.. ومن العوامل التي تساعد على تحقيق الصلاح واعتدال السلوك.. واستقامته التوبة، ومعناها البعد عن كافة الذنوب والمعاصي والآثام والفواحش وبالتالي الجرائم. مع الشعور بالندم ولوم الذات على ما فات من الأخطاء والعزم الأكيد على عدم العودة للذنوب مرة أخرى. والأدلة على ذلك كثيرة ومتعددة كما في قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحاً عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجري من تحتها الأنهار﴾[3]

ولقول نبينا (ﷺ) «ياأيها الناس توبوا الى الله فإني أتوب في اليوم مائة مرة» رواه مسلم.

---

١ - سورة البقرة. الآية: ١٩٥

٢ - سورة الشمس الآية. ٩.

٣ سورة التحريم. الآية: ٨.

فالتوبة عاصم من الزلل، والجنوح، والانحراف، والجريمة.. وتمتاز بأنها عاصم ذاتي داخلي ينبع من أعماق الفرد.. والقوة الذاتية الرادعة أقوى وأكثر تأثيراً من القوى والمؤثرات الخارجية فالاسلام يسعى لتحصين الانسان ضد براثن الجريمة تحصيناً ذاتياً نابعاً من أعماقه، ومن وحي ضميره الحي، وحسه الديني، وحرصه على رضاء الله تعالى.. ومن وسائل الضبط الاسلامي فكرة «المراقبة».. فالمسلم يأخذ نفسه بمراقبة الله سبحانه وتعالى وهو موقن بأن الله سبحانه وتعالى مطلع على ذاته، وأسرارها، وأفعالها، ونواياها، وخباياها، فالأعمال بالنيات ولكل أمرىء ما نوى، وانه سميع رقيب على أعمالها.. والنفس الاسلامية تشعر بالمسئولية فهي رهينة بما كسبت كما في قوله تعالى ﴿وكان الله عليكم رقيباً﴾[1] وقول رسولنا (ﷺ) «أعبد الله كأنك تراه، فإن لم تره فإنه يراك». متفق عليه. فالرقابة ذاتية في الاسلام أولاً وقبل كل شيء.

ويربي الاسلام الفرد على محاسبة النفس على كل كبيرة وصغيرة، فإذا أخطأ لام نفسه ووبخها وعنفها، بدليل قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد، واتقوا الله ان الله خبير بما تعلمون﴾[2]

وقوله تعالى ﴿ولا أقسم بالنفس اللوامة..﴾[3]

---

١ سورة النساء. الآية: ١

٢ سورة الحشر. الآية: ١٨

٣ سورة يوسف. الآية: ٥٣.

ومن وسائل تقويم السلوك، في التصور الاسلامي، مجاهدة النفس، فالنفس من أعداء الانسان، وهي أمارة بالسوء، بدليل قوله تعالى ﴿وما أبرىء نفسي ان النفس لأمارة بالسوء﴾[1] فالنفس قد تستهويها الشهوات والملذات العاجلة والأطماع الزائدة.

ولاشك أن الأخلاق والجريمة لا يجتمعان فإذا تربى الانسان على القيم الخلقية، ابتعد عن الجريمة والجنوح، وتقوم التنشئة الاجتماعية والنفسية في الاسلام، على حب الخلق القويم لقوله تعالى ﴿وانك لعلى خلق عظيم﴾[2]

والاسلام يدعونا لحسن الخلق ﴿ادفع بالتي هي أحسن، فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾[3] كما يشجع على فض المنازعات بالمعروف.

فالمعاملة الحسنة تقضي على الخصومات والعداوات والمنازعات وخاصة في الأماكن التي كانت تنتشر فيها عادات الأخذ بالثأر والخلافات القبلية والأسرية ذات الطابع الجماعي ويدعو الاسلام لكظم الغيظ، ﴿وسارعوا الى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين﴾.[4]

---

١ ـ سورة يوسف. الآية: ٥٣.
٢ ـ سورة القلم. الآية: ٤.
٣ ـ سورة فصلت. الآية: ٣٤.
٤ ـ سورة آل عمران. الآية: ٢، ٤، ٦.

وكظم الغيظ يربي الانسان على «ضبط النفس» والقدرة على الاحتمال، وعدم الاندفاع أو التهور وراء الجريمة والعدوان، فالبر من علامات حسن الخلق، كما في قول رسولنا (ﷺ) «انما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق».. رواه البخاري.

وفيما يبعد الانسان المسلم عن الجريمة والتهور التحلي بفضيلة الصبر كما في قوله تعالى ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة﴾[1] وقوله عز وجل ﴿واصبر وما صبرك الاّ بالله﴾[2] وكذلك تربيته على قيم العفو والصفح والتسامح.

والمسلم كذلك مدعو للاعتماد على الله والتوكل عليه وكذلك تربيته على الحب والايثار كما في قوله تعالى ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[3]

ومن القيم الاسلامية الرفيعة التي تمنع انتشار الجريمة قيمة العدل حيث ينتفي الشعور بالظلم، والشعور بالظلم من الدوافع القوية التي تدفع حتى الأسوياء من الناس لارتكاب الجريمة كما في قوله تعالى ﴿ان الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتاء ذا القربى﴾[4] وقوله تعالى ﴿وأقسطوا ان الله يحب المقسطين﴾[5] وقوله كذلك ﴿ان الله يأمركم

١ سورة البقرة. الآية: ٤٥.
٢ سورة النمل. الآية: ١٢٧.
٣ سورة الشحر. الآية: ٩.
٤ سورة النحل. الآية: ٩٠.
٥ سورة الحجرات. الآية: ٩.

أن تؤدوا الأمانات الى أهلها، واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾[1]

وللعدل مفهوم شامل في الاسلام، فالحاكم يجب أن يكون عادلاً في حكمه، والزوج عادلاً مع زوجاته وعياله، والرئيس يكون عادلاً مع مرؤوسيه، والعبد يكون عادلاً في شعوره نحو الله تعالى، والعدل في الفصل في المنازعات بين الناس. والعدل مع الذات، فلا يغشها الانسان أو يخدعها كذلك لا يشهد الانسان زوراً.

ومن ذلك أيضاً خلق الرحمة كما في قول رسولنا الكريم انما يرحم من عباده الرحماء، رواه البخاري، وقوله (ﷺ) «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» رواه الطبراني. وقوله أيضاً «من لا يرحم لا يرحم» رواه البخاري..

ويغرس الاسلام في أبنائه الشعور بالتوحد والتقمص والاندماج والتعاطف والتراحم والتآزر والتماسك والتساند، كما في قول رسولنا (ﷺ) «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» رواه مسلم. مثل هذا الشعور بالتوحد والمشاركة الوجدانية يمنع المسلم من أن يعتدي على شقيقه المسلم ولا على غيره من الناس.

بل ان الاسلام يدعونا للاحسان الى الناس، وليس العدوان

---

١ - سورة النساء. الآية: ٥٨.

عليهم، كما في قوله تعالى ﴿وأحسنوا إن الله يحب المحسنين﴾[1] وقوله تعالى ﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان﴾[2] والاحسان ضد الاجرام ولاشك، والاحسان الى الناس يولد في قلوبهم الحب والمودة والرحمة، بدلاً من البغضاء والشحناء والخصام وتلك المشاعر السلبية من بين الدوافع الذاتية للجريمة.

ويزرع الاسلام مشاعر الصدق والأمانة في نفس المسلم وحسه ووجدانه، فالصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة، والكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار.[3] كما في قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين﴾[4] وانتشار الصدق يبعد شبح الجريمة، ويمنع من شيوع الغش والخداع والتزوير والسرقة والظلم والفسق.

ومن بين القيم الاسلامية النافعة الكرم والسخاء والجود والعطاء، كما في قوله تعالى ﴿ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾[5]

---

١ سورة البقرة. الآية: ١٩٥

٢ سورة النحل. الآية: ٩٠

٣ ـ محمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعري المكي. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. دار الفكر. بيروت: ١٤٠١هـ.

٤ ـ سورة التوبة. الآية: ١١٩.

٥ سورة الحشر. الآية: ٩.

ومن الأخلاق الاسلامية التواضع. وذم الكبر، كما في قوله تعالى ﴿ولا تمش في الأرض مرحاً..﴾[1]

وفي نفس الوقت يحرص الاسلام على تطهير الانسان من المشاعر السلبية، التي تدفع في النهاية صاحبها الى العدوان على غيره من الأشياء والناس، ومن ذلك الظلم ﴿ومن يظلم منكم نذقه عذاباً كبيراً﴾[2] والشعور بالظلم يدفع الى الجريمة والجنوح حتى وان لم يكن قد وقع على الانسان ظلم حقيقي فتوهم الانسان أنه مظلوم قد يدفعه الى الاعتداء على مصادر ظلمه كما يحدث في الجرائم التي يرتكبها مرضى جنون الاضطهاد[3] كذلك من المشاعر البغيضة الحسد والغش والرياء والغرور والعجز والكسل والتراخي.. فالكسل والتراخي عن طلب الرزق قد يدفع الفرد لجرائم التشرد والتسول، أو حتى السرقة والسلب والنهب، والانسان الكسول يشعر بالحقد على غيره من النشطاء فيتعدى عليهم.

ومن القيم الاسلامية المانعة للجريمة قيمة الطهارة ولها معنيان «أ» طهارة ظاهرة، تتمثل في طهارة الخبث وطهارة الحدث «ب» وطهارة باطنة عبارة عن تطهير النفس من آثار الذنب والمعصية، وذلك بالتوبة الصادقة من كل الذنوب والمعاصي، وتطهير القلب من

---

١ سورة الاسراء. الآية:) ٣٧.

٢ سورة الفرقان. الآية: ١٩

٣ ـ الدكتور عبدالرحمن العيسوي. أمراض العصر. الأمراض النفسية والعقلية والسيكوسوماتية. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية: ١٩٨٤م.

أقذار الشرك والشك والحسد والحقد والغل والغش والكبر. والعجب والرياء والسمعة، وذلك بالاخلاص واليقين، وحب الخير، والحلم، والصدق، والتواضع وإرادة وجه الله تعالى بكل النيات والأعمال الصالحة.

والمعروف أن تملك مشاعر الذنب من الانسان قد تدفعه الى رد العدوان الى ذاته وقتل نفسه.

فالأعمال الصالحة ضد الأعمال الشريرة والجانحة والاجرامية، ومشاعر الغل والحقد والحسد والكره من العوامل النفسية التي تدفع صاحبها للانتقام من أحد الناس أو من المجتمع ككل.

ومن وسائل الطهر الوضوء، ومن خلاله يتحرر الانسان من الخطايا والذنوب تلك التي تخرج مع قطر الماء[1]، وكذلك الاغتسال لقوله تعالى ﴿وان كنتم جنباً فاطهروا﴾[2] وكذلك التيمم لقوله تعالى ﴿وإن كنتم مرضى أو على سفر أو جاء أحد منكم من الغائط أو لامستم النساء فلم تجدوا ماء فتيمموا صعيداً طيباً فامسحوا بوجوهكم وأيديكم﴾[3]

---

١ محمد بن علان الصديقي الشافعي. المرجع السابق.
٢ سورة المائدة. الآية: ٦
٣ سورة النساء. الآية: ٤٣.

وتربية الفرد المسلم على حب الصلاة واتيانها تحول بينه وبين الاقتراب من الجرائم والفواحش لقوله تعالى ﴿وأقم الصلاة ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر﴾[1] فالصلاة تزكية للنفس وتطهير لها، ومناجاة بين العبد وربه، وكسب للدار الأخرة، ولذلك فالصلاة وما يصاحبها من مشاعر الخشوع والتواضع والخشية لله تعالى والاستعانة به، والتوكل عليه وتسبيحه وحمده وشكره.. كل هذا يباعد بين الانسان والجريمة ، فالصلاة مدرسة من مدارس الأمن والسلام الاجتماعي المنشود.

ولا يخفى ما لصلاة الجماعة من أثر نفسي في الاحساس بالألفة، والتآلف، والتوحد، والاتحاد، في جسد الأمة الاسلامية من أبناء المجتمع المسلم، والانسان اذا شعر بالتوحد مع غيره، أصبح يسعد لسعادة الغير ويحزن لحزنه، ومن ثم يمتنع عن ايذائه، بل يسعى لاسعاده ومساعدته والتعاون معه، وفي صلاة الجماعة يشعر جموع المصلين كأنهم جسد واحد وقلب واحد ومصلحة واحدة، «مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».. رواه مسلم.

ولنتأمل في فكرة الأمامة في الصلاة وشروطها العادلة، التي تقدر قراءة القرآن وحفظه، والتفقه في الدين، والتقوى، والتقدم في السن كما في قول رسولنا الكريم «يؤم القوم أقرؤهم لكتاب الله فإن

---

١ ـ سورة العنكبوت. الآية: ٤٥.

كانوا في القراءة سواء فأعلمهم بالسنة، فإن كانوا في السنة سواء فأقدمهم هجرة، فإن كانوا في الهجرة سواء فأكبرهم سناً». . رواه مسلم.

وذلك مالم يكن الرجل سلطاناً أو صاحب الدار فيكون أولى من غيره بالامامة ففكرة الامامة هذه تعود المسلم وتطبعه على الطاعة والالتزام والانضباط والانقياد للقيم والمثل والمعايير المرعية، ويمتد هذا الشعور بالطاعة الى كافة مجالات الحياة ومختلف أوجه نشاط الفرد فهي تعود على احترام الكبار وتقدير العلم والعلماء وحفظة القرآن.

مبدأ النصح والارشاد والانذار قبل العقاب:

لقد كان لإسلامنا الحنيف فضل السبق على كافة النظريات الحديثة التي تدعو للارشاد والتوجيه والتربية والتنشئة الصالحة، واشباع حاجات الفرد، وتوعيته واحياء ضميره، وان العقاب هو خاتمة المطاف الذي يأتي في النهاية كضرورة حتمية رادعة، ولذلك يجيء العقاب تحقيقاً للعدالة، ولعدم مساواة المجرم مع الشخص الذي يسير على الصراط المستقيم، كما في قوله تعالى ﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين في الأرض أم نجعل المتقين كالفجار﴾[1]. . والعقوبة شرعت لدفع الفساد وتحقيق اللعنة والمهانة للجاني ﴿ألا لعنة الله على الظالمين﴾[2]

---

١ سورة ص. الآية: ٢٨

٢ سورة هود. الآية: ١٨.

والانذار يسبق فرض العقوبة في الاسلام كما في قوله تعالى ﴿وما كنا معذبين في الأرض حتى نبعث رسولاً﴾[1]

والاسلام يحمي الناس من التجسس أو استراق السمع، كما يمنع دخول المنازل بغير اذن أصحابها، وتسعى الحسبة في الاسلام لبسط القيم الخلقية والمثل العليا واستخدام الرفق مع المنحرفين، وللحسبة وظائف متدرجة حسبما جاء في رأي الامام الغزالي وهي:

١ التعرف أي التعرف على مدى وجود الفعل المنكر.

٢ ـ الوعظ بالكلام اللطيف، أي تعريف المنحرف بأن ما يأتيه فعل منكر منهي عنه

٣ التعنيف، أي بالقول الغليظ الخشن، ولكنه لا يصل الى حد السب بالفحش.

٤ المنع بالقهر كاعداد الخمور أو الطرد من الدار المغتصبة.

٥ التهديد والتخويف.

٦ العقـــاب.

فالعقاب يأتي في آخر المراحل ولا يفرض بصورة طفرية وفجائية، ويمنع الاسلام من اضافة عقوبة جديدة على العقوبات المفروضة على نفس الفعل وعن ذلك حرص على كرامة الانسان، حتى الانسان المجرم، فقد نهى رسولنا الكريم عن سب المجرم، فقد أمر عليه الصلاة والسلام بإقامة الحد على شارب الخمر وبعد اقامة

---

١ سورة الاسراء، الآية: ١٥.

الحد قال له أحد الحاضرين أخزاك الله، فغضب النبي وقال: لا تقولوا له هكذا.. لا تعينوا عليه الشيطان. رواه البخاري.

ولكن هذا لا يمنع من تحذير الناس من شر الجريمة والمجرمين حتى يبتعدوا عنها كما في قوله تعالى ﴿لا يحب الله الجهر بالسوء من القول الا من ظلم وكان الله سميعاً عليماً﴾.[1]

ولقد عرف الاسلام نظام السجن الى جانب العقوبات البدنية كما في قوله تعالى ﴿الا أن يسجن أو عذاب اليم﴾[2] ولقد أوصى الاسلام باستخدام الرفق أو الأساليب الانسانية مع السجين، ولم يكن هناك سجون في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حتى عهد عثمان وكان المحكوم عليه يحجز في مسجد أو دهليز وكان علي رضي الله عنه أول من بنى سجناً في الاسلام.. ولا يعني الحبس في الاسلام تكبيل السجين أو اعاقة حركته أو تعذيبه بدنياً. وكان الخليفة يضمن توفير المال لإطعام السجناء وكسوتهم، ويوصي بعدم توثيق المسجون، وعدم تعرضه لمهانة الجوع أو العرى، وعلى ولاة الأمور تفحص أحوال السجناء يومياً مع الاسراع بمحاكمة المحجوزين على ذمة القضايا.

ومن المبادىء الاسلامية أن كل انسان معرض للوقوع في الخطأ وأن العقاب الشرعي يكفي لتطهير الانسان من ذنوبه، وأن امكانية اصلاح الفرد قائمة، وللمتهم حق دفع التهم عن نفسه في الاسلام،

---

١ سورة النساء. الآية: ١٤٨

٢ سورة يوسف. الآية: ٢٥.

ولا يجوز أن يعذب المتهم حتى تنزع منه الاعترافات، كما يحدث في كل الأنظمة الوضعية، فلا اكراه في الاعتراف ولا قسر ولا ضغط.

ويضع الاسلام الضمانات التي تكفل صدق شهادة الشهود، والخطأ في البراءة خير من الخطأ في الادانة، لقوله عليه الصلاة والسلام «ادرأوا الحدود عن المسلمين ما استطعتم، فإن وجدتم للمسلم مخرجاً فاخلوا سبيله، فإن الامام لإن يخطئ في العفو خير من أن يخطئ في العقوبة»[1].

التكافل الاجتماعي في الاسلام وأثره في منع الجريمة:

وتنطوي النظم الاسلامية على كثير مما يقي المجتمع من شر الجريمة، ومن ذلك فرض الزكاة لقوله تعالى ﴿وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾[2].

وللزكاة وظائف كثيرة ايمانية، ونفسية، واجتماعية، واقتصادية، ونضيف وظائف أمنية، فهي ولاشك تطهير للنفس من البخل والشح والطمع، وضمان لتحقيق التكافل الاجتماعي والتضامن، والاخاء، وتقوية الروابط العاطفية بين الأغنياء والفقراء، وازالة مشاعر الحسد من نفوس الفقراء تجاه الأغنياء وتزكية مشاعر العطف لدى الأغنياء نحو الفقراء، وفوق ذلك فهي تسد رمق الفقير، وتمنعه من السرقة، أو السلب والنهب وللزكاة وظيفة أمنية

---

١ رواه الترمذي.

٢ ـ سورة المزمل. الآية: ٢٠.

وتمنح الزكاة للفئات الآتية: «الفقراء، المساكين وهم أخف وطأة من الفقراء، العاملون عليها، وهو الجابي لها، والمؤلفة قلوبهم لكي تؤلف قلوب ضعيفي الايمان ليعم نفعهم ويكف شرهم، وفي الرقاب أي في سبيل عتق الرقاب بالنسبة للعبيد، والغارمون أي الشخص الغارم المديون والعاجز عن سداد ديونه، وفي سبيل الله كالجهاد في سبيل الله وأعمال الخير، وتعطى للغازي مثلاً، وابن السبيل وهو المسافر البعيد عن بلده لسد حاجاته في اغترابه». . وهكذا تشمل طوائف متعددة من أبناء المجتمع وتحقق أغراضاً شتى كلها تؤدي الى مزيد من التماسك الاجتماعي والوحدة الاجتماعية، وتدل الاحصاءات على أن جرائم السرقة تكثر بين الفقراء، فالزكاة مانعة للجريمة ودافعة لقوة الايمان وتأليف القلوب وسبيل التحرر من الرق والعبودية ولمساعدة أرباب الديون وحمايتهم من الافلاس كما تحمي من جرائم التشرد.

أثر الفرائض في منع الجريمة:

الفرائض الاسلامية ذات آثار طيبة على سلوك الفرد وشعوره، وايمانه وتقواه، وخشوعه كما في الصيام الذي يحقق كثيراً من الفوائد الروحية والخلقية والاجتماعية والصحية والنفسية والامنية فهي تقوي قدرة الفرد على الصبر، والجلد، والاحتمال، وضبط النفس، والتحكم في الانفعالات وفي الشهوات والملذات، وكافة الدوافع الانسانية، ويقوى في الانسان ملكة التقوى، وهي الغاية البارزة من الصيام، كما في قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم الصيام كما

كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون﴾[1]

ومن آثاره الطيبة على الحياة الاجتماعية أنه يعود الناس النظام والاتحاد والتوحد وحب العدل والمساواة، ويكون في نفس المسلم عاطفة الرحمة والشفقة بالفقراء فيشعر بما يشعرون به من الفقر والعوز والحرمان والجوع والألم فالصيام من وسائل الضبط الاجتماعي ومن موانع الجريمة، ويحرر المجتمع من المفاسد والفسوق والشرور.

فالمسلم لا يصوم عن الطعام والشراب، وحسب ولكنه يصوم عن الفحشاء، والخبائث والفسوق، والرفث، والغيبة والنميمة، والسرقة والزنا، والكذب والرياء والنفاق والضلال، والظلم والبطش والعدوان والانتقام والحقد والغل والحسد. وكافة المعاصي والآثام ومن شأن تجربة الصيام الصادقة أن ينتقل أثرها الى حياة الفرد عامة، وعلى امتداد عمره كله.

وتنطق التعاليم الاسلامية بكل ما يصون الفرد والجماعة، فالحج مثلاً تطهير للنفس مما بها من شوائب وذنوب كما في قول النبي عليه الصلاة والسلام«من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق، خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمه». متفق عليه.. وفي تجمع المسلمين من شتى بقاع الأرض تنمية لمشاعر الانتماء والتوحد والشعور بالمشاركة الوجدانية، ومن ثم طرد مشاعر الغل والحقد والحسد والغيرة والانتقام والثأر من نفس المسلم فلا يغترف المعاصي أو الذنوب أو الجرائم.

---

١ سورة البقرة، الآية: ١٨٣.

ومن حكم الأضحية أنها تقرب لله تعالى ﴿فصل لربك وانحر﴾[1] ولقوله تعالى ﴿قل ان صلاتي ونسكي ومحياي ومماتي لله رب العالمين ولا شريك له﴾..[2]

ومن آثار الأضحية الاسلامية أن فيها توسعة على العيال في أيام العيد، ونشر الرحمة والشفقة والعطف على الفقراء والمساكين والمحتاجين.. ولقد فرض الله تعالى على المؤمنين الجهاد، ويؤدي الجهاد الى استتباب الأمن واستقرار أحوال الدولة والمجتمع.. وللجهاد أنواع منها جهاد الكفار والمعتدين ويتصف الجهاد في الاسلام بالشمول والتنوع، فهو باليد والمال، واللسان والقلب كما في قول رسولنا الكريم (ﷺ) «جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم».. رواه الامام أحمد.

وهناك جهاد الفاسقين، وجهاد الشيطان واغراءاته ثم جهاد النفس وهو الجهاد الأكبر لحملها على الطاعة والعفة، والزهد، والبعد عن الهوس، والشهوات، والملذات والأطماع، والتقرب الى الله عز وجل وطاعته.

ويؤدي الجهاد الى دفع كل مظاهر العدوان والشر والمحافظة على أموال الناس وأرواحهم وأعراضهم وأوطانهم، والى تحقيق العدالة والحق، ونشر الخير والفضيلة، وذلك كما في قوله تعالى

---

١ سورة الكوثر. الآية: ٢

٢ سورة الأنعام. الآية: ١٦٢.

﴿وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله﴾[2] وتربية المسلم على قيم الجهاد وتنمي فيه روح الشجاعة والبسالة والاقدام والتضحية وهي من السمات المانعة للجريمة

فتحقيق سلام المجتمع وأمنه من ضروب الجهاد في سبيل الله ولذلك فإن أجهزة الأمن مهما بلغت من قوة لا يمكن أن تؤدي رسالتها على الوجه الأكمل الا اذا تضافر معها الشعب وتعاون واياها وساندها بكل قوة واخلاص.

السمات الاسلامية المانعة للجريمة:

يؤمن المسلم بوجوب طاعة ولاة أمور المسلمين وتعظيمهم واحترامهم، والجهاد معهم، والتعاون واياهم، والصلاة خلفهم، ويحرمه الخروج عليهم.. وبالطبع يكمن في طاعة ولاة الأمر البعد عن الجريمة والانحراف والشذوذ ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾.[3]

وكذلك قول النبي (ﷺ) «اسمعوا وأطيعوا وان تأمر عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» رواه البخاري. وقوله عليه السلام

---

٢ ـ محمد فؤاد عبدالباقي. المعجم المفهرست لألفاظ القرآن الكريم. المرجع السابق.

٣ سورة النساء. الآية: ٥٩.

«من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني». . رواه البخاري.

ولكن هذه الطاعة في الاسلام ليست طاعة عمياء أو تسلطية، وانما هي طاعة فيما أمر الله به، فلا طاعة في معصية الله لقول رسول الله (ﷺ) «ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق». رواه الامام أحمد. . بل ان الخروج على ولاة الأمر يعد جريمة في حد ذاتها. . ويحرم الاسلام شق عصا الطاعة على ولاة المسلمين حتى لا يحدث شقاق وخصام وانقسام وتمزق في داخل المجتمع، ولذلك يقول النبي (ﷺ) «من كره من أميره شيئاً فليصبر فإنه من خرج من السلطان شبراً مات ميتة جاهلية» متفق عليه، وقوله (ﷺ): «من أهان السلطان أهانه الله» رواه الترمذي.

بل إن الاسلام أوجب على المسلم تقديم النصيحة للأمراء. . فالدين النصيحة لله تعالى، ورسوله الكريم، ولائمة المسلمين، وعامتهم، بل ان ارتكاب الوالي للمعصية لا يعد مبرراً للخروج عليه فهو مسئول عن نفسه وعن سلوكه

ويدعو الاسلام للتماسك والاتحاد ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا﴾[1]

---

١ ـ سورة الأنفال. الآية: ٤٦.

الفصل الحادي عشر
الأمان النفسي والاجتماعي والاقتصادي
في التشريع الاسلامي

مزايا النظام العقابي الاسلامي:

يمتاز النظام العقابي الاسلامي بالحزم في معاملة المجرمين، وخاصة مجرمي الجنايات، أي التعدي على الانسان بإزهاق روحه، أو اتلاف بعض أعضائه، أو اصابته بجرح في جسده، والجناية على النفس محرمة لقوله تعالى ﴿ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم خالداً فيها، وغضب الله عليه ولعنه وأعد له عذاباً عظيماً﴾.[1] وقوله تعالى ﴿ياأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص في القتلى﴾[2] وعقوبتها القصاص ﴿وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس، والعين بالعين، والأنف بالأنف والأذن بالأذن، والسن بالسن، والجروح قصاص﴾[3] أما القتل شبه العمد فعلى الجاني الدية والكفارة ﴿ومن قتل مؤمناً خطأ فتحرير رقبة مؤمنة ودية مسلمة الى أهله، الا أن يصدقوا﴾[4] أما القتل الخطأ فيه الدية مخففة والجاني غير آثم.

---

١ سورة النساء. الآية: ٩٣

٢ سورة البقرة. الآية: ١٧٨

٣ ـ سورة المائدة. الآية: ٤٥.

٤ ـ سورة النساء. الآية: ٩٢

ويضع الاسلام شروطاً دقيقة لتطبيق العقوبات على الجاني، منها أن يكون المقتول معصوم الدم فلا يكون زانياً ولا كافراً، ولا مرتداً لأن دم هؤلاء مهدور بحكم جريمتهم كما يشترط أن يكون القاتل مكلفاً أي بالغاً وعاقلاً. وليس مجنوناً أو صغيراً لقول الرسول عليه السلام «رفع القلم عن ثلاثة»: الصبي حتى يبلغ، والمجنون حتى يفيق، والنائم حتى يستيقظ» رواه الترمذي. ويجب أن يكافىء المقتول القاتل فلا يقتل حر بعبد أو مؤمن بكافر. وألا يكون القاتل والداً أو والدة للمقتول أو جداً أو جدة له يقول الرسول عليه السلام «لا يقتل والد بولده» رواه الترمذي.

ولا يطبق القصاص اعتباطاً ولكنه يخضع لشروط عادلة فيخير بين القصاص والدية أو العفو، ولابد أن يجمع أصحاب الدم على القصاص، فإن عفا بعضهم فلا يطبق القصاص فأما الذين لم يعفوا فلهم نصيبهم من الدية فقط.

وان كان الجاني امرأة حاملاً فلا تقتل وفي بطنها جنين، حتى تلد وتفطم ولدها، وينبغي أن يكون الاستيفاء بحضور الوالي أو نائبه، حتى لا يحدث جور أو ظلم أو اجحاف وأن يكون بآلة حادة حتى لا يتعذب الجاني أزيد من اللازم.

ويخير صاحب الحق بين القصاص والدية والعفو، وإن كان يشجع على العفو لقوله تعالى ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله﴾[1]

---

١ سورة الشورى. الآية: ٤٠.

ولا يجوز في الاسلام قتل غير القاتل نفسه، فإذا مات القاتل لا يقتل غيره، فالجريمة شخصية في الاسلام.

وفي قصاص الأطراف والعاهات لا يقتص بجرح الرأس الذي يصل الى العظم، وكذلك جرح العين، أو الوجه، أو كسر العظم، نظراً لخطورته فتوجب فيه الدية.

ولمنع الجرائم الجماعية التي يشترك فيها جماعة من المجرمين يطبق الحد على كل منه على حد سواء فتقتل الجماعة بالواحد، وتؤخذ عدة أطراف بطرف واحد، فلقد قتل عمر سبعة أشخاص من أهل صنعاء كانوا قد قتلوا شخصاً واحداً.[1]

ويعاقب المجرم على ما تتركه جريمته على المجني عليه من آثار، فإذا قطع المجرم اصبع شخص ما، ثم لم يندمل أو يبرأ هذا الأصبع، وأدى الى اتلاف اليد كلها، كان القصاص من اليد كلها. وتتخذ كافة الاحتياطات اللازمة قبل ثبوت التهمة الجنائية، فلابد من الاعتراف أو من شهادة عدلين، فإذا كانت جناية قتل. فإنها تثبت بأحد الأمور الآتية:

أ الاعتـــراف.

ب شهادة عدلين.

جـ ـ القسامة إن كانت هناك «لوث» أي عداوة ظاهرة بين القاتل

---

١ أبوبكر جابر الجزائري. منهاج المسلم. كتاب عقائد وآداب وأخلاق وعبادات ومعاملات، دار الفكر. بيروت: ١٩٦٩م.

والمقتول، واذا لم تكن هناك عداوة بين القتيل والمتهم، وانما شهد شاهد واحد بأنه قتله، وهنا تتعين القسامة وهي حلف أولياء الدم أو الورثة من الرجال دون النساء خمسين يميناً موزعة عليهم بحسب ارثهم، على أن المتهم قتله، فإن حلفوا فيقاد لهم منه أو يأخذون منه الدية، وان نكل بعضهم سقط حقهم، وحلف لهم المتهم خمسين مرة بأنه بريء.

فحقوق الجاني مكفولة في ظل النظام العقابي الاسلامي، ولابد من تحري الدقة في الأدلة الثبوتية، أو في أدلة البراءة حتى لا يظلم أحد، وحتى لا يهدر دم ويضيع هباءً.

أثر الحدود في مكافحة الجريمة:

وضع الاسلام الحدود، ويقصد بالحد المنع من فعل ماحرمه الله تعالى بواسطة فرض العقاب كالضرب أو الجلد أو القتل.. فالخمر محرم قليله وكثيره، وملعون شاربها وصانعها وبائعها، وكان الرسول عليه السلام يقيم الحد على شاربها في فناء المسجد، ليكون عبرة لغيره، ويفرض الحد في حالة ثبوت الجريمة، بالاعتراف أو بشهادة عدلين وذلك بجلد المتهم ٨٠ جلدة، ان كان حراً و ٤٠ جلدة ان كان عبداً لقوله تعالى ﴿فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب﴾..[1] والحكمة من تحريم الخمر المحافظة على الدين، وعلى

---

١ ـ سورة النساء، الآية: ٢٥.

صحة الفردُ الجسمية والعقلية والنفسية، وعلى علاقاته الاجتماعية، وعلى أسرته، وللمحافظة على المجتمع كله من التدهور والضعف وقلة الانتاج ومن الجريمة والانحراف والشذوذ.. وتحقيقاً للعدالة وتحقيقاً لتأثير الضرب، فإن الحد لا يقام على المتهم وهو سكران كما لا يقام عليه وهو مريض. كما لا يقام في البرد الشديد أو الحر الشديد، بل حين اعتدال الجو، ويقام حد واحد للشرب عدة مرات، فإذا تكرر الشرب تكرر الضرب ضماناً لاستمرارية الردع حتى يكف المدمن عن الشرب.

ويحرم الاسلام جريمة القذف، وهو الرمي بالفاحشة، أو الزنا، وهو كبيرة من الكبائر يستحق مرتكبها الحد، وسقوط العدالة لقوله تعالى ﴿والذين يرمون المحصنات ثم لم يأتوا بأربعة شهداء فاجلدوهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً، وأولئك هم الفاسقون الاّ الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم﴾[1]..

وحد القذف ٨٠ جلدة أيضاً بالسوط. ومن حكمته المحافظة على كرامة المسلم، وعلى عرضه، وعدم اشاعة الفواحش، وانتشار الشائعات ضد الناس بالباطل.. ومن شروط اقامة حد القذف أن يكون القاذف مسلماً عاقلاً بالغاً وأن يكون المقذوف في حقه عفيفاً غير معروف بين الناس بالفاحشة، وأن يطالب المجنى عليه بإقامة الحد عليه اذ هو حق له ان شاء أقامه وإن شاء عفا عنه

---

١ ـ سورة النور. الآية: ٤.

ويحذر الاسلام من ارتكاب جريمة الزنا، والزنا هو الوطء في قبل أو في دبر وهو من أكبر الذنوب بعد الكفر والشرك وقتل النفس لقوله تعالى ﴿ولا تقربوا الزنى انه كان فاحشة وساء سبيلاً﴾[1] وحده كما جاء في الآية الكريمة هو ﴿والزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة﴾. [2] وقال الرسول عليه الصلاة والسلام «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن» رواه مسلم. . وقال (ﷺ) في أعظم الذنوب «ان تزاني بحليلة جارك». رواه البخاري.

ولقد حرم الزنا للمحافظة على مهارة المجتمع الاسلامي وصيانة أعراض المسلمين وطهارة نفوسهم، والمحافظة على كرامتهم ونقاء أنسابهم.

ولا تتصف عقوبة الزنا بالعمومية، ولكنها تتوقف على شخصية الفاعل، فإن كان لم يتزوج زواجاً شرعياً فإنه يجلد مائة جلدة، ويغرب عن بلده لمدة عام والزانية غير المحصنة أي غير المتزوجة مثله، الاّ أنها لا تغرب اذا كان في تغريبها مفسدة أكثر وان كان الفاعل عبداً ضرب خمسين جلدة، ولم يغرب لعدم ضياع حقوق سيده عليه. وان كان الزاني أو الزانية محصناً رجم بالحجارة حتى الموت نكالاً من الله تعالى. ولكن يضع الاسلام شروطاً حاسمة لإقامة حد الزنا،

---

١ ـ سورة الاسراء. الآية: ٣٢.

٢ ـ سورة النور. الآية: ٢

منها أن يكون الزاني مسلماً، عاقلاً، بالغاً، مختاراً وغير مكره، لقول رسولنا الكريم «رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه». رواه الطبراني. ويشترط ثبوت واقعة الزنا ثبوتاً قاطعاً لا جدال ولا شبهة فيه، وذلك بالإقرار والاعتراف دون اكراه، أو شهادة أربعة شهود عدول بأنهم رأوا المتهم يزني، وشاهدوا فرجه في فرج المزني بها كالمرود في المكحلة والرشا في البئر (الحبل) اهتداء بقوله تعالى ﴿واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم﴾[1]

أوبظهور الحمل على الزانية دون أن تبرر حدوثه كأن تكون قد اغتصبت، أو أنها تجهل تحريم الزنا، لقول الرسول عليه الصلاة والسلام «ادرأوا الحدود بالشبهات». رواه ابن مسعود. فلابد من اقامة الدليل والبينة القاطعة على حدوث واقعة الزنا. واذا رجع الجاني عن اعترافه لم يقم عليه الحد. ولنشر الوعي العقابي يشترط الاسلام حضور جماعة من المسلمين اقامة الحد لقوله تعالى ﴿وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين﴾[2]

أما حد جريمة اللواط فهو الرجم حتى الموت بلا فرق بين المحصن وغير المحصن لقول الرسول عليه الصلاة والسلام «من وجدتموه يعمل عمل قوم لوط فاقتلوا الفاعل والمفعول فيه». رواه الترمذي. وقد اختلف الصحابة في كيفية الرجم، فمنهم من

---

١ سورة النساء. الآية: ١٥.
٢ سورة النور. الآية: ٢

حرقهم بالنار، ومنهم من ألقى بهم من أعلى منزل في المدينة، ومنهم من رجمهم بالحجارة.

ومن يأتي حيواناً وجب تعزيره بأشد أنواع التعزير، من الضرب والسجن لتقويم انحرافه وفساده وبعده عن الفطرة السوية، أما العبد والأمة فإن حد الزنا بالنسبة لهما هو الجلد فقط دون الرجم.

فالعقوبة في جريمة الزنا نسبية وليس عامة أو مطلقة.. ويقاوم التشريع الاسلامي الجرائم الجماعية أو البغي والظلم والاعتداء، وأهل البغي هم الجماعة ذات القوة والشوكة التي تخرج عن الامام بتأويل من التأويل كأن يدعو كفر الامام أو ظلمه أو حيفه، فيخرجون على طاعته.. ويعالج الاسلام هؤلاء بكثير من الحكمة، فعلى الامام أن يسألهم عما ينقمون منه، وعن أسباب خروجهم عليه، فإن كان هناك ظلم وقع عليهم أو على غيرهم رفعه وان كانت هناك شبهة ما أوضحها لهم وبين لهم وجه الحق فيها، فإن فاؤوا الى الحق قبلت منهم، وان أبوا قوتلوا وجوباً من كافة المسلمين لقوله تعالى ﴿وان طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله﴾[1]

ومن حكمة الاسلام في معالجة هؤلاء انه لا يجوز ابادتهم في الحرب، وانما قتالهم بما يضمن كسر شوكتهم فقط. ولا يجوز قتل نسائهم أو مصادرة أموالهم، كما لا يجوز قتل أسراهم، أو قتل من يهرب منهم، أو الاجهاز على جريحهم كما في قول علي رضي الله عنه

١ سورة الحجرات. الآية: ٩.

في موقعة الجمل ولا يقتلن مدبر، ولا يجهز على جريح، ومن أغلق بابه فهو آمن». رواه البيهقي. واذا انهزموا وانتهت الحرب فلا يقاومهم ولا يطالبون بشيء سوى التوبة والرجوع الى الله تعالى، حتى لا يخلق فيهم الشعور بالظلم الشعور بالتمرد والعصيان والنقمة على المجتمع ويظلون منعزلين عنه منقسمين ولو نفسياً عن بقية المجتمع.

بل ان المرتد عن دين الله تعالى لا يقام عليه الحد الاّ بعد أن يدعى للعودة لدين الله تعالى ثلاثة أيام ويشدد عليه في ذلك فإن عاد للاسلام عفي عنه

والكافر كذلك تترك له الفرصة ثلاثة أيام للتوبة، ومن قال كلمة كفر وهو تحت التهديد أو الضرب أو الاكراه فلا عقوبة عليه، ذلك لأن الأعمال بالنيات.

ويحدد الاسلام عقوبات على الزنديق وهو الذي يتظاهر بالاسلام ويخفي الكفر، وكذلك على الساحر، وعلى تارك الصلاة. ومن مات كافراً فلا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين ولا يورث.

ويضع الشرع حداً أقصى لعقوبة التعزير بمالا يتجاوز عشر ضربات بالسوط لقول رسولنا الكريم «لا يجلد أحد فوق عشرة أسواط الاّ في حد من حدود الله تعالى». رواه البخاري. وقد يكون التعزير بالضرب أو الشتم أو المقاطعة أو النفي. وذلك كله

بقصد التأديب والتهذيب والتربية، وعلى الحاكم أن يمارس فقط العقوبة التعزيرية الضرورية والكافية للردع دون المبالغة أو الفداحة فليس المقصود بعقوبة التعزير الانتقام أو التعذيب.. فقد أدب رسول الله (ﷺ) أباذر بقوله (انك امرؤ بك جاهلية).. رواه البخاري..

ويكفل النظام القضائي كثيراً من الضمانات التي تحقق الأمن النفسي لكافة أطراف النزاع في الدعاوى القضائية، وللقضاء في الاسلام، وظائف تربوية واصلاحية هادفة، فهو لا يقتصر على تنفيذ الأحكام الشرعية، وانما يستهدف بيانها وشرحها للناس للالمام بها، والقضاء فرض على كل وال أن يعين قاضياً ينوب عنه لبيان أحكام الشرع والقضاء بها بين الناس. والزام الرغبة بها، كقول رسولنا الكريم (لا يحل لثلاثة يكونون في فلاة من الأرض الّا أمروا عليهم أحدهم) رواه الامام أحمد.. وعلى القاضي أن يحكم بالحق والعدل بين الناس. ومنصب القضاء من أخطر المناصب وأهمها وأكثرها شرفاً وجلالاً ولذلك فلا يولي القضاء من يطلبه أو يحرص على الحصول عليه لأنه مسئولية كبرى، وأمانة عظيمة في عنق من يتولاه، واذا فسد القضاء في بلد من البلدان فسد الدين والمجتمع والعباد على حد سواء.

ولابد أن تتوفر في من يتولى مناصب القضاء سمات شخصية جيدة وفضائل حميدة منها؛ «الاسلام، العقل، البلوغ، الحرية، العلم بكتاب الله وسنة رسوله، ومعرفة ما يقضي به، وان يتسم

بالعدالة، وأن يكون سميعاً بصيراً ومتكلماً». وعليه ان يكون قوياً غير عفيف، ليناً من غير ضعف، وأن يكون حليماً في غير مهانة حتى لا يتجرأ عليه سفهاء الخصوم، وأن يتسم بالأناة والروية في غير مماطلة ولا اهمال، وان يكون فطناً في غير اعجاب بنفسه، ولا استخفاف بغيره، وأن يكون مجلسه في وسط البلد، يتسع للخصوم والشهود[1] لا يؤثر أحداً من الخصوم وأن يشاور أهل العلم بالكتاب والسنة فيما يشكل عليه من أمور وأن يدعوهم لحضور الجلسات.

وعليه أن يتحاشى الحكم وهو غضبان، أو هو مريض، أو جوعان، أو ظمآن أو متأثر بالحر أو البرد، أو يشعر بالسآمة والكسل، ولا يجوز أن يحكم دون الشهود، أو أن يحكم لنفسه أو لأقاربه. أو أن يقبل الهدايا أو الرشاوى فهو نزيه عفيف قانع..

ومن رسالة القاضي في الاسلام قهر الظلمة والمبطلين، ونصرة أهل الحق والمظلومين، وايصال الحق الى أهله[1] والفصل بين المتخاصمين أو الصلح بينهم، واقامة الحدود، والأمر بالمعروف والزام الناس به، والنهي عن المنكر وتغييره وازالة آثاره، واقامة الجمعة والأعياد فللقضاء وسائل دينية وشرعية واجتماعية وتربوية واصلاحية للحفاظ على أمن المجتمع وسلامته.. ولا يحكم القاضي بعلمه بل يحكم بتوفر الأدلة، بالإقرار أو الاعتراف وشهادة الشهود العدول واليمين.

---

١ أبو بكر جابر الجزائري. منهاج المسلم. المرجع السابق.

١ أبو بكر جابر الجزائري. المرجع السابق.

ويمكن للمرأة المدعى عليها، اذا كانت تخجل من مخاطبة الرجال أو حضور جلسات المحاكم، أن توكل من ينوب عنها حفاظاً على شعور المرأة وكيانها، ولا يطمئن القاضي لشهادة الشاهد الاّ اذا تأكد من عدالة الشاهد، ولا تقام الدعوى من قبيل الظن والشك بل لابد من أن يحدد المدعي طلباته تحديداً قاطعاً وحازماً.

ومن حكمة الاسلام أن حكم القاضي في الظاهر لا يحل حراماً ولا يحرم حلالاً لاحتمال خطأ القاضي لكونه بشراً كما في قول الرسول عليه الصلاة والسلام إنما أنا بشر وانكم تختصمون الي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو ما أسمع، فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه. . . فإنما أقطع له قطعة من نار رواه البخاري.

فحكم القاضي ليس حكماً نهائياً. ولكن المسلم مدعو لاستعمال ضميره الخلقي الحي ليكون القاضي الحقيقي. والقوة الداخلية الذاتية الرادعة، وهكذا يستعين الاسلام بالقضاء وفي نفس الوقت يحكم المسلم نفسه وضميره لإقامة العدالة وبسط الحق بين الناس.

والشهادة من الأدلة الثبوتية ولكن الاسلام يضع شروطا لصحتها، منها أن يخبر الانسان بما رأى أو سمع بنفسه، فلا تقبل الشهادة المنقولة، عن الغير والمسلم مطالب بالإدلاء بشهادته حتى دون أن يدعى لقوله تعالى ﴿ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فإنه آثم قلبه﴾[1]

١ سورة البقرة. الآية: ٢٣٨.

ويشترط في الشاهد أن يكون مسلماً عاقلاً راشداً عدلاً.. والا يكون الشاهد صاحب مصلحة أو منفعة، أو قريباً لأحد الخصوم فلا تقبل شهادة الزوج لزوجته أو الزوجة لزوجها أو شهادة من يدفع عن نفسه ضرراً. أو شهادة العدو على عدوه، ولا تجوز شهادة الخائن ولا شهادة الخادم لسيدة أو التابع لمتبوعه تحاشياً للمحاباة أو الخوف من أرباب النفوذ ويأخذ الاسلام بالأحوط فإن زكى رجلان رجلاً آخر وقالا أنه شاهد عدل، بينما جرح فيه آخران أخذ بفكرة التجريح على جانب العدالة، لأن ذلك الأحوط في اقرار العدالة

ولم يترك الاسلام الشهادة للفرد كيفما شاء، وانما فرض العقوبات الصارمة على شاهد الزور لتأديبه، ليكون عبرة لغيره لنشر العدالة وتربية الناس على حبها واحترامها.

وهكذا.. تضع الشريعة الاسلامية من القواعد والشروط والأحكام ما يكفل شعور المتخاصمين بالأمن النفسي والاطمئنان الى سيادة العدالة ودفع الظلم ورد الحقوق الى أصحابها وعدم اصدار الأحكام الجائرة أو نشر مشاعر الفرقة والانقسام والشحناء بين الناس.

السرقة كبيرة من كبائر لقوله تعالى: ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاءً بما كسبا نكالاً من الله والله عزيز حكيم﴾[1] والسرقة منهي عنها وملعون مرتكبها لقول الرسول عليه الصلاة

---

١ سورة المائدة. الآية: ٣٨

والسلام «لعن الله السارق يسرق البيضة فتقطع يده». رواه البخاري. ولا يمكن أن يسرق السارق وهو مؤمن كما في قوله (ﷺ) «لا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن». رواه مسلم. فالسارق محروم من الايمان. وهي حد من حدود الله لابد وأن يقام الحد على مرتكبها على قدم المساواة لقول النبي (ﷺ) «والذي نفسي بيده لو سرقت فاطمة بنت محمد لقطعت يدها». رواه مسلم. ولكن حد السرقة لا ينفذ الاّ في ضوء توفر الأدلة الثبوتية القاطعة، بالاعتراف الصريح، دون اكراه أو قسر، واذا اعترف السارق ثم عاد وأنكر فلا تقطع يده، استرشاداً بقول الرسول (ﷺ) «ادرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم». ويشترط أن يكون السارق مكلفاً عاملاً بالغاً، فلا يقام الحد على المجنون أو الصبي كما يشترط الاّ يكون السارق والداً لصاحب الشيء أو المال المسروق، ولا ولداً له، ولا زوجاً أو زوجة. كما يشترط الاّ يكون للسارق شبهة ملك في المال المسروق كأن يسرق صاحب الشيء المرهون من المرتهن عنده أو كأن يسرق العامل أجره من صاحب العمل.

ولابد أن يكون الشيء المسروق مباحاً وليس محرماً كالخمر مثلاً. وأن تبلغ قيمته ربع دينار لقول الرسول عليه السلام «لا تقطع اليد الاّ في ربع دينار فصاعداً». رواه مسلم. وأن يكون المال المسروق في حرز كدار أو دكان أو حظيرة أو صندوق ونحو ذلك.

كما لا تقطع اليد في حالة اختلاس المال بالقوة أو الغصب أو

النهب أو الغنيمة لقول الرسول عليه السلام «وليس على خائن ولا على منتهب ولا على مختلس قطع». رواه الترمذي.

والحدود محارم الله تعالى وعلى السارق رد المال أو ما يبقى في ذمته لحين الوفاء به.

ولا يجوز القطع لثمر في شجر، ولا تمر في نخل، وانما على السارق أن يدفع ثمن ما سرق مضاعفاً .. وأن يؤدب بالضرب.. فعقوبة السرقة ليست عامة

وعقوبة قطع اليد اليمنى تؤدي الى أخذ العبرة وتخويف الناس حتى لا يلجأوا الى جريمة السرقة، وبعد أن تقطع اليد من مفصل الكف تغمس في زيت مقلي لسد أفواه العروق لقطع نزيف الدم.. واظهاراً وتحقيقاً للعبرة، يستحب أن تعلق اليد المقطوعة لفترة ما في عنق السارق، أو تعلق في ميدان عام بحيث يراها كل الناس ليعرفوا مصير مرتكب جريمة السرقة.

أما ما يأكله المرء في بطنه فليس عليه شيء من العقاب ولصاحب المال أن يعفو عن السارق، ولكن شريطة أن يكون العفو قبل أن يأتي به الى الوالي، ولا شفاعة في حد من حدود الله لقول الرسول (ﷺ) لأسامة رضي الله عنه «أتشفع في حد من حدود الله». متفق عليه.

وحكم من يسطو على المنازل ويقتل أهلها ويأخذ أموالهم هو حكم المحاربين، وهم نفر من المسلمين يرفعون السلاح في وجوه

الناس، ويقطعون الطرق، ويسطون على المارة ويقتلونهم، ويأخذون مامعهم من أموال بحكم مالهم من قوة وبطش.

وحكم هؤلاء في الاسلام أن يوعظوا وتطلب منهم التوبة فإن تابوا قبلت توبتهم، وان رفضوا التوبة، قوتلوا، ويعد قتالهم جهاداً في سبيل الله تعالى، ومن يقتل منهم فدمه مهدور. ومن قتل من المسلمين في قتالهم فهو شهيد. لقوله تعالى ﴿فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله﴾[1]

واذا قبض عليهم قبل التوبة أقيم عليهم الحد. إما بالقتل أو الصلب أو قطع اليدين أو الرجلين أو النفي، لقوله تعالى ﴿انما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض﴾[2]

فحجم عقوبة هؤلاء متروك للوالي ويرى بعض الفقهاء أنهم يقتلون اذا قتلوا وتقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف اذا سرقوا، وينفون أو يسجنون اذا لم يهدروا دماً ولا مالاً حتى يتوبوا[3]

ولكن توبتهم لا تعني ضياع حقوق العباد، فإذا ما تابوا قبل أن يحكم عليهم، واذا تركوا الحرابة من أنفسهم، وسلموا أنفسهم

---

١ سورة الحجرات. الآية: ٩

٢ - سورة المائدة. الآية: ٣٣.

٣ أبوبكر جابر الجزائري. المرجع السابق.

للسلطان، سقط عنهم حق الله تعالى، وبقيت عليهم حقوق العباد، ويصبح عليهم أن يضمنوا الأموال، ويقادوا في الأرواح مالم تقبل منهم الدية أو يعفى عنهم لقوله تعالى ﴿الا الذين تابوا من قبل أن تقدروا عليهم فاعلموا أن الله غفور رحيم﴾[1]

وقد يدفع عنهم الامام ما أخذوا من أموال ان لم يكن لديهم شيء فالحقوق مصانة وباب التوبة مفتوح، والرغبة في الحفاظ على تماسك الجماعة ووحدتها قائمة

١ سورة المائدة. الآية: ٣٤.

الفصل الثاني عشر
دور الاسلام في تحقيق التماسك الأسري

هناك إجماع بين علماء النفس والتربية والاجتماع والاجرام على أن للظروف الأسرية التي يتربى الطفل في كنفها آثاراً نفسية قوية على شخصية الطفل والمراهق وعلى سلوكه وتكيفه الاجتماعي والنفسي والعلمي والمهني والخلقي. فالبيوت المحطمة ينحدر منها الأحداث الجانحون.

يؤدي الرجوع الى طفولة المجرمين كبار السن الى التحقق من أنهم كانوا غير سعداء في طفولتهم، وأنهم تعرضوا للنبذ، والطرد والحرمان، والقسوة والشدة، أو الاهمال، أو التدليل الزائد، وترك الحبل على الغارب للطفل. ولاشك أن جو الخصام والشجار بين الوالدين في المنزل ينعكس أثره على نفسية الطفل وعلى شخصيته.

وتسعى النظم الاسلامية لتكوين الأسرة السوية وتحدد أصول العلاقات الأسرية تحديداً عادلاً يضمن توفير المناخ الصحي للأطفال ولجميع أفراد الأسرة، ويحميها من التفكك والانهيار، ومن الصراع العلني أو الخفي. ولا يخفى أن الصراع الخفي بين الوالدين لا يقل تأثيراً عن الصراع الصريح.

وخوفاً من انتشار الفتنة والفساد، وتعرض المرأة لحالة التعنس، فإن الاسلام يدعونا للزواج والإشباع الحلال، وتكوين الأسرة، كما

في قوله تعالى ﴿فانكحوا ماطاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم ألاّ تعدلوا فواحدة أو ماملكت ايمانكم﴾[1] وقوله تعالى ﴿وانكحوا الأيامى منكم والصالحين من عبادكم وامائكم﴾[2] ويشترط للزواج أن يكون الشاب قادراً على الاعالة والانفاق حتى لا تتعرض الأسرة للعوز والحرمان والتشريد لقول الرسول الكريم مخاطباً الشباب «يامعشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج» رواه البخاري.

وفي التشجيع على الزواج وهو مانع لجرائم الجنس وجرائم التشرد قول نبينا الكريم «تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» رواه الامام أحمد. ويحقق الزواج الاسلامي السعيد للشاب جواً من الاستقرار والتعاطف ويبعده من الجريمة

ويزيل الاسلام العقبات أمام راغبي الزواج، فلا مغالاة في المهور ونفقات العرس. ولكن التواضع والتعقل يسودان التقاليد الاسلامية كما في هدي الرسول (ﷺ) «التمس ولو خاتماً من حديد» متفق عليه، وذلك حتى لا تقف الامكانات المادية حائلاً دون تكوين الأسرة والاشباع الحلال والحرمان مما يحققه من السكينة والمودة والتآلف والانجاب. وغيرها.

وللزواج آداب تحدد العلاقة بين الزوجين على أساس من قيم

---

١ سورة النساء. الآية: ٣.

٢ سورة النور. الآية: ٣٢.

المعروف، والاحسان، والرحمة والسكينة، والهدوء، والاستقرار، والاحترام المتبادل، والعطف والحنان، والتعاون والطاعة والعدل والترابط.

للعقد شروط معقولة، بحيث لا تحلل محرماً ولا تحرم حلالاً، وذلك لصيانة حقوق الطرفين، وضماناً لاستمرار العلاقة الزوجية السوية التي توفر المناخ الصحي للأطفال والمراهقين.

ويحدد الاسلام حقوق كل من الزوج والزوجة على أساس عادل ومنصف كما في قوله تعالى ﴿ولهن مثل الذي عليهن بالمعروف﴾[1] ولقول الرسول عليه الصلاة والسلام «ان لكم من نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً». رواه الترمذي.

والزوج مطالب بالانفاق على زوجته، واعالتها، وكسوتها واسكانها بالمعروف وعليه أن يطأها على القليل مرة كل أربعة أشهر، وأن يبات في منزلها على القليل مرة كل أربع ليال، وأن يعدل بينها وبين زوجاته، ان كان له زوجات أخريات، وأن يقيم معها يوم زواجه منها سبعاً ان كانت بكراً، وثلاثاً ان كانت ثيباً. ولها أن تزور أقاربها اذا كانت زيارتها لا تضر، وعليه أن ينصحها ويؤدبها ويعلمها أمور دينها، وللزوج على زوجته حق الطاعة في غير معصية الله، وألا تخرج من بيته الاّ بإذنه لقول النبي (ﷺ) «خير النساء التي اذا نظرت اليها أسرتك، واذا أمرتها أطاعتك، واذا غبت عنها حفظتك في نفسها

---

١ سورة البقرة. الآية: ٢٢٨.

ومالك». رواه أبوداود، وله أن يطلبها للسفر معه، وألاّ تصوم الاّ بإذنه، وأن تقدم نفسها له اذا طلبها.

ولقد حدد الاسلام الانكحة الفاسدة ومنها نكاح المتعة والعدة، ونكاح المحرمات والمحلل والشغار، والنكاح بلا ولي، ونكاح الكافرة. ودعا الى تفضيل ذات الدين والخلق الى جانب الجمال والحسب والنسب.

وفي حالة الضرورة القصوى التي تدعو للطلاق، فيكون بالمعروف والاحسان وليس بالعنف والخصام والمعارك التي تدور بين أسرة الزوجين، ﴿الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح بإحسان﴾[1]

والطلاق هو أبغض الحلال الى الله، والمسلم مطالب بتحاشيه بكل الطرق، وذلك حماية للأطفال من التشرد والضياع، وللأسرة من التفكك والانهيار. وحفاظاً على صلة الرحم والمحافظة على كيان الأسرة أوجب الاسلام النفقة على القادر وهي:

١ نفقة الزوجة.
٢ نفقة المطلقة.
٣ نفقة الأبوين لقوله تعالى ﴿وبالوالدين احساناً﴾[2]
٤ الأولاد الصغار.
٥ الخادم على سيده.

---

١ سورة البقرة. الآية: ٢٢٩.
٢ ـ سورة النساء. الآية. ٣٦

٦ البهائم لقول النبي (ﷺ) «عذبت امرأة في هرة حبستها حتى ماتت فدخلت فيها النار». وكذلك يدعو الاسلام للتمسك بصلة الأرحام وتوثيق عرى الأسرة وروابطها، وينظم الاسلام حضانة الاطفال على أجسامهم، وعقولهم، وأديانهم، وهي حق للصغار وبعد بلوغ الصبي السابعة ينقل الى حضانة الرجال حتى يشب على النموذج الرجالي، ويتربى على قيم الرجال، ويتعرف على بقية أفراد أسرته من أقارب العصبة، ومع تقرير الحضانة، بما يحقق مصلحة الطفل سواء كان في يد الأم أو الأب، فقد شرع الاسلام حق الرؤية حتى لا تنقطع صلة الأرحام ويفقد الطفل الاتصال والتعارف على والديه على حد سواء.

كذلك يحدد الاسلام نظام المواريث حتى لا تشب الخلافات على توزيع التركات وتنشأ الخصومات.

تنظيم المواريث وأثره في تماسك الأسرة والمجتمع:

لم يترك الاسلام الميراث بلا تنظيم حتى لا يكون مثاراً للقلاقل والصراع والمنازعات، ومن ثم جرائم الاغتصاب، أو تعريض الصغار للتشرد والضياع، وذلك بنص القرآن الكريم ﴿للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون مما قل منه أو كثر نصيباً مفروضاً﴾[1]

---

١ سورة النساء. الآية: ٧.

وكما في قوله تعالى ﴿يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الأنثيين﴾[1] ولقول الرسول الكريم «ان الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث» رواه البخاري. وينطوي نظام المواريث في الاسلام على حكم بالغة منها إعطاء الذكر ضعف نصيب الأنثى، حتى يتمكن من اعالة غيره ممن يحتاجون الى اعالته كالأم أو الأب أو الأخت، وفي نفس الوقت لم يحرم الأنثى حقها في الميراث، ولم يجعله حقاً للابن الذكر الأكبر، كما تفعل بعض التشاريع الغربية، وتحرم بقية الأخوة والأخوات، وقد يستغل هذا الأخ الأكبر غيره، وانما لكل نصيب عادل من التركة، وبذلك يسد الاسلام باباً من أبواب الشقاق الأسري والصراع الاجتماعي بهذا التنظيم العادل والدقيق، وبإلغاء الوصية للوارث يقضي بذلك على تمييز شخص على آخر من الورثة حتى لا يزرع بذور البغضاء والشحناء في النفوس.

ويعتبر نظام المواريث الاسلامي نظاماً واعياً فهو ليس مطلقاً ولكنه يحرم الكافر «لا يرث الكافر المسلم ولا المسلم الكافر» رواه مسلم. . وكذلك يحرم منه القاتل والرقيق وابن الزنا أيضاً لا يرث ولا يورث.

وبالمثل لا يرث ولا يورث ابن اللعان قياساً على ابن الزنا «أي في حالة ما ينفي الرجل حمل امرأته وينكر أنه منه» وكذلك الطفل الذي يولد ميتاً لا يرث والده أو والدته

---

١ سورة النساء. الآية: ١١.

التعاليم الاسلامية المنظمة للبيوع:

وتمنع تعاليم الاسلام الحنيف في البيوع من انتشار جرائم الغش، وللبيوع أركان خمسة كلها مانعة لجرائم الغش والتدليس والسرقة والتزوير، فمن أركانه أن يكون مالكاً للشيء المبيع، وأن يكون رشيداً ولا يجوز البيع بالنصب والاحتيال كبيع شيء غير موجود، أو غير صالح للاستعمال أو غير ناضج، ولا يصح البيع الا برضاء الطرفين وقبولهما، وينبغي أن يكون مطابقاً للشروط والأوصاف الواردة في نصوص العقد.

ولا خلابة أي لا خديعة في البيع، كأن يبيع الرجل رجلاً آخر شيئاً بعشرة أضعاف ثمنه مثلاً.. واذا ظهر غش أو تدليس في البيع أصبح للمشتري حق فسخ العقد، كأن يظهر البائع الجزء الطيب من السلعة، ويخفي الجزء الفاسد، أو يمتنع عن حلب الشاة حتى تظهر ممتلئة الضرع فيقبل الناس على شرائها، مصداقاً لقول الرسول عليه السلام من غشنا فليس منا.. رواه مسلم.

ولقد نهى الاسلام عن البيوع المؤدية الى أكل أموال الناس بالباطل، وعن الغش الذي يؤدي الى اثارة الأحقاد، وانتشار المنازعات والخصومة بين المسلمين ولا ينبغي أن يطلب المسلم شراء سلعة اشتراها أخوه المسلم، بأن يزيد في ثمنها لقوله (ﷺ) لا يبع بعضكم على بيع بعض. رواه البخاري.

ولا يجوز في الاسلام التغرير بالمشتري كأن يتظاهر الفرد بأنه

يريد شراء سلعة ما، ويحدد لها ثمناً عالياً فيأتي المشترى الحقيقي مخدوعاً بنفس الثمن لقول رسول الله (ﷺ) ولا تناجشوا.

ويرتبط البيع والشراء بالقيم الخلقية الأصيلة التي تبعدهما عن النزاع والأحقاد، وعن نشر الفساد، فلا يجوز بيع الأشياء الفاسدة أو النجسة أو المؤدية الى الفساد كالخمر، ولحم الخنزير، ولا الميتة والأصنام كذلك لا يجوز بيع السمك وهو في الماء، ونحو ذلك لابعاد شر الغش والخداع والنصب في هذا النشاط التجاري الذي يتسم بالقيم الخلقية كالأمانة والصدق ومراعاة المصلحة العامة ويشجع الاسلام أبناءه على الحياة الشرعية، ولذلك مثلاً يحرم الربا حتى لا يؤكل مال المسلم بالباطل والغش ويفلس، مع توجيه المسلم للاستثمار الشريف، ولإبعاد العداوة والبغضاء والحقد والكراهية والبغض بين المسلمين وهي من الدوافع النفسية للجريمة

ومن القيم الايجابية تشجيع القرض المحسن، وانتظار ليسرة المسلم أو إنظار المعسر، ففي ذلك تدعيم لمشاعر المودة بين المسلمين، ولروح الاخاء والصفاء والمحبة، وكلها من المشاعر النفسية المانعة لارتكاب الجرائم.

ومنعاً للتلاعب وضماناً لصيانة حقوق البائع والمشتري، نص الاسلام على نظام بيع السلم بكتابه عقد تحريري يحدد فيه اسم البائع والمشتري ووصف الشيء المبيع، وتحديد الثمن والموعد الذي يتم التسليم فيه.. وغير ذلك.

وبالمثل حددت الشريعة أحكاماً للشفعة والاقالة أي فسخ العقد، وتكوين الشركات، والمضاربة، والمساقاة، والمزارعة، والاجارة، والجعالة، وحوالة الدين من ذمة الى ذمة وكذلك الوديعة وكذلك الضمان والكفالة والرهن، والوكالة والصلح بين الخصوم والاعارة.

وحرم الاسلام الاغتصاب لقوله تعالى ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾[1] وقول رسولنا الكريم «الا أن دماءكم وأموالكم عليكم حرام».. رواه البخاري.. وقوله عليه الصلاة والسلام من اقتطع من الأرض شبراً ظلماً طوقه يوم القيام من سبع أرضين».. رواه مسلم. وفي كثير من مجتمعاتنا العربية تنتشر جرائم اغتصاب الأراضي والمنازل والشقق مما يثير فوضى بين الناس، والشعور بعدم الأمان، كما وضع الاسلام قواعد في الحجر على الأشخاص والتفليس، كما في حالة الجنون والمرض والسفه والتبذير، وهناك قواعد واضحة للوصية والهبة والوقف.

---

١ ـ سورة البقرة. الآية: ١٨٨

الخاتمـــــــة

مبادىء عامة للوقاية من الجريمة:

هناك كثير من المبادىء التي يمكن تطبيقها للوقاية من شر الجريمة وانتشارها ولاشك أن هذه المبادىء تبدأ منذ ميلاد الطفل، بل ترتد الى الوراء للاهتمام بالأم الحامل في فترة الحمل حتى لا تلد طفلاً مشوهاً أو ضعيف العقل أو مريضاً مرضاً عقلياً يوديء به بعد ذلك للجريمة والانحراف وتصاحب هذه المبادىء الفرد في شتى مراحل عمره طفلاً ومراهقاً وشاباً وشيخاً، كما تتناول كافة جوانب حياته العلمية والمهنية والروحية والخلقية والاجتماعية والأسرية، وتشمل كذلك النظم الشرعية الكفيلة بمنع الجريمة والانحراف وردع المجرمين والخارجين عن المجتمع.

على الرغم من اتساع آفاق موضوع أسباب الجريمة والانحراف، وعلى الرغم من حاجتنا الى المزيد من الدراسات الاّ أننا نستطيع أن نضع الخطوط العريضة لمبادىء الوقاية من التورط في الجريمة والانحراف ومن هذه المبادىء مايلي:

١ ـ توفير فرصة النمو السوي لكل عناصر الشخصية في الطفولة، ذلك لأن جذور الجريمة توجد في أعماق الشخصية منذ التاريخ المبكر للفرد. ويستطيع الآباء منع النزعات غير الاجتماعية في

أطفالهم عن طريق توفير جو انفعالي صحي في المنزل واقامة علاقات ودية مع أطفالهم، وأن يوجهوا نموهم الروحي والديني والخلقي ونمو شخصيتهم وفي هذا الصدد يستطيع أن يلعب المسجد والمدرسة ومنظمات الشبيبة دوراً هاماً.

٢ ـ اكتشاف الاستعداد للجنوح والجريمة اكتشافاً مبكراً لأن الفرد لا يصبح مجرماً بين عشية وضحاها، انما الاجرام ينمو تدريجيا، فمن المحتمل القضاء على النزعات الاجرامية قبل أن يستفحل أمرها عن طريق اكتشافها مبكراً وتوفير الارشاد في المراحل الأولى.

٣ ـ ابعاد العوامل التي تشجع الجريمة، ويتضمن هذا المبدأ ابعاد الأطفال عن البيوت السيئة، وازالة الأحياء الشعبية القذرة، والتوسع في الإمكانات الترويحية، لكي تقدم منافذ مشروعة للأطفال المحرومين، ومن ذلك أيضاً تنظيم الصبية لكل نقص على تأثير الشلل.

٤ ـ فرض سلطان الشرع والقانون بصورةحازمة، وتوفير الاشراف الدقيق، ذلك لأن اغراء ارتكاب الجريمة يقارن بالخوف من العقوبة، فالفرد يتردد في ارتكاب الجريمة اذا تبين أنه سيلقى حتماً عقابه، وفي هذا الصدد نقول إن حسم رجال الشرطة، وقوتهم، وحزم النظام القضائي، يؤثر في اصلاح كثير من الحالات الحدية، ويمنعها من ارتكاب الجريمة.

٥ ـ توفير نظام للاصلاح الحكومي والشرعي فعلى أساس من طبيعة القانون يتوقف ارتكاب الجريمة، فهناك كثير من مرتكبي الجرائم

يفلتون من العقاب بسبب ضعف القانون. ولذلك ندعو لتطبيق شريعة الله في أوطاننا الاسلامية والعربية.

٦ توفير الاخصائيين النفسيين والاجتماعيين في كل المجتمعات البشرية بحيث يساعدون في حل مشاكل الناس قبل استفحالها.

٧ تشديد الحراسات على الأملاك والأموال والمنشآت الحيوية.

٨ وضع رقابة حازمة على المال العام.

٩ قيام أجهزة الاعلام بدورها المنشود في التوعية

١٠ قيام رجال الفكر والقلم بالتنفير من الجريمة ومرتكبها.

المراجـــــع

المراجع العربية:

أبوبكر جابر الجزائري. منهاج المسلم. دار الفكر. الطبعة الخامسة. القاهرة: ١٣٩٢هـ.

أحمد الربايعة أثر الثقافة والمجتمع في دفع الفرد الى ارتكاب الجريمة. دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض: ١٤٠٤هـ.

- بريكان بركي القرشي. القدوة ودورها في تربية النشء. الفيصلية. مكة المكرمة: ١٤٠٥هـ.

البخاري. العلامة أبو عبدالله محمد بن اسماعيل. صحيح البخاري. دار المعرفة. بيروت.

الترمذي. الامام ابن العربي المالكي. صحيح الترمذي. دار الكتاب العربي. بيروت.

- الحافظ أبو عبدالله محمد الذهبي. كتاب الكبائر وتبيين المحارم. مؤسسة علوم القرآن. دمشق: ١٤٠٤هـ.

- الدكتور زغلول راغب محمد النجار. أزمة التعليم المعاصر مكتبة الفلاح. الكويت: ١٤٠٠هـ.

- السيد سابق. فقه السنة. السلام. الحرب. المعاملات. الخدمات الحديثة المجلد الثالث. جده: ١٤٠٤هـ.

الدكتور السيد علي شتا. علم الاجتماع الجنائي. دار الاصلاح السعودية. الدمام؛ ١٤٠٤هـ.
- سيد قطب. في ظلال القرآن. دار الشروق بيروت: ١٤٠٢هـ.
الدكتور صالح بن عبدالعزيز آل منصور. موقف الاسلام من الخمر. الطبعة الثالثة. دار النصر للطباعة الاسلامية. القاهرة: ١٤٠٥هـ.
الدكتور صلاح عبدالمتعال. التغير الاجتماعي والجريمة في المجتمعات العربية. مكتبة وهبة. القاهرة: ١٤٠٠هـ.
الدكتور عبدالرحمن العيسوي. سيكولوجية الخرافة. دارالنهضة العربية. بيروت: ١٤٠٤هـ.
- الدكتور عبدالرحمن العيسوي. الآثار النفسية والاجتماعية للتلفزيون العربي. دارالنهضة العربية. بيروت. ١٤٠٤هـ.
الدكتور عبدالرحمن العيسوي. النمو الروحي والخلقي. الهيئة المصرية العامة للكتاب. الاسكندرية: ١٩٨٠م.
الدكتور عبدالرحمن العيسوي. علم النفس علم وفن. دار المعارف. مصر: ١٩٨٠م.
- الدكتور عبدالرحمن العيسوي. علم النفس بين النظرية والتطبيق. دار الكتاب الجامعية الاسكندرية.
الدكتور عبدالرحمن العيسوي. العلاج النفسي. دارالنهضة العربية بيروت: ١٤٠٤هـ.
- الدكتور عبدالرحمن العيسوي. دراسات سيكولوجية. دار المعارف. مصر؛ ١٩٨١م.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. معالم علم النفس. دارالنهضة العربية. بيروت: ١٤٠٤هـ.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. علم النفس الفسيولوجي. دارالمعرفة الجامعية الاسكندرية: ١٩٨٥م.

- الدكتور عبدالرحمن العيسوي. سيكولوجية الشباب العربي. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية: ١٩٨٥م.
- الدكتور عبدالرحمن العيسوي. علم النفس الاجتماعي. دارالمعرفة الجامعية الاسكندرية: ١٩٨٥م.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. علم النفس في الحياة المعاصرة. دارالمعارف. مصر؛ ١٩٨٠م.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. سيكولوجية التنشئة الاجتماعية دارالفكر الجامعي. الاسكندرية: ١٩٨٥م.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. سيكولوجية الجنوح. دارالنهضة العربية بيروت: ١٩٨٤م.

- الدكتور عبدالرحمن العيسوي. أمراض العصر الأمراض النفسية والعقلية والسيكولوجية. دار المعرفة الجامعية. الاسكندرية: ١٩٨٤م.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث. دار النهضة العربية. بيروت: ١٤٠٤هـ.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. اتجاهات جديدة في علم النفس الحديث. دارالنهضة العربية بيروت؛ ١٤٠٤هـ.

الدكتور عبدالرحمن العيسوي. علم النفس ومشكلات الفرد. منشأة المعارف. الاسكندرية. ١٩٧٢م.
الدكتور عبدالفتاح عبدالصمد. نموذج عربي للرعاية اللاحقة للأحداث في الوطن العربي. دارالنشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض: ١٤٠٢هـ.
ـ عبدالكريم الخطيب. الدين ضرورة حياة الانسان. دار الأصالة. الرياض: ١٤٠١هـ.
عبداللطيف صالح الفرفور. الصيام في المذاهب الأربعة. دارالحكمة. دمشق: ١٣٩٠هـ.
علي القاضي. أضواء على التربية في الاسلام. دارالأنصار. القاهرة: ١٤٠٠هـ.
الدكتور عمارة نجيب. الأسرة في ضوء القرآن والسنة. مكتبة المعارف. الرياض: ١٤٠٠هـ.
عمر السعيد رمضان. دروس في علم الاجرام. دار النهضة العربية. بيروت.

ـ الدكتور غريب سيد أحمد. مكافحة القات في الصومال. دارالنشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض: ١٤٠٥هـ.
الدكتور فاروق عبدالسلام. سيكولوجية الادمان. عالم الكتب. القاهرة: ١٣٩٧هـ.
الدكتور محمد ابراهيم نصر. منهج الاسلام في تربية الجندي المسلم. دار الأصالة. الرياض: ١٤٠١هـ.

- محمد بن علان الصديقي الشافعي. دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين. دار الفكر. بيروت: ١٩٨١م.
محمد رشيد رضا. تفسير القرآن الحكيم. دارالمعرفة. بيروت: بدون تاريخ.
- محمد علي الهاشمي. شخصية المسلم. الاتحاد الاسلامي العالمي للمنظمات الطلابية الكويت: ١٤٠٣هـ.
محمد الغزالي. الجانب العاطفي من الاسلام. بحث في الخلق والسلوك والتصوف. دارالكتب الحديثة. القاهرة: بدون تاريخ.
محمد فؤاد عبدالباقي. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. دارالفكر بيروت: ١٤٠١هـ.
محمد قطب. في النفس والمجتمع. دارالشروق. بيروت: ١٤٠٢هـ.
مساعد المعتق محمد المعتق. الخمر وأحكامها في الشريعة الاسلامية دارالنشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض: ١٤٠٥هـ.
مسلم. صحيحه بشرح النووي. داراحياء التراث العربي. بيروت: ١٣٩١هـ.
الدكتور مصطفى العوجي. التربية المدنية كوسيلة للوقاية من الانحراف. دارالنشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الرياض: ١٤٠٦هـ.
- مصطفى محمد الطحان. الفكر الحركي بين الأصالة والانحراف. دارالوثائق. الكويت: ١٤٠٦هـ.

- المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. دراسات حول قضايا الشغب وأسباب العنف. الرياض: ١٤٠١هـ.
المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. التربية النموذجية للطفل في الوطن العربي. الرياض: ١٤٠١هـ.
- المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. الادمان على المسكر. سبل الوقاية والعلاج. الرياض: ١٤٠٣هـ.
المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب. السجون. مزاياها وعيوبها من وجهة النظر الاصلاحية. الرياض: ١٤٠٤هـ.
الدكتور مقداد بالحسن. التربية الأخلاقية الاسلامية. مكتبة الخانجي. مصر: ١٣٩٧هـ.
- الدكتور نبيل السمالوطي. علم اجتماع العقاب. الجزء الثاني. دارالشروق. جدة: ١٤٠٣هـ.
- الدكتور نبيل السمالوطي. علم اجتماع العقاب. الجزء الأول. دار الشروق. جدة: ١٤٠٣هـ.
- وزارة الداخلية المصرية. مصلحة الأمن العام. تقرير الأمن العام. ١٩٧١م.
- يحيى بن شرف الدين النووي. الامام. رياض الصالحين. من كلام سيد المرسلين. دار القلم. بيروت: ١٩٨٣م.
- الدكتور يوسف القرضاوي. الايمان والحياة. مكتبة وهبة القاهرة: ١٤٠١هـ.
- الدكتور يوسف القرضاوي. العبادة في الاسلام. مؤسسة الرسالة بيروت: ١٤٠٢هـ.

المراجع الأجنبية:

Belkin G. S. Contemporary psychotherapies, Rand McNally College publishing Company, Chicago, 1982.

Brown J. M and others. Applied psychology, Publishing Co. Put Ltd, New York, London.

- Coon, D. Essentials of psychology exploration and application, West Publishing Company, New York 1982.
- Gallatin, J. Abnormal psychology, Macmillan Publishing Co. Inc. New York 1982.
- Harriman P. L. Dictionary of psychology, The philosophical library, New York. 1983.

Myers, D.G., Social psychology, McGraw- Hill Book Company, New York, 1983.

Ornstein, R. E. The psychology of Consciousness, second edition, Harcourt, Brace Javanovich Inc, New York 1977.

Samuel W., Personality, McGraw- Hill International Book Company, London 1981.

- Shammugam, T. E. Abnormal psychology, Tata Mcgrow Hill Publishing Company Limited, New Delhi. 1981.

Strange R. J., Abnormal Psychology, McGraw- Hill Book Company, New York, 1965.

Hoover. J. E., Crime in the United States.

نشأت الفنانين بالمغرب بدار النشر المركز الجامعي للدراسات والبحوث العلمية
بالرباط ١٤١٠ - ١٩٩٠